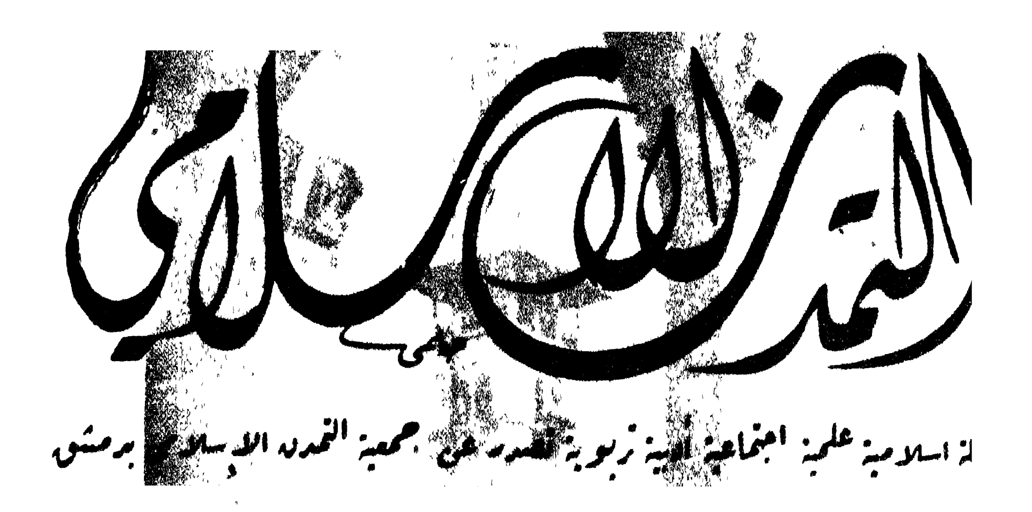
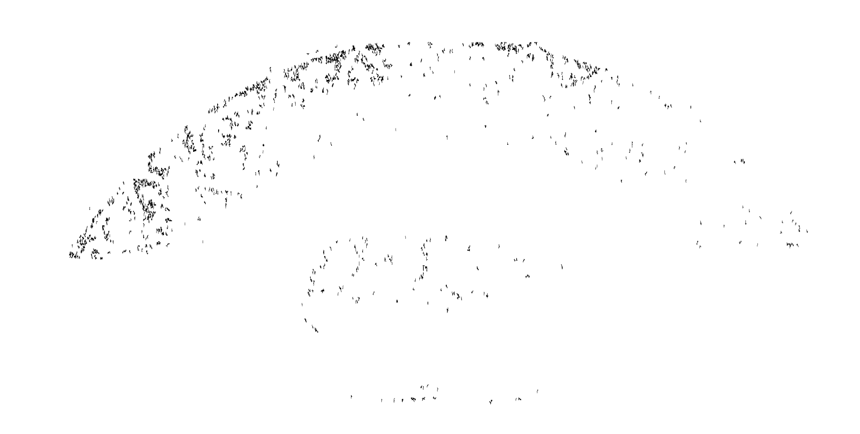


خصصت هذه الأجزاء بالتشريع الإسلامي واتجاهاته

بمناسبة وضع الدستور السوري



سيطر الاستعمار على العالم الإسلامي حيناً من الدهر ، ثم أخذ هذا العالم يحطم الأغلال ويحقق الاستقلال ، وكان لزاماً عليه أن يرجع الى نفسه فيسأل عن كل غال فقدَه في أمسه ليستردّه اليوم ، ولا جرم أن التشريع في مقدمة ما ينبغي استرداده ، فقد كنا نسير في حياة من الاقتباس والتقليد الأعمى ، تشوقنا إليها طبيعة الحياة التي كنا نحياها ، وصار لزاماً علينا أن ننشد الأصالة ، اعتزازاً بتراثنا المجيد الصالح للبقاء والتقدم ،وما كان الإسلام دين عقيدة وعبادة فحسب ، ولكنه نظام كامل أيضا يلبي حاجات الناس وهو على صلة تامة بالله تعالى ، ولا بد من هذه الصلة المباركة للسعادة المنشودة التي ما عرف الغرب لها طعما .

قال المهتدي الأستاذ محمد أسد في كتابه (منهاج الإسلام في الحكم) : إن هناك أسبابا خاصة بالغرب وحده جعلت أهله على غير وفاق مع الدين - دينهم هم - ومثل هذا الخلاف تنعكس آثاره على الاضطراب الأخلاقي والاجتماعي والسياسي الذي يسود اليوم أجزاء واسعة من العالم . بدلاً من أن يُخضع الغربيون سلوكهم وأفعالهم لمعايير القانون الأخلاقي الذي هو - على أية حال - الغاية القصوى لجميع الأديان ، أصبحت (المصلحة) تختلف عادة من جماعة الى جماعة ومن أمة لأخرى ، فإن النتيجة الطبيعية لذلك هي ما نراه اليوم من اصطدام مروع بين المصالح المختلفه في الحقل السياسي ، سواء أكان ذلك في حدود الأمة الواحده أو في الميدان العالمي . وهذا



أمر طبيعي ، فإن ما يبدو من الناحية العملية البحتة مفيدا لطائفة من الناس أو أمة من الأمم لا يجب أن يكون - وفي الأغلب لا يكون - مفيدا لطائفة أو أمة أخرى ، وعلى هذا فإنه ما لم يُخضع البشر تصرفاتهم في هذه الحياة لتوجيه غاية من الغايات الأدبية أو لاعتبار خلقي معين ، فإن مصالحهم الخاصة لا بد أن تتصادم في نقطة أو أخرى ، وكلما احتدمت معارك النضال بينهم تباعدت مصالحهم أكثر فأكثر ، واختلط عليهم الأمر في معرفة الخير والشر في معاملة بعضهم بعضا .

يتضح لنا مما سبق أنه لا يوجد في الدولة العلمانية مفهوم ثابت يمكن به التمييز بين الخير والشر والعدل والظلم . إن القياس الوحيد في هذه الدولة هو (مصلحة الأمة . وفي حال عدم وجود ميزان ثابت للقيم الخلقية فإن الافراد حتى في حدود الأمة الواحدة ستصبح لديهم - ومن الطبيعي أن تصبح لديهم - وجهاتُ نظر متباينة كل التباين حول ما يخدم مصالح الأمة على أحسن وجه . فبينما قد يرى الرأسمالي بإخلاص أن الحضارة البشرية مهددة بالزوال اذا حلت الاشتراكية محل الحرية الاقتصادية ، يرى الاشتراكي بإخلاص لا يقلّ عن إخلاص زميله أنه لا يوجد سوى وسيلة واحدة لصيانة الحضارة البشرية هي الغاء النظام الرأسمالي واحلال النظام الاشتراكي محله . إن كلا الفريقين يصنع قوانينه الخلقية - وهي القوانين التي تحدد ما يجب فعله وما لا يجب - على اساس من نظرياته الاقتصادية فحسب ، وتكون النتيجة ما نراه اليوم من اضطراب وبلبلة يهددان بالخطر العلاقات بين الدول والشعوب .

لقد أصبح واضحاً انه ليس في وسع نظام من الانظمة السياسية الغربية المعاصرة سواء منها التي تقوم على الحرية الاقتصادية او على الشيوعية او الاشتراكية القومية أو الاشتراكية الديموقراطية او ما سواها من الأنظمة ، ليس في وسع واحدٍ منها ان يحيل هذه الفوضى السائدة في العالم الى شيء يشبه النظام . ولذلك سبب واحد هو أن أية منها لم تحاول محاولة جديدة ان تدرس المشاكل السياسية والاقتصادية في ضوء مبادىء خلقية مطلقة . وبدلا من ذلك بنى كل نظام منها تصوره للعدل والظلم

على ما توهمه مصالح ومنافع لهذه الطبقة او تلك او لهذه الجماعة من الناس او تلك ، او لهذه الأمة او تلك ، وبمعنى اوضح ، لقد شادت هذه النظم اجهزتها السياسية والاقتصادية على اهواء الناس ومطالبهم المادية وحدها ، هذه المطالب التي هي في تغير دائم لا يفتر .)

★ ★ ★

اذا ذكرنا ان العالم تسوده اليوم ديموقراطية في جانب ، واشتراكية اوشيوعية في جانب ، وذكرنا بايجاز أن الديموقراطية تعتمد على الحرية وفقا للطغيان الارستقراطي وتسليط الأقلية ، وان الشيوعية كثيراً ما تجعل مفاتيح ذلك الطغيان في أيد قليلة متحكمة ، وأن الاشتراكية تعتمد على تقطيب السلطة في الحكم ولو أدى الى سلب الناس كثيراً من حرياتهم وكرامتهم ، اذا ذكرنا ذلك لم نجد بداً دينياً وقومياً من الرجوع الى التشريع الإسلامي ، أما من الناحية الدينية فلأن من التناقض الصريح أن نعتز بالانتساب الى الإسلام ونرضى بهذه الهوة السحيقة بين الدين والواقع بسبب ركوننا الى التقليد الأعمى ، وشتان ما بين خضوع لفظي للدين لا يبدي ولا يعيد ، وخضوع يقيني وتطبيقي له ، خضوع يصحبه الوعي المتيقظ الذي يأبى أن يجعل الدين قضية نظرية ، ويصر اصراراً على جعله دستوراً إلهياً محفوفاً بالتقدير والاحترام والرغبة الصادقة بالخضوع له خضوعاً عميقاً شاملاً . والله تعالى يقول : (ألا له الخلق والأمر) ٧:٥٣ ويقول : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ٥ : ٤٤ ويقول : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ٤ : ٥٩ ويقول سبحانه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً .) ٤ : ٦٥ .

منهاج الإسلام في الحكم ص ٢١ ٢٤

قال ابن القيم : (أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها ، ولم يُثبت لهم الإيمان بمجرّد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرجُ ، وهو ضيق الصدر ، وتنشرحَ صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح ، وتقبله كل القبول ، ولم يثبت لهم الايمانَ بذلك أيضاً حتى ينضاف اليه مقابلةُ حكمه بالرضا والتسليم ، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض ..[1])

وأما من الناحية القومية فلأن الإسلام عمود تراث العرب الروحي والحضاري والسياسي ، مسلموهم وغيرهم لا يرون أن نستجدي التشريع من أمم الشرق ومن الغرب ، ونهمل تشريعاً أصيلاً فينا ، حبيباً الينا ، ولا يمكن أن يكون التشريع الدخيل أرضى لغير المسلم قومية من التشريع العربي الأصيل ، وفي مكتباتنا من شروح تشريعنا آلاف المجلدات الثمينة التي أملتها الحياة العربية وباللغة العربية وفي البلاد العربية القرائح العربية ، فلا يرضى العربي المنصف مهما كان دينه أن نهمل هذا التراث ، وأن يقرره الأجنبي في مؤتمراته الدولية التشريعية كمؤتمر لاهاي ومؤتمر باريز اللذين قررا جعل التشريع الإسلامي من مصادر التشريع الدولي المقارن .

وما كان الاسلام في يوم من الأيام مفتئتاً على حق أحد من غير المسلمين في دينه أو في دنياه ، وحقوق أهل الكتاب وأحوالهم الشخصية مصونة في الإسلام صيانة تامة لا يماري فيها منصف .

* * *

التشريع الإسلامي تشريع عظيم شامل ، يرجع في كلياته ـ بتطبيق أصول رائعة دقيقة من الاستنباط ـ الى مصدرين جليلين منيرين هما كتاب الله وسنة رسوله .

والكتاب قد تكفل الله تعالى بحفظه فقال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

(١) التبيان في اقسام القرآن ص ٣١ .

لحافظون) ١٥ : ٩ وهو اليوم بين أيدينا ـ بعد أربعة عشر قرناً من نزوله ـ لم يتغير منه حرف واحد ، وهي مزية لم تتح لدين من الأديان ولا لشــريعة من الشرائع .

والسنة من قول الرسول ﷺ وفعله وإقراره تحفظها الكتب المشتهرة في الحديث النبوي بالكتب الستة ، وغيرُها من الكتب ، وتمحصُ روايةَ السنة علومٌ على غاية من الدقة في تحريها وحيطتها .

وفي هذا التشريع شمول وسهولة ومرونة .

(آ) شمول يلف مصالح الناس جميعاً ، (فمنذ يستهل المرء صارخاً ـ كما قــال الاستاذ محمد الغزالي ـ يتعرض الفقه لولادته ، وحضانته ونفقته ، وطهر والدته ، وحقوقه على أبيه وعلى المجتمع .

وعندما ينقضي أجله ويتجه الى الدار الآخرة ، يتعرض الفقه لموته ، وغسله ، وكفنه ، وميراثه وسائر شؤونه الأخرى .

وبين حياته ووفاته يتصل الخطاب الإلهي بما يدع وبما يصنع ، مفصــلاً أنواع الحلال والحرام ، ومختلف الحقوق والواجبات .. فلا تكاد ناحية من سلوكه الخاص والعام تندّ عن الشريعة وهداياتها ..

إن الفقه الإسلامي يشمل أحــكاماً فوق الحصر .

وقوانينه الضابطة للأعمال كما تناولت الفرد في خاصة نفسـه ، تناولت الدولة في في أعم أمورها ، حتى يكون إشراف الدين على الإنسان محكماً لا ثغرة فيه .

والينبوع الدافق بهـذه الأحكام العتيدة والمتجـددة ، ينبجس من كــتاب الله وسنة رســوله).

(ب) وسهولة تنفي الحرج بأي صورة من صوره ، قال الله تعالى :(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) ٢:٢٨٦ وقال سبحانه :(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)٢:١٨٥ وقال : (يريد الله أن يخفف عنكم) ٤:٢٧ وقال : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ٢٢:٧٨

---

(١) الاسلام والطاقات المعطلة ص ٩٥

وقال الرسول ﷺ : (بعثت بالحنيفية السمحة)[1] وقال (يسروا ولا تعسروا)[2] وفي شمائله عليه الصلاة والسلام : (ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً) .

(ج) والصفة الثالثة مرونة تجعل هذا التشريع يساير كل صالح من مقتضيات الزمن ، ومن أدلة هذه المرونة اكتفاؤه بمبادىء عامة شاملة في تشريع الأحكام الدستورية والمدنية والجزائية والاقتصادية ، فقد قررت الشريعة في الأحكام الدستورية مثلا المبادىء الأساسية الثلاثة الواجبة وهي في مقدمة الواجبات : الشورى ، والعدل ، والمساواة وتركت تفصيل كثير مما يتعلق بذلك من أحكام لتقررها الأمة ، في كل زمان وفق حاجاتها ومصالحها دون أن تخالف روح الشريعة السمحة وروحيتها .

وقررت في المبادىء الجزائية حدت عقوبات لجرائم القتل والسرقة والسعي في الأرض بالفساد والزنى وقذف المحصنات وشرب الخمر (وحد هذا الأخير جاءت به السنة) ، وقررت الى جانب ذلك جزاء السيئة سيئة مثلها ، وتركت لولاة الأمور أن يضعوا وفق هذا المبدأ العقوبات الأخرى ، ولما تخلينا عن ذلك وأخذنا عن الغرب تشريعه الملتوي عرفنا الجرائم التي ملأت السجون ، ومفاسد الخربة التي أقضت العيون ، وصرنا نشكو العجز والحيرة والاضطراب دون الاهتداء الى حقيقة الأسباب .

قد يظن من لا علم له بالأصول أن من الشطط والغلو حمل الناس على نصوص قديمة لا تجمع الوقائع ولا يمكن أن تكون نصوصاً على كل جديد ، ويدفع هذا الوهم بالتذكير بأن كل حادثة تحدث بين الناس لا بدّ أن يكون لها حكم من الكتاب والسنة أولاً ثم بالإجماع والقياس .

والقياس أصل تشريعي خصب في رد الأشباه الحديثة الى ما يتصل بها من نظائر قديمة بعلة جامعة ، فإذا عرف التشريع الحديث مثلا تشريع العمل الذي ينظم العلاقات الحقوقية بين العمال وأصحاب العمل ، من تحديد الأجــور وتعويض المرض

---

(1) رواه الخطيب البغدادي وقال الأستاذ المناوي بعد أن أشار الى من ضعفه : لكنّ له طرق لا تسر يعمد أن لا ينزل بمجموعها عن درجة الحسن .

(2) في فيض القدير : رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم والنسائي عن أنــس بن مالك ، ورواه البخاري وغيره عن أبي موسى الأشعري .

علم الكتاب والسنّة

إن من لا علم له بالكتاب والسنة لا حظّ له من الملّة الحنيفية والشرعة المحمدية ، وليس له من نور الهداية ومصباح النبوة ما يهتدي به في دياجير الشبهات وظلمات الترّهات وإن صدره امقفل من برد اليقين ، وعقله بمعزل من إصابة الحق المبين ، وقلبه خلو من وازع الإيمان ، وخشية الديان ، فالخير كل الخير في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديها والاغتراف من بحرهما الواسع ، وجودهما السابغ ، ولا شيء أهدى للنفوس وأجلب لسعادتها ، وأرجى لطهارتها ، من تفهّم هذين الصنوين والعكوف على درسهما ، وتدبّر معانيهما ، والنفوذ الى مغزاهما . فهناك طهارة القلب وصفاء العقل وكمال النفس .

من (مفتاح السنة) المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبد العزيز الخولي

وتشغيل الأحداث وتعيين ساعات العمل وأيام العطل وغير ذلك ، لم يكن عسيراً على الفقهاء المشترعين والحقوقيين أن يلحظوا الدواعي الحديثة من اختراع الآلات الصناعية وانتشار الحرية والحرص على بلوغ مستوى معين في المعيشة . . ويلحظوا مع ذلك أحوالنا الاقتصادية ومصالحنا الوطنية ويعودوا الى النصوص الشرعية التي ترعى حقوق العامل وأربابه ، ويقيسوا الأشباه على نظائرها ، ويلاحظوا الأسرار والحكم الخفية ، ويضعوا كل ما يصون الحقوق الخاصة للغني والفقير ويكفل المصالح العامة ، ولعل ذلك وما إليه ينتهي بنا - وقد ملكنا أمرنا ولله الحمد والمنة ورجونا أن نتجه نحو دستور إسلامي - الى ضرورة تأليف مجمع فقهي تشريعي يلحق بندوتنا النيابية ليسير تشريعنا على بصيرة وهدى بديل الاعتماد على التقليد الأعمى حيناً ، والتلفيق تارة ، والأهواء والنزاع تارة أخرى ، فيلتاثُ الأمر ويتوعّر المرام بديل أن يستبين الحق وتنجلي الاحكام .

« قل إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربّي ، هذا بصائر من ربكم وهدًى ورحمة لقوم يؤمنون . ٧ : ٢٠٣

مصطفى الزرقا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فتن ودعايات

إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، يمسي الرجل مؤمنا ويصبح كافراً ، من فرط التلاعب بموازين الحق ودعائم الإيمـان ، وذلك ماكدنا نراه ونعيش في في أجوائه من (دعايات) آخذة ، تجتذب الإنسان وتغويه برفق واستدراج حينا ، وبقوة كالسيل الجارف حينا آخر ، أو تتخـذ بين ذلك سبيلا ، كتيار الكهرباء المتناوب . وإن للباطل ودعـاته عناداً ومراسـاً وخبرة ، وهم بين حالين وصفهما تعالى (أولهما) بأنهم « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » وبين في (الثانية) من فساد أنفسهم مايبدأ من الغرور الجـاهل حتى ينتهي بالكبر المستكبر : « إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه ، فاستعذ بالله » ، عياذاً تفيء الى ظلاله ، وتأوي الى ملاذه ، تستعين بحوله وطوله ، وتستهدي بهداه ، (لئلا تلحق مع أهل الضـلال بركب أو تهوي مـع أهل العناد والغضب) ، فتسير على الصراط المستقيم ، مستعيناً بالله داعياً بمـا علمك « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

أسماء وأبو هاشم

وإن من أبرز أفانين الدعوة الباطلة أن يلقي أهلها شباك « الأسماء » ببراعة

سحرية ، تنسج من حولها هالات من الأوهام والأخيلة ، والترغيب والترهب ،وتساق إليها القافلة بركب يتبع به جاهل اجهل منه ، أو يلحق به آخر القوم أولهم ، وضعيف القوم قويهم ، وفقير القوم غنيهم ، ولا يكون من وراء تلك الأسماء (التي صقلت فاستعبدت وعبدت من دون الله) ، حقيقة راسخة ، ولا منفعة ثابتة عمية كما قال تعالى : « إن هي إلا أسماء سميتموها [كالأوثان من اللات والعزى ومناة] أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، [اذ تقوم على الخداع والأوهام] إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

وإن من هذه الكلمات التي روجتها دعاية العصر ، وتلاعبت بها الأهواء ، كلمة : « الرجعي » و « التقدم » تنابذاً بالألقاب ، واجتذاباً للأهواء ، وتصيداً للعقول الجاهلة ، والنفوس المريضة ، التي لا تحمل بيدها ميزاناً من الحق تزن به ما تسمع وما تردد مما تتبع له نواعق الدعاة ، وهما كلمتان اضفى عليهما الزمن من أثوابه ما أضفى من جديد مستطرف وقديم بال ، ونحن بين عشية وضحاها نرى للعلم مخترعات ، وللحياة أفانين ، وللسرعة تيارات ، تتلفع الدعايات أثوابها ، فتصف الماضي بالجهالة وتقهقر الجمود ، ورجعى الزمن والمعرفة والحياة ، وتلقى أضواء الآمال والخيال وظلال فردوسها على المستقبل المنشود وخطى تقدمه ، فيتعلق به الرجاء ، فاذا « الرجعى » كلمة الخزي والمهانة و « التقدم » خطة المستقبل والأمل والحياة ، وإذا هما مركبان لشقي وسعيد ، يسوق إليهما أهل الدعاية من يسوقون ، فيتدافع الناس يلحق بعضهم بعضاً بغير بصيرة نافذة ، ولا حجة ولا سلطان ؛ وكم افت العواصف هذه المراكب فذكروا من بعد مسيرهم مقالة الشاعر العربي :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح إلا ضحى غد

وفاتهم من الحق ثباته وديمومته وعميم نفعه كما قال تعالى : « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » و « ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل

مسمى » (الروم : ٨) ، « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » (المؤمنون ٧٢) ، وقامت القيامة ، و(لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق) ، لطغيان كثرتهم الـكاثرة ودعوتهم الباطلة وصراعهم المضلل .

إن « التقدمية » كمنهج (تطلع الإنسان من خلاله بعين الأمل والمعرفة والجد والكفاح إلى صلاح حاضره ، وارتقاب نفسه ، وديمومته إلى المستقبل ديمومة ترتكز على المعرفة والقدرة في الحياة) ، إنما هو منهج يضع الحدود لنفسه أنه يدور مع الحق كيفما دار ، فلا يتخلى عن شيء منه لقدم الزمن ، فإن من مهد للطريق الإنسانية الطويل بتذليل وتعبيد في يوم ، لا يفسده بالغد ، لمجرد إدبار الأمس ، وقد بلغ بفضله من الحياة محطة هادية ، فيكون بذلك لو فعل من أهل الإفساد والجنون « كالتي نقضت غزلها ، من بعد قوة أنكاثاً » ؛ وإنما يتابع الخطوات مستهدياً بما مر به من التجارب والعبر ، وما ثبت له من الحق الراسخ النافع ؛ ولكن أنى لأهل الأهواء والسلطان أن يدعوا «للحق» قراره ، وهم بين نزوات عاصفة ومكر خادع ، على اختلاف مراتبهم قوة وضعفاً ، تراهم كالذئاب بطنه أو الذآب بعوائها ، أهل أثرة وادعاء وخداع وتضليل وإغواء وإرهاب ، بيقظة المتصيد الرواغ ودأبه و « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » ، ولهم فضلاً عن ذلك الزعامة والقيادة والمنفعة إن استطاعوا .

إن « الحق » لا يدور مع الزمن دوره أوهام الماضي والمستقبل بين اليأس والأمل ، وإنما هو سلطان دائم ، ونور ساطع ، وخير عميم نافع ، وهدى لا يزول ، ولهذا فان كلمة الزمن واسمه وأوصاف خططه ومناهجه وتنابذه من الرجعي والتقدم والرجعية والتقدمية لا محل لها ، ما قام البرهان بسلطانه يدعم الحق ويكشف عن آثاره وينشر في الناس نوره وعميم منافعه .

☆ ☆ ☆

وهذا شأننا مع الإسلام « فطرة الله التي فطر الناس عليها » يوازن بين حالات الإنسان وأطواره وعوارض حياته ، ويعطي كل حال حكماً مناسباً متناسقاً ، « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ، وهو هدى ونور ، « يهدي به الله

من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » (المائدة ١٧) ، ومن واجبنا بل من حقنا على أنفسنا أن نستمسك به ، وندعو إليه الناس جميعاً ؛ وإذا كان هذا من مقتضى إيماننا ، فإنه من منطق الحق نفسه ، بحجته وبرهانه ، وله من التاريخ صور ، وفي الحضارة آثار ؛ ولسنا اليوم نطالب أنفسنا بأداء حقه ، فنخرج به هداة ، نسبح له في الأرض ، وإنما حسب القعدي منا وان يدعو له المسلمين أنفسهم في مثل بلده المؤمن من ديارنا العربية السورية ، لتستعلن بصبغتها النيرة بالإسلام كما ترى لزاماً عليها أن تستعلن بصبغتها العربية ، فاذا نص دستورنا على أننا في سورية أمة عربية فإن صبغة دمائنا وتراثنا كصبغة مبادئنا وهدايتنا ، توجب أن يصرح الدستور كذلك على أننا أمة إسلامية ، فإن الدعايات التي تريد أن تصدنا عن ذكر الله لا تحمل في مطاويها الخير أبدا ، وكل خير نرجوه لأنفسنا وغيرنا وللناس قاطبة نجده في الإسلام بدعائه من الحق الراسخ ، والنفع العميم حتى لغير المسلمين ؛ وصدق الله حين أرسل بالحق والخير والهدى رسوله ان يصفه بقوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

الإسلام عقيدة وحضارة :

إن الإسلام دين بعقائده لمن آمن به ، وثقافة لمن استهدى بمعارفه ، وحضارة لمن عرف آثاره ومنافعه ، وليس للعرب ثقافة وحضارة تعتز بها ، وتبني المستقبل على هدى التاريخ منها غير ثقافة الإسلام وحضارته .

نظرته الإنسانية :

وحسبنا من سعة آفاقه أن نعرف من تنظيمه الاجتماعي منذ ساعته الأولى أنه لم يغلق الباب على نفسه بعصبية العقيدة أو اللغة أو الجنس أو اللون أو الرقعة ، وأن يجعل النظرة الإنسانية مناراً ودعوة بمثل قوله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وحدة أمة الإيمان :

وعلى أساس هذه النظرة الإنسانية اعتبر أبناء الإيمان (على اختلاف الديار

والأزمان) أمة واحدة ، منذ آدم إلى قيام الساعة ، فقال تعالى : « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، وجعل ما اختلفت فيه المذاهب والعقائد فحكمه إلى الله « يفصل بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » ، وبذلك اعتبر حرية العقيدة أصلاً من حرية الإنسان وما منحه تعالى من الإرادة ، وما حمله من التبعة بغير إكراه ، « ولو شاء ربك [بحكم سلطانه وإرادته القاهرة] لجعل الناس أمة واحـــدة ، [ولكنه جعل الحرية في العقيدة والاختيار الجزئي للإنسان في هذه الحياة ، أساساً للعمل والجزاء عليه في الدنيا والآخرة ، وعلى ذلك ترى الناس اليوم كما كانوا بالأمس] ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » ؛ وأنزل الإسلام الإنسان منزلة الكرامة « ولقد كرمنا بني آدم » ، وجعل لبني آدم أوسع سلطان كما قال تعالى : « سخر لكم ما في السموات والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه » وقد استخلفهم في أرضه « واستعمركم فيها » لننظر كيف تعملون .

وبهذا قرر : « الحرية في العقيدة ، والحرمة للانسانية ، وفتح آفاق العلم والعمل ، ووزن ذلك كله بميزانه من الحق والباطل ، والخير والشر ، وجعل ذلك أساسا للجزاء يوم القيامة يوم الفصل ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »؛ ولم يدع الحرية مبدأ للتغني أو الخداع ، وإنما جعل لها حدوداً بينة بقواعد وأحكام تصون الحرية نفسها وتقف من كل حال موقفاً واضحاً ، فجعلها حرية تصون العقيدة للمواطنين جميعاً ، بل وتمتد لغيرهم ، كالمستأمنين ؛ فإذا أعلن في الوطن المسلم عقيدته الإسلامية فقد صان الكرامة الإنسانية وحرية العقيدة لمن لم يعتنق الإسلام ديناً ؛ وفتح آفاق العلم والعمل والتعاون ، ونظم أحكام السلم والحرب والولاء والدعوة والتربية وإقامة العدل وما إلى ذلك ، ولم يغفل بنظراته الايجابية والسلبية حالاً تتصل بالحرية إلا وأوضح فيه الحكم صريحاً بيناً ، فقيد وأطلق ، ولم يدع باسم الحرية مجالا لإفساد مجتمعه ، فضلاً على أن تهدم بنيانه ، وهو بعد لم تأخذه في ذلـــك عصبية ، فيضل عن الحق وسبيله ، وحسبنا من أوائل نظراته وموازينه أن يفرض إقامة العدل إلى

أبعد مدى ، بمثل قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، إعدلوا هو أقرب للتقوى » ؟ ولا معنى للحرية إذا لم تصاحبها الحياطة والعدالة مجردة عن الطغيان والأهواء والعصبية .

وعلى هذه الأسس الحرة بنى العزة في الوطن والولاء لأهله ، في ظل هـذه العقيدة السماوية الهادية النيرة السمحاء ، وكتب في سجل الخلود قوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، فعمت رحمته ونال الحظ معهم من والاهم ، وعاش في كنفهم ، مواطناً صالحاً ، بل ولو جاء من قوم عدو لكم مستأمناً ..

***

وإن من أبرز أنواع الحرية التي اضطربت فيها الأهواء ، وهي تتصل بسلطان الحكم والعقيدة والرأي ، ما عرفه الناس من تنظيم الأحزاب، وما تجر إليه من حزبية تتحكم بها العواطف والعصبية والأهواء ، حتى ترى الأحزاب مشغولة بالتنافس على الحكم والكيد والدس والافتراء والدعاية بالحق وبالباطل ، و « كل حزب بما لديهم فرحون » تتفرق بهم الأمة تفرقاً بلوناه حتى كدنا نشك بالحرية ونستسلم لطغيان الحكم الفردي بل والعبودية ، وفاتتنا من هداية الإسلام حدود وأحكام بمثل قوله تعالى محذراً : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ، حتى اعتبر بذلك خطر التفرقة هدماً للدين نفسه ، بهدم أكبر غاياته من جمع الأمة على الحق والهدى ، واعتبرهم لهذا التفرق خارجين على الأمة ورسولها ، بعيدين عن المبدإ والعقيدة ، فضلاً عن تجريدهم عما يدعون السعي له من خدمة الأمة وتحقيق مصالحها ، وكان الدواء (بنظر الإسلام) لهذا البلاء الهدام ، أن يكون العمل الحزبي بعيداً عن العصبة الحزبية ، يقف عند حدوده من الغاية التي يبرر بها وجوده ، لتحقيق الخدمة العامة بالتعاون ، ورقابة الحكم وإصلاحه ، فوضع لذلك الحدود على بصيرة وهدى من الله كما أمر تعالى بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وعلى ذلك نقصر نشاط الحزب (على مثل نشاط الجمعيات) ، فيقتصر على رقابة الحكم وإصلاحه من قبل أقران أهل الحكم سناً وخبرة من أهل الرأي والخبرة

والسوية العلمية التي تملك مؤهلات الإصلاح والقيادة ، دون أن يحشر معهم (الاتباع) بالانتساب إليهم ، لتأليب الناس وحشد العمار وتمزيق وحدة الأمة .

وجعل الإسلام الحكم ولاية مسؤولة كما قال عليه السلام : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ، وجعل التبعة على قدر السلطة ، وميزان ذلك قوله من تعالى : « لايكلف الله نفساً إلا وسعها » ، واعتبر الولاية أمانة ثقيلة أية كانت فيها السلطة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) ؛ وجعل الإسلام بعد هذا لكل ذي رأي أفقاً من الشورى والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبهذه النظرات وأحكامها صان الإسلام الحرية صيانته للحكم فأحاط بالعلة وأدوائها ، ونظم التعاون ومنع من آفات الحزبية ؛ وجعل الحرية والحزبية بموازينها من هذا الحكم الشعبي الإسلامي بعيداً عن العصبية كما كان هذا الدين المتين بعيداً عن الطائفية وما إلى ذلك من الامراض الاجتماعية والسياسية التي تحيط بالشعب وحكمه حتى تكاد تودي بها .

النظرة الاقتصادية :

وكذلك نظر الإسلام إلى المصالح الإقتصادية ، وعلائق الناس بعضهم ببعض ، وإلى علاقة السلطة بالتنظيم الاقتصادي والإشراف عليه ، فوضع للحرية الاقتصادية كذلك حدوداً ، كما جعل للسلطة قيوداً ، ولم يأخذ نفسه بمذهب من هذه المذاهب التي تغالت أو سارت في مجاهل التجارب على طبول الدعاية الخادعة ، فعرفت باسم المذهب الحر أو الاشتراكي أو الشيوعي ، وما إليها فكانت لهذه المذاهب آفاقها النظرية ، وحدودها الفلسفية ، التي تنظر إلى الحياة والإنسان والعمل وموارد الكسب بغير نظر الإسلام ، ولكل منها مبدأ وفلسفة ووجهة ، وقد نصل الإسلام في ذلك أيضاً لكل حال حكماً ، وأقام من مبادئه العامة صوى وأعلاماً هادية ، وحسبنا من نظر الإسلام أن نسمع قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ، ولا تطغوا فيه » وحسبنا أن نعرف من قواعده أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة عند التصادم .

* * *

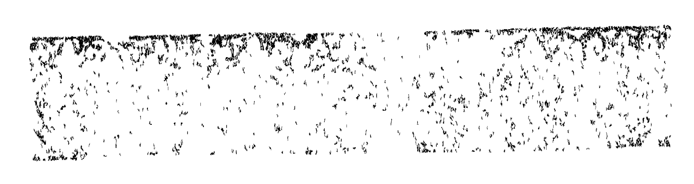
إن ديناً هذه آفاقه لاتغطى شمسه الساطعة بكف من الدعاية ، وإنما تغطي الكف وجه الاعمى والمتعامي « ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (النساء ٨٧) هادية ، مهما زين قوله وادعاءه . وقد مضى الزمن الذي فاجأنا الغرب فيه باستعماره فأذهلنا ، وبثقافته فحكمنا ، وبحضارته فبهرنا ، وأصبح من واجبنا أن نرجع الى الحق ، مهما بالغ الدعاة ، « والله غالب على أمره » ، وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (التوبة ٣٤) « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٥) .

إن ثبات الحق مع تطاول العصور لا يعد منقصة فيتهم صاحبه بالرجعي والتأخر ، وإن الدعاية المزخرفة لا تنفخ الروح بالباطل ، وإنما هي فن يزول بزوال أثره ولو بلغ درجة السحر ، وربما أطال الباطل جولاته وخدع الناس حيناً ، « فلا يغررك تقلبهم في البلاد » « والعاقبة للمتقين » .

لهذا ندعو إلى دستور إسلامي في بلد عربي مسلم ليكون هدى للناس ورحمة يرتكز على نظرته للإنسان بعمله وكسبه وحقوقه وواجباته كما يرتكز على نظرته للمجتمع بتضامنه وتعاونه وحمايته وسلامه ونقيم بذلك على أساس التاريخ بناء نهضته الصادقة ، وإلا تفرقت بنا السبل تبعا لتفرق القلوب والعقول والاهواء والدعاة والاحزاب ، وكنا من الظالمين الذين لا منجى لهم من الله إلا إليه كما قال تعالى : « كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم [إذ ستروا الحق وابتعدوا عنه] وشهدوا أن الرسول حق ، [مع هذا التباعد عن هديه] وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها ، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، فإن الله غفور رحيم (آل عمران ٨٦ ـ ٩٠) .

المحامي

محمد بن كمال الخطيب



الى أين نحن سائرون ؟

- ١ -

الأمة في حيرة واضطراب ..

والبلاد أصبحت في حال لا تصلح لحياة طيبة ..

طغيان في غرائز الاستعلاء والأثرة ..

وجهل بالحقائق العلياء دفين ..

ومعرفـة مرتكزة على الأهواء ..

- ٢ -

فوضى في الأسرة ، ليس لها نظير ، التربية فيها لا تستند - في كثير من أحوالها - الى شريعة ولا الى علم ، بل على التخليط والهوى وتخويف الأطفال وقتل شخصياتهم ، وخرجت الأم من البيت لتتولى وظيفة بسيطة كالضرب على الآلة الكاتبة وتولي الهاتف وبيع الطوابع ؟.. تاركة للخدم تربيه الأجيال .

وقد أصبح الكثير من أغاني المذياع الداعرة ومناظر الرائي (التلفزيون) المثيرة وحوادث الخيالة (السينما) الإجرامية هي المدرسة الأولى لهذه الاسرة المتحللة ، بدلاً من الكتب التي كانت تملأ « كتابي » المنزل فأصبحت اليوم مشغوله بتماثيل الكلاب ونحوها أو بتماثيل ممثلات هوليود العارية ..

- ٣ -

وفوضى في التعليم ، مع انحراف مؤدي الى الإلحاد بسبب النظريات المادية الخاطئة التي طغت على الحقيقة الروحية ، وأخرجت للأمة جيلا منه الملحد الفاجر ، ومنه المضطرب

الإيمان، م" هذا وهذا الانصراف الى الشهوات والوصول اليهـا من كل طريق واحتقار المثل العليا ما دامت خالية من القدسية وتتغير بتغير الزمان والمكان كما علمتهم المدارس المسمومة الهدامة التي بت شخصياً أتشاءم من كثرتها كما أتشاءم من كثرة تخريج أمثال هؤلاء الطلبة! والغريب أن القليلين الذين يشعرون بخطر هذا التعليم الحاضر مع أنني أوضحت أخطاره منذ أكثر من ثلاثين عاما يوم تخرجت من المدرسة إلى يومنا هذا، في عديد من الكتب والرسائل ومئات المقالات!

وقد تفنن هذا التعليم في إفساد الجيل الجديد، فلم يكتف بإلحاده بل راح يحضه على الانهماك الجنسي واللامبالاة في الحياة عن طريق نظرية التطور ونظرية فرويد اللتين ثبت بطلانهما، كما راح هذا التعليم أيضا يحض هذا الجيل على أنواع الدعارة وتعاطي الخمور والزنا واللواطة عن طريق إجرامي سموه: «الأدب العربي» أمثال أدب أو سوء أدب عمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد وأبي نواس وابن المعتز وأمثالهم.

- ٤ -

وفوضى في البيئة الاجتماعية، بلغت في بعض أحوالها الغاية في الرذيلة، نوادي القمار وحانات الخمر ودور البغاء في كل مكان، ميسرة للجميع نتيجة فساد القوانين وضياع الوازع الديني والتقاء الثروة الفائضة من جهة مع الحاجة المذلة من جهـة أخرى بسبب فقدان العدالة الإجتماعية.

وتبرج النساء وعرض أجسامهن كاسية عارية على الجماهير لإثارتهم، قد أصبح من مستلزمات العصر حتى لتبت من تسرف في هذا العري وتعرض جسمها عارياً بملكة الجمال.

وقد أعطى دعاة الفساد في هذا المجتمع الخمور الفتاكة اسم المشروبات الروحية والممثلات الداعرات اسم الكواكب والنجوم، والراقصات العاهرات اسم الفنانات وأدى فساد هذه المقاييس أن سمى النفاق سياسة!!

وكذلك أعطى هذا المجتمع تحكيم الرعاع والغوغاء وأتبـاع الديموقراطية، اسم النظام المثالي للحكم، وسماها الديموقراطية وهي التي تجمل ومن كان على شـاكلتهم

- لا الشعب كما تزعم - هم المسيطرون ولهم خططهم في توجيه الرأي العام توجيها منحرفا حسب مصالحهم عن طريق صحفهم وشركات أنبائهم التي لا تسمح لغير آرائهم أو أشخاصهم بأن تحكم وتسود !

- ٥ -

وفوضى تقليدية في تمثيل الأمة إذ تحتم تقاليدها الدستورية وجود أحزاب أو حزب معارض للحكومه ، يعرقل أعمالها ويختلق لها المشاكل والعيوب ، وينتقدها بحق أو بغير حق بغية الوصول الى كراسي الحكم ! مما أدى في - كثير من الأدوار - الى أنواع من المهاترات والسفسطات التي سببت للأمة كوارث كثيرة !

واذا كان الإسلام يبيح المعارضة والنقد البناء بحدود المصلحة والحقيقة والنصح ، فهو ينهى عن هذه المعارضة المحترفة ويحرم وجود كتلة مناوئة على طول ، ويعتبرها من قبيل الإفساد في الأرض ؛ ويجعل لذلك مراحل من استشارة الحاكم ونصيحة المحكوم حتى ينتهي إلى مرحلة المعارضة بتقويم الإعوجاج أمراً بالمعروف ونهيا عن المنكر .

- ٦ -

وفوضى في القوانين والقضاء لا مثيل لها ، كثيراً مما أدت الى تكاثر الجرائم والاحتيال على القانون ، وامتلاء السجون وتشريد ذوي السجناء وفقدان الاستقرار والعدالة ، فبت جزاء الزاني بابنته أو أمه أو أخته أيسر ممن يسرق لغيره متاعا بسيطا ، مع أن العلم أثبت أخطار الزنا وعواقبه السيئة على أجيال عديدة .

- ٧ -

وفوضى في النظام الاقتصادي ، فإما سير في طريق الرأسمالية الجائرة التي تستبد بالجماهير المستهلكة . وبالأيدي العاملة ، وإما تأميم يشل الحركة الاقتصادية ويوقع الحكومة في أزمة ويثير النقمة عليها باغتصابها أموال الناس بالباطل ، مما يدفعها دفعا في طريق الاستبداد ويشغلها عن واجباتها الأساسية .

ولم يفكر ولاة الأمر جديا بالإسلام - وبالأسف - في حل هذه المشكلة في

الإنحراف بين نظم الشرق، وبين نظم الغرب، رغم أنه جاء بنظام حوى ميزات الرأسمالية، وميزات الاشتراكية، مع البعد من محاذيرهما، بتنمية الشعور الإنساني والضمير اليقظ الحي بين الناس وتقييد الرأسمالية بقيود تحول دون احتكار الأقوات والاستبداد بالمواطنين، وأباح للحكومة حق التأميم المؤقت في حالات استثنائية تقديراً لضرورة بقدرها لأنه تشريع يحترم الحرية الفردية ويؤمن بفعاليتها.

والغريب أن يجهل أكثر قادتنا وزعمائنا الإسلام، جهلا متعمدا، فيظنونه دين صلاة فقط، مع أن بقدرته حل جميع مشكلات هذا العصر وجميع العصور بشهادة كثير من مفكري الشرق والغرب، أليس هو الذي أوجد حضارة دمشق وبغداد والأندلس ؟!

- ٨ -

وفوضى ظاهرة أحياناً في أصول الحكم، ورشوات، واحتيالات، وثراء غير مشروع، وانتهازية منقطعة النظير، ومهازل في كل مكان، نذكر منها على سبيل المثال والفكاهة مهزلة الانتخابات الديمقراطية التي جعلت من مدينة كدمشق بلداً للجن والعفاريت بسبب كثرة اللافتات وزعيق الدعايات وجعجعة العراضات ورواج سوق الأكاذيب والافتراءات؛ هذا مع إقرارنا بالحياد التام والجدية فيها.

وسوء توجيه في الحكم لا مثيل له، حتى أن حكومتنا أنشأت في العهد الماضي وزارة تناصر من حيث تدري أو لا تدري الفسق والفجور بتعليم بناتنا الخلاعة والرقص باسم الفن اللعين، وعرضهن في المحافل الوطنية والأجنبية حتى تفوقن على فرنسا الإباحية في التبذل والخلاعة.

ومن أغرب أصول الحكم في بلادنا أنه راح ليغطي جريمة المجرمين؛ يفرق بين أخلاق الموظف الشخصية، وأخلاقه العامة، فكان هذا النظام الفاسد لا يرى بأساً أو حطة في أن يرتكب الموظف الفاحشة ويتعاطى شرب الخمور ولعب القمار بعد انتهائه من وظيفته بحجة حريته الشخصية.

ولا أدري كيف يمكن لهذا الموظف أن يقوم بوظيفته اذا هو خسر كل راتبه

في الميسر وقضى طوال ليله في الحانات والمواخير المفتوحة بملء الحرية !

لا شك أن هذا السلوك الشخصي سيرغم أمثال هذا الموظف الى سرقة أموال الأمة شعباً وحكومة ، وإهمال شؤونها !!

- ٩ -

وفوضى في توزيع ميزانية الدولة وتبذيرها على الأهواء التقليدية دون وعي ولا تدبّر ، مما أدى إلى حرمان الفقراء من نصيبهم ، بل إلى إهمالهم بالكلية فلا يحسب لهم حساب . تقول القاعدة الاقتصادية الإسلامية : « لقمة في بطن جائع خير من عمارة مسجد » بينما القاعدة الديموقراطية المتبعة في بلادنا تقول : « إقامة حفلة على شرف ضيف كبير تنفق فيها ألوف الليرات ، خير من إشباع ألوف الفقراء وإن انشاء تمثال تذرق عليه الطيور ، يكلف الدولة ملايين الليرات ، خير من اسعاد الملايين من الثكالى واليتامى والمساكين !

- ١٠ -

والخلاصة : الفوضى هنا وهناك وهنالك قد أتينا على موجزها في هذا الاستعراض السريع ، الأمر الذي يدعونا ـ ويلح في الدعاء ـ الى اصلاح حالنا في جميع الاتجاهات ومن جميع النواحي ، والتأكد قبل ذلك من أن سبب هذه الفوضى والفساد راجع الى الدساتير والقوانين المستوردة التي تحكم هذا الشعب والتي فرضت عليه فرضاً على الرغم من مخالفتها لعقيدته وتقاليده ، وعلى الرغم من ثبوت فشلها وخطرها للبعيد والقريب ..

لهذا كله كانت الأمة .. تعاني داء عضالاً وأزمة شديدة نتيجة فوضى التشريعات والتسول في اقتباس القوانين الأجنبية التي لا تربطنا بها قومية ولا دين ولا مصلحة الأمر الذي أضعف شخصيتنا وأضاع مميزاتنا كأمة ذات رسالة عظيمة ، وجعلنا كالمتسكعين نتهافت على موائد الآخرين ونأخذ منهم قوانينهم التي أوجدوها لأنفسهم وقد أفلست عندهم كما أفلست عندنا وسببت تكاثر الجرائم واختلال النظام والاحتيال على القوانين لأنها قوانين وضعية لا تحمل معها التقديس والشمول ، ومعلوم أن

تقديس الأمة لتشريعها من أعظم الدوافع على احترامه وتنفيذه سراً وعلانية !

وقديماً في عصر الإسلام الأول خلت قاعات المحاكم العربية من المدعين ، وجاء كثير من المذنبين الى الشارع والقاضي الإسلامي طالبين تنفيذ عقوبة الموت عليهم ليطهروا أنفسهم من لوثة الجريمة في الدنيا ! ولم يسعوا للفرار من وجه العدالة بالاحتيال عليها كما هي الحال اليوم ، حتى ضج القضاة من تفنن المجرمين لما حكموا القوانين الاجنبية ، لا الإسلام ، حتى راحوا يستجيرون ويستغيثون بالكلاب البوليسية(١) ...

- ١١ -

ينادي أغلب المخلصين اليوم بالاستعاضة عن التشريعات الأجنبية الحاضرة ، بتشريعات اسلامية ، ويطالبون بجعل دين الدولة الإسلام .

هذه ـ والحق يقال ـ مطالب عادلة وضرورية ، ولكنها لا تكفي وحدها لتحقيق تطبيق الإسلام . ويمكننا أن نتأكد من صحة ما نقول ، بالرجوع الى دساتير بعض الحكومات العربية والإسلامية التي نصت على ما سبق ، نذكر كمثال على ذلك الحكومة المصرية أيام فاروق فلم يجدها ذلك شيئاً ، بل خدّر شعبها حتى يطمئن بأن الحكم اسلامي ، مع أن العمل شيطاني !! ودستورنا السوري لعام ١٩٥٠ نص على أن الإسلام هو المصدر الرئيسي للتشريع ، فكان هذا الكلام حبراً على ورق !!

— ١٢ —

لهذا كله ينبغي أن توجه الاهتمام الى جانب وضع النصوص الإسلامية في الدساتير والقوانين ، لتكوين نفوس اسلامية ، ولا يتم ذلك ما دام جهاز التعليم يعتمد الى حد كبير على ثقافة ومباديء غربية ومادية وإلحادية ، تعارض الحياة الروحيه بصورة عامة ، والإسلام بصورة خاصة !

ينبغي أن نتأكد بهذه المناسبة من مبلغ الحملات الاستعمارية التي تشن على الإسلام بصورة واضحة أو خفية حسب الظروف والأحوال ، لإبعاده عن الحكم وتنفير أبنائه منه بمختلف الأساليب ، لأنه خطر على المستعمرين ، وقديماً أعلن غلادستون

---

(١) راجع مجلة التمدن الاسلامي عام ١٩٥٨

رئيس وزراء انكلترا « إن هذا القرآن ما دام بأيدي المسلمين فإنه يستحيل حكمهم النجاة من سيطرتهم ! . »

إننا نخدع أنفسنا ونضحك عليها ، اذا نحن اقتنعنا بالاكتفاء فقط بوضع نصوص جامدة في الدستور ، بينما نظم التعليم تعمل هدماً في عقيدة الجيل الجديد . تعمل على تخريج الملاحدة ، والمشمئزين من الاسلام والمقتنعين بعدم صلاحه !

١٣

ان الاسلام نظام شامل كفيل بتحقيق الحياة الفاضلة والقوية والنامية ، وإعطاء فكرة صحيحة عن الكون ، وعن الانسان ، وتقديم ثروة ضخمة من المباديء والمعارف الموجهة . ونحن لا نقول هذا متأثرين بعاطفتنا الاسلامية ، بل يؤيدنا فيما نقول التاريخ والواقع .

أما التاريخ ، فهو أعظم شاهد على عظمة الاسلام وما أحدثه في هذه الأمة العربية من يقظة ونهضة وإصلاح في مختلف ميادين الحياة الخلقية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في سرعة عجيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، مما دعا مفكري الغرب الى إعطاء هذه الانتفاضة والنهضة اسم المعجزة العربية .

وقد تجاوزت في تأثيرها الأمة العربية الى الأمة الاسلامية ، بل الى الانسانيه كلها كما جاء في اعترافات المنصفين من علماء الغرب !

وأما الواقع فقد أتى على الأمة العربية حين من الدهر أهملت فيه حكم الإسلام ، وأخذت بالنظم والقوانين الأجنبية ، فغدت مهزلة بين الأمم ، ووقعت فريسة بين أحضان الاستعمار ، ولاقت من صنوف الذل والاضطهاد ما لا يخفى على أحد !.

إن هذا المثال من التاريخ والواقع كفيل أن يردنا الى الحق ، ويدفعنا دفعاً ملحا للتمسك بنظام الاسلام ، ليس في المسجد فقط ، بل في البيت والمدرسة والمجتمع والقضاء والحكم وغير ذلك من مرافق الحياة إذا كنا نود أن نحيى حياة عزيزة قوية ..

J1986

إننا على وشك خوض معركة مع اسرائيل، معركة حياة أو موت، معركة بقاء أو فناء، ولن تنصرنا شعارات قومية نهتف بها كما يهتف الصبية في الشوارع! بينما يحاربنا خصمنا حرباً دينية عقائدية؛ وقد أعلن حكماؤه في كثير من المناسبات أنهم أعدوا لحرب العرب أسلحة أشد فتكاً من القنابل الذرية، ألا وهي بضع اصحاحات من التوراة!!

وقد جاء في دستور اسرائيل:

« لقد صممنا أن يفيد وطننا على ضوء مبادىء[1] السلم والعدل التي جاء بها أنبياء اسرائيل!! »

يقول الصهاينة كل هذا، ويعلنون على مسامعنا أن حدود دولتهم المزعومة من النيل الى الفرات؛ حتى مدينة الرسول (عليه السلام) أنهم طامحون اليها بحجة وجود اليهود فيها قديماً، حتى أنهم عرضوا على الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله أن يعيدهم الى حصون خيبر وما اليها لقاء شك مفتوح يحدد فيه رقم المبلغ الذي يرضيه فأبى ذلك عليهم، كما صرح بذلك في مجالس العامة في موسم الحج..

---

(١) هل يدري القارىء ما هي المبادىء التي يعتقد اليهود أنه جاء بها أنبياء بني اسرائيل « حسبما جاء في كتبهم المحرفة. »

قد يظن أنها مبادىء انسانية كالتي أتى بها محمد (ص)، ودفعاً للالتباس وتحذيراً للعرب! أسوق قسما منها حسبما جاءت في سفر التثنية (٢٠: ١٠ - ١٦):

« حين تقرب من مدينة لتحاربها أدعها الى الصلح، فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك!! (كذا).

« وان لم تسالمك، بل عملت معك حربا فحاصرها، واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف (كذا).

وأما النساء والاطفال والبهائم، وكل ما في المدينة كلها غنيمة لك، فتغتنمها لنفسك... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منهم نسمة ما!! (والعياذ بالله).

أجل يقول الصهاينة كل هذا ، بينما يخجل الكثيرون منا من ذكر الإسلام ويطلق بعض الحمقى والادعياء على مجتمعه اسم المجتمع التقليدي الراكد !»

ألم يوحدنا الإسلام بعد ما كنا أشتاتاً يقاتل بعضنا بعضاً ؟ !

ألم يحلق بنا الى ذرا المجد والسؤدد بعد ما كنا في الحضيض أسرى كسرى وقيصر ؟!.

ألم يجعل منا خير أمة أخرجت للناس بعدما كنا هملا رعاعاً ؟!.

ألم يدفع بنا الى الأمام حتى أسسنا مدنية دمشق وبغداد وقرطبة التي لا تزال موضع اعجاب العالم الى يومنا هذا ؟!

فلماذا هذا التنكر للجميل ؟ .

لماذا هذا التآمر على الأمة العربية لإبعاد الاسلام عنها ـ كما يفعل المستعمرون ـ مما يجعلها نهباً مقسماً وعرضة للضعف والفساد ؟ !

- ١٥ -

أما بعد فإننا اليوم على مفترق الطرق ؛ فإما أن نواصل سيرنا في هذا الطريق التقليدي للغرب الذي سلكناه منذ ثلاثة قرون تقريباً فما زادنا الا خمولاً وفوضى ، وجعلنا في مؤخرة الركب العالمي !

والغريب أن نتزاحم ونتسابق للحصول على الحضارة الغربية في وقت ضج منها المفكرون الأوربيون وأعلنوا إفلاسها وتنبؤوا بفنائها ، وبوادر ذلك تشهد على على صحة ما يقولون .

وإما أن نعود الى الإسلام فنحتكم إليه مهما كلفنا من ثروة وجهد ، في حياتنا كلها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والقضائية ، اذا كنا جادين في الحصول على حياة عزيزة قوية عظيمة .

- ١٦ -

إننا اليوم في مرحلة انتقالية وفي عهد جديد نرجو أن يكون مباركاً ومسعفاً، فإن الأمة مريضة ، أو في طريقها الى المرض ، فلنسارع الى تطوير دستورنا وقوانيننا ومناهجنا التربوية والحيوية تطويراً إسلامياً جذرياً يكفل لنا السعادة والعزة والمجد .

« ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكنام في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور !»

العرب لا يستجيبون الا للدين

قال ابن خلدون : « الملك يحصل بالتغلب ، والتغلب بالعصبية ، واتفاق الأهواء ، وجمع القلوب وتألفها ، إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه . وقد قال تعالى : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ! »

ذلك أن الصفة الدينية تذهب التحاسد بين أهل العصبية ، فإذا حل لهم الاستبصار لم يقف أمامهم ، لأن الوجهة واحدة ، وهم مستميتون في سبيلها ، وأعداؤهم وان كانوا أضعافهم فإن أغراضهم متباينة ، فلا يقاومون ، بل يُغلبون ويعاجلهم الفناء بما فيه من الترف والذل.

وهذا ما وقع للعرب في صدر الإسلام ، فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعاً وثلاثين ألفاً في كل معسكر ، وجموع فارس مائة وعشرين الفاً بالقادسية ، وجموع هرقل أربعمئة ألف . فلم يقفوا بل هزمهم المسلمون وغلبوهم على ما بأيديهم ؛ لأن الاجتماع الديني ضاعف عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة » .

وقال العلامة ابن خلدون تحت عنوان العرب والسيادة :

« إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية ، لانهم أصعب انقياداً للأنفة والمنافسة في الرئاسة ، فإذا كان الدين كان الوازع من أنفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس ، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويؤلف كلمتهم - ثم اجتماعهم وحصل التغلب والملك لهم ، وهم أسرع قبولاً للحق ، لسلامة طباعهم ، وبراءتها من ذميم ، إلا ما كان من خلق التوحش المتهيء لقبول الخير ببقائه على الفطرة . »

****

- ١٧ -

ومن أجل هذه الغاية خصصت جمعية التمدن الإسلامي بدمشق هذا العدد من مجلتها ، لتتقدم به الى النواب في دورة المجلس التأسيسي والى جميع المفكرين والمصلحين شاهداً عليهم ... إيضاحاً لفكرة الدستور الإسلامي وبعض أصول الحكم ، لتسليط الأنوار على نظام الإسلام وصلاحه لكل زمان ومكان وقدرته على تحقيق العدالة والتسامح والسعادة والحرية الدينية لجميع المواطنين على اختلاف أديانهم .

محمود مهدي الاستانبولي



كيف وصمت الشريعة بعدم الصلاحية

للمرحوم الأستاذ عبد القادر عوده

تبين لي — كما سيتبين للقارىء — من دراسة الشريعة أن القائلين بأن الشريعة لا تصلح للعصر الحاضر لا يبنون رأيهم على دراسة علميـة أو حجج منطقية، لأن الدراسة العلمية والمنطق يقتضيان القول بتفوق الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية وبصلاحية الشريعة لهذا العصر ولما سيتلوه من عصور .

وفوق هذا فالقائلون بعدم صلاحية الشريعة للعصر الحاضر فريقان ، فريق لم يدرس الشريعة ولا القانون ، وفريق درس القانون دون الشريعة ، وكلا الفريقين ليس أهلا للحكم على الشريعة لأنه يجهل أحكامها جهلا مطبقا ومن جهل شيئاً لا يصلح للحكم عليه .

والواقع أن هؤلاء الجاهلين بالشريعة يبنون عقيدتهم الخاطئة في عدم صلاحية الشريعة على قياس خاطىء وليس على دراسة منظمة ، ذلك أنهم تعلموا أن القوانين الوضعية القائمة الآن لا تمت بسبب إلى القوانين الوضعية القديمة التي كانت تطبق حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وعلموا أن القوانين الوضعية الحديثة قائمة على نظريات فلسفية واعتبارات اجتماعية وانسانية لم يكن لها وجود في القوانين القديمة ، وتحملهم المقارنة بين هذين النوعين من القوانين على الاعتقاد بعدم صلاحية القوانين القديمة للعصر الحاضر ، وهو اعتقاد كله حق ، ولكنهم ينساقون بعد ذلك الى الخطأ حين يقيسون الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية فيقولون ما دامت القوانين التي كانت سائدة حتى أواخر القرن الثامن عشر لا تصلح لعصرنا الحاضر فكذلك الشريعة الإسلامية التي كانت سائدة في العصور الوسطى والتي ظل الكثير من أحكامها معمولاً به حتى أواخر القرن الثامن عشر . وفي هذا القياس الباطل خطؤهم المجسم الذي لا يكاد يفوت الناقد البصير .

وجه الخطأ في قياس الشريعة بالقانون :

ووجه الخطأ في هذا القياس أنهم سووا بين القوانين الوضعية التي وضعها البشر وبين الشريعة الإسلامية التي تكفل بوضعها خالق البشر ، فهم حين يقيسون إنما يقيسون الأرض بالسماء والناس برب الناس ، فكيف يستوي في عقل عاقل أن يقيس نفسه بربه وأرضه بسمائه ؟

وجه الخطأ في هذا القياس أنهم سووا بين الشريعة والقانون وهما مختلفان في طبيعتها جد الاختلاف ، ونستطيع أن نتبين مدى هذا الاختلاف إذا استعرضنا نشأة كل منهما ومميزاته الجوهرية التي تميزه عن غيره .

لا قياس بين مختلفين :

وإذا صح أن الشريعة تختلف عن القوانين اختلافات أساسية وتتميز عنها بميزات جوهرية ، فقد امتنع القياس لأن القاعدة أن القياس يقتضي مساواة المقيس بالمقيس عليه فاذا انعدمت المساواة فلا قياس أو كان القياس باطلا .

ولما كان القائلون بعدم صلاحية الشريعة للعصر الحاضر يبنون رأيهم على قياس الشريعة بالقوانين الوضعية ، ولا مساواة بين الشريعة وهذه القوانين فيكون قياسهم باطلا ، وادعاؤهم بعدم صلاحية الشريعة للعصر الحاضر ادعاء باطلا ، لأنه بني على قياس باطل ، وما قام على الباطل فهو باطل .

وسنستعرض فيما يلي نشأة القانون ونشأة الشريعة ووجوه الخلاف بينهما ومميزات كل منهما ، وسيُظهر هذا الاستعراض الفرق جلياً بين الشريعة والقانون لمن لا يحسن التفريق بينهما ، وسيتبين منه أن الشريعة تختلف عن القانون اختلافات أساسية ، وتتميز عنه بصفات جوهرية .

نشأة القانون :

ينشأ القانون الوضعي في الجماعة التي ينظمها أو يحكمها ضئيلاً محدود القواعد ، ثم يتطور بتطور الجماعة فتزداد قواعده وتتسامى نظرياته كلما ازدادت حاجات الجماعة

وتنوعت ، وكلما تقدمت الجماعة في تفكيرها وعلومها وآدابها . فالقانون الوضعي كالوليد ينشأ صغيراً ضعيفاً ، ثم ينمو ويقوي شيئاً فشيئاً حتى يبلغ أشده ، وهو يسرع في التطور والنمو والسمو كلما تطورت الجماعة التي يحكمها وأخذت بحظ من الرقي والسمو ، ويبطيء في تطوره ونموه كلما كانت الجماعة بطيئة النمو والتطور . فالجماعة إذن هي التي تخلق القانون الوضعي وتصنعه على الوجه الذي يسد حاجاتها وينظم حياتها ، وهو تابع لها وتقدمه مرتبط بتقدمها .

وعلماء القانون الوضعي حين يتحدثون عن النشأة الأولى للقانون يقولون إنه بدأ يتكون مع تكون الأسرة والقبيلة ، وإن كلمة رب الأسرة كانت قانون الأسرة ، وكلمة شيخ القبيلة كانت قانون القبيلة ، وإن القانون ظل يتطور مع الجماعة حتى تكونت الدولة ، وان عادات كل أسرة كانت لا تتفق مع عادات غيرها من الأسر ، وتقاليد كل قبيلة لم تكن مماثلة لتقاليد غيرها من القبائل . وإن الدولة حين بدأت تتكون وحدت العادات والتقاليد وجعلت منها قانوناً ملزماً لجميع الأفراد والأسر والقبائل الداخلين في نطاق الدولة . ولكن قانون كل دولة لم يكن يتفق في الغالب مع قوانين الدول الأخرى ، وظل هذا الخلاف حتى بدأت المرحلة الأخيرة من التطور القانوني في أعقاب القرن الثامن عشر على هدى النظريات الفلسفية والعلمية والاجتماعية ، فتطور القانون الوضعي من ذلك الوقت حتى الآن تطوراً عظيماً وأصبح قائماً على نظريات لم يكن لها وجود في العهود السابقة . وأساس هـذه النظريات الحديثة العدالة والمساواة والرحمة والإنسانية . وقد أدى شيوع هذه النظريات في العالم إلى توحيد معظم القواعد القانونية في كثير من دول العالم ، ولكن بقي لكل دولة قانونها الذي يختلف عن غيره من القوانين في كثير من الدقائق والتفاصيل .

هذه هي خلاصة لنشأة القانون وتطوره والمراحل التي مر بهـا تبين بجلاء أن القانون حين نشأ كان شيئاً يختلف كل الاختلاف عن القانون الآن ، وانه ظل يتغير ويتطور حتى وصل إلى شكله الحالي . وأنه لم يصل إلى ما هو عليه الآن إلا بعد تطور طويل بطيء استمر آلاف السنين .

نشأة الشريعة :

وإذا كانت هذه هي نشأة القانون ، فان الشريعة الإسلامية لم تنشأ هذه النشأة ولم تسر في هذا الطريق . لم تكن الشريعة قواعد قليلة ثم كثرت ، ولا مبادىء متفرقة ثم تجمعت ، ولا نظريات أوليـة ثم تهذبت . ولم تولد الشريعة طفلة مع الجماعة الإسلامية ثم سايرت تطورها ونمت بنموها ، وإنما ولدت شابة مكتملة ونزلت من عند الله شريعة كاملة شاملة جامعة مانعة لا ترى فيها عوجا ، ولا تشهد فيها نقصاً ، أنزلها الله تعالى من سمائه على قلب رسوله محمد ﷺ في فترة قصيرة لا تجاوز المدة اللازمة لنزولها ، فترة بدأت ببعثة الرسول وانتهت بوفاته أو انتهت يوم قال الله تعالى « اليوم أكملت لـكم دينكم وأتممت عليـكم نعمتي ورضيت لـكم الإسلام دينا » سورة المائدة : ٣

ولم تأت الشريعة لجماعة دون جماعة ، أو لقوم دون قوم ، أو لدولة دون دولة ، وإنما جاءت للناس كافة من عرب وعجم ، شرقيين وغربيين ، على اختلاف مشاربهم وتباين عاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم ، فهي شريعة كل أسرة ، وشريعة كل قبيلة ، وشريعة كل دولة ، بل هي الشريعة العالمية التي استطاع علماء القانون الوضعي أن يتخيلوها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يوجدوها .

وقد جاءت الشريعة كاملة لا نقص فيها ، جامعة تحكم كل حالة ، مانعة لا تخرج عن حكمها حالة ، شاملة لأمور الأفراد والجماعات والدول ، فهي تنظم الأحوال الشخصية والمعاملات وكل ما يتعلق بالأفراد ، وتنظم شئون الحكم والإدارة والسياسة وغير ذلك مما يتعلق بالجماعة ، كما تنظم علاقات الدول بعضها بالبعض الآخر في الحرب والسلم .

ولم تأت الشريعة لوقت دون وقت ، أو لعصر دون عصر ، أو لزمن دون زمن ، وإنما هي شريعة كل وقت ، وشريعة كل عصر ، وشريعة الزمن كله حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد صيغت الشريعة بحيث لا يؤثر عليها مرور الزمن ، ولا يبلي جدتها ،

ولا يقتضي تغيير قواعدها العامة ونظرياتها الأساسية ، فجاءت نصوصها من العموم والمرونة بحيث تحكم كل حالة جديدة ولو لم يكن في الإمكان توقعها ، ومن ثم كانت نصوص الشريعة غير قابلة للتغيير والتبديل كما تتغير نصوص القوانين الوضعية وتتبدل .

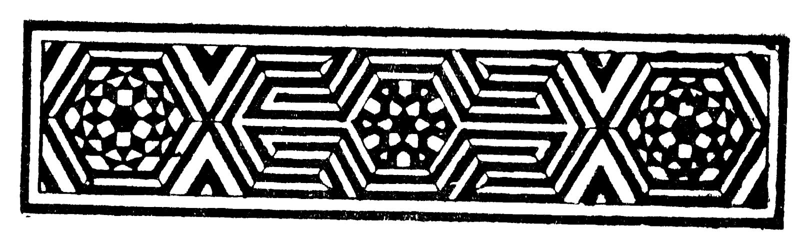
وأساس الفرق بين الشريعة والقانون هو أن الشريعة من عند الله جل شأنه وهو يقول « لا تبديل لكلمات الله » يونس : ٦٤ : وهو عالم الغيب القادر على أن يضع للناس نصوصاً تبقى صالحة على مر الزمان . أما القوانين فمن وضع البشر ، وتوضع بقدر ما يسد حاجاتهم الوقتية ، وبقدر قصور البشر عن معرفة الغيب تأتي النصوص القانونية التي يضعونها قاصرة عن حكم ما لم يتوقعونه .

ولقد جاءت الشريعة من يوم نزولها بأحدث النظريات التي وصل إليها أخيراً القانون الوضعي . . . وحسبنا أن نعرف أن كل ما يتمنى رجال القانون اليوم أن يتحقق من المبادىء لهو موجود في الشريعة من يوم نزولها .

لا مماثلة بين الشريعة والقانون :

ونستطيع بعد أن استعرضنا نشأة القانون ونشأة الشريعة ان نقول بحق إن الشريعة لا تماثل القانون ولا تساويه ، ولا يصح أن تقاس به . وإن طبيعة الشريعة تختلف تماماً عن طبيعة القانون ، ولو كانت طبيعة الشريعة من طبيعة القانون الوضعي لما جاءت على الشكل الذي جاءت به ، وعلى الوصف الذي أسلفنا ، ولوجب أن تأتي شريعة أولية ثم تأخذ طريق القانون في التطور مع الجماعة ، وما كان يمكن أن تأتي بالنظريات الحديثة التي لم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيراً ، بل ما كان يمكن أن تصل إلى مثل هذه النظريات الا بعد أن تعرفها القوانين وبعد مرور آلاف من السنين .

(التشريع الجنائي في الإسلام) عبد القادر عوده



لماذا نريد الدولة الإسلامية ؟

للباحث المهتدى محمد أسد (ليوبولد فايس)

تسنح في حياة كل أمة من الأمم - إن عاجلاً أو آجلاً - لحظة ثمينة ، تجد الأمة نفسها خلالها في حرية تامة لاختيار مصيرها وتحديد مستقبلها ، وهي لحظة يكون فيها القرار الذي تتخذه هذه الأمة ، والمستقبل الذي تستهدفه ، طليقاً من كل ضغط قد تفرضه عليها ظروف مضادة معاكسة ، لحظة لا تستطيع خلالها أية قوة على الأرض أن تمنع الأمة من اختيار الطريق الذي تنشده أو أن تستبدل به طريقاً آخر . ومثل هذه اللحظات التاريخية نادرة كل الندرة في حياة الأمم تمر سريعة خاطفة فإذا لم تستطع الأمة أن تستفيد من سنوحها فقد لا تتاح لها فرصة مماثلة قبل مرور عدة قرون . تجتاز أمم العالم الإسلامي اليوم هذه اللحظة التاريخيه التي تملك فيها حرية الاختيار . فبعد قرن كامل من الكفاح والتضحيات والنجاح والإخفاق والمحاولات المريرة ، استطاعت أكثر الشعوب الإسلامية أن تظفر باستقلالها التام من الحكم الاستعماري الذي كان مفروضاً عليها ، وكان من نتائج هذا الاستقلال أن برزت الى الوجود مسألة المبادىء الاساسية التي يجب أن تحكم هذه الشعوب نفسها بها كيما تحقق لنفسها ما تصبو إليه من السعادة والرفاهية . وإن المسألة لا تتعلق بالكفاءة الإدارية لشؤون الدولة فحسب ، ولكنها تتعلق بالفكرة التي يجب أن يبنى عليها كيان الأمة بأكمله . إن على المسلمين وحدهم أن يقرروا فيما اذا كانت دولهم هذه التي ظفرت باستقلالها أخيراً ستقفو أثر المفاهيم الغربية الحديثة ، هذه المفاهيم التي

تنكر على الدين حقه في توجيه الحياة العملية للبشر ، أو أن تصبح دولاً تقيم في في ربوعها - بمعنى الكلمة - النظام الاجتماعي الذي أراده الإسلام . ذلك بأنه ليس ضرورياً أن تكون الدولة التي يشكل فيها المسلمون أغلبية مطلقة من السكان أو حتى التي يكون كل سكانها من المسلمين دولة « اسلامية » إذ أنها لا يمكن أن تحظى بهذه الصفة إلا اذا كيفت حياتها تكييفاً واعياً مدركا على أساس من مباديء الاسلام السياسية والاجتماعية وإلا اذا أدمجت هذه المباديء في صلب دستورها الاساسي .

ولكن قد يتساءل بعضهم هنا : هل يريد الإسلام حقا من أتباعه أن يعملوا في كل الأزمنة والظروف على إقامة الدولة الإسلامية » ، أم أن المسألة لا تعدو أن تكون رغبة تنشدها هذه الشعوب متأثرة في ذلك بما استقر في وعيها من ذكريات تاريخها القديم ؟ هل يقوم بناء الإسلام حقا على مطالبة المسلمين بتطبيق نظام خاص محدد في مجال السياسة أم أنه يترك للناس - شأن الاديان الاخرى - الشكل السياسي للدولة يصوغونه كيفما شاءوا على ضوء مقتضيات العصر فقط ؟

إن الصلة المحكمة التي تربط الدين بالسياسة ، والتي هي من خصائص التاريخ الإسلامي ومميزاته ، لا تحظي بالقبول عند كثير من المسلمين الذين تلقوا ثقافتهم عن الغرب ، والذين نشئوا على أساس الاعتقاد بأن لكل من مسائل الدين والحياة العملية عالمها الخاص المنفصل بها . ومن ناحية أخرى فإنه من المستحيل أن يكون لدى المرء تقدير صحيح للاسلام ما لم يعط هذه المسألة اهتماما تاما . وإن أي انسان لديه قسط من العلم - حتى ولو كان سطحيا يسيراً - عن تعاليم الإسلام يعرف أن هذه التعاليم لا تقف عند حد تنظيم العلاقة بين الإنسان وخالقه ، ولكنها تتعدى ذلك الى وضع نظام محدد للسلوك الاجتماعي يجب على المسلم اتباعه كأثر من آثار تلك العلاقة وكنتيجة لها . فإذا بدأنا بالتسليم بأن كل مظاهر الحياة الطبيعية انما انبثقت عن ارادة الهية ، وانها لذلك تختص بقيم ايجابية خاصة بها ،

فإن القرآن يجمل في وضوح أن الغاية النهائية للخلق هي تجاوب المخلوقات مع ارادة الخالق وخضوعها لها . وبالنسبة للانسان فإن هذا الخضوع الذي يسمى « اسلاما» يتطلب بداهة تكييف رغبات الإنسان وسلوكه تكييفاً ايجابياً واعياً مع قوانين الحياة التي وضعها الخالق . ومثل هذا المطلب يفترض بطبيعة الحال أن يكون لمفاهيم الخير والشر مقاييس ومعان ثابتة لا تتغير بتغير الأحوال والأزمنة ، ولكنها تحتفظ بصحتها وأصالتها في كل الظروف والاوقات . ومن الواضح أن كل ما وصلنا اليه من تحديد لمعاني الخير والشر أو العدل والظلم من خلال تأملاتنا لا يمكن له أن يتمتع بصفة « الصحة المطلقة » ذلك بأن التفكير البشري تفكير موضوعي من حيث المبدأ فهو عرضه على الدوام للتأثر بزمن المفكر ومحيطه . وعلى هذا ، فإنه اذا صح أن غاية الدين هي تكييف مطالب الإنسان ورغباته وفق ارادة الله ، فلا بدّ للانسان أن يتعلم بأليب لا تقبل الخطأ كيف يميز بين الخير والشر ، وبين ما يجب فعله وبين ما لا يجب .

ان التعاليم المجردة التي نصت عليها علوم الأخلاق كقولهم « أحبب الناس » أو « كن صادقاً » أو « ثق بالله » لا تكفي لأنها عرضة لكثير من التفاسير المتناقضة ان المطلوب هو مجموعة من القوانين المحكمة المضبوطة التي تُنسق - مهما اتسعت دائرة هذا التنسيق - مجال الحياة البشرية بأكملها وفي كل مظاهرها الروحية والمادية والفردية والاجتماعية ، والاقتصادية والسياسية .

إن الإسلام يحقق هذه الغاية عن طريق قانون إلهي هو الشريعة ، وهي تشمل بين دفتيها الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم بعد أن أضيفت إليها (أو بالأحرى فسرتها ووضحتها بالأمثلة العملية) أحاديث الرسول والتي تسمى السنة وهي أسلوب حياته ﷺ . ويرى المؤمن أن القرآن والسنة يكشفان له جانبا من سنة الله الشاملة الكلية في خلق الكون ، وبالنسبة للانسان فإنهما يحويان التحديد الواضح لما يريد الله منا أن نفعل وكيف يريدنا أن نكون .

إن الله يكشف لنا عن ارادته فحسب، ولكنه لا يجبرنا أن نسلك وفق هذه انه يمنحنا حرية الاختيار . ونحن بحكم ذلك نستطيع اذا شئنا أن نستسلم مختارين لشريعته ، كما نستطيع اذا أردنا ان نسير ضد ارادته ، وان نسقط شريعته من اعتبارنا وأن نتحمل العاقبة . لأنه كيفما كان الاختيار فإن التبعة علينا . فمن الواضح إذن أن أهليتنا للحياة وفق تعاليم الإسلام تترتب على استسلامنا لشريعته . بيد أنه على الرغم من أننا قد نختار طريق الطاعة لأمر الله ، فقد لا يتاح لنا دائما تحقيق ذلك على الوجه المطلوب ، لأنه وان كانت الغاية الأساسية للدين الإسلامي هي اصلاح الناحية الفردية في الإنسان ، فإن مما لا ريب فيه أن جزءاً كبيراً من مباديء الإسلام لا يمكن تطبيقه الا عن طريق مجهود موحد لعدد من الافراد ، وهو ما نسميه « بالمجهود الجماعي » .

وهكذا فإن الفرد مهما صحت عنده العزيمة فإنه لن يتمكن بحال من الأحوال أن يصوغ حياته على نحو تام وفقا لتعاليم الإسلام من غير أن يصوغ المجتمع الذى يعيش فيه شؤون حياته أيضا في الإطار الذي رسمه الإسلام . ومثل هذا التعاون الواعي بين افراد المجتمع لن ينبثق عن مجرد الشعور بالاخوة بينهم ؛ لأن فكرة الاخوة لا بد لها من أن تترجم الى حركة اجتماعية ايجابية وهي « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . فإذا شئنا أن نضعها في صيغة أخرى فلنا إنها خلق وصيانة مثل هذا النظام الاجتماعي بصورة تسمح لاكبر عدد من الأشخاص أن يعيشوا في توافق وانسجام وحرية وكرامة . ومما لا ريب فيه أن عصيان فرد من أفراد المجتمع في مسلكه قواعد السلوك الاجتماعي العام يجعل وظيفة الآخرين في محاولة تحقيق المثل الاعلى صعبة ، وتزداد وظيفتهم صعوبة كلما ازداد عدد هؤلاء العاصين .

وبمعنى أوضح : ان استعداد المجتمع للتعاون وفق مباديء الإسلام لتحقيق غاياته سوف يظل استعداداً نظريا ما لم تكن هناك سلطة زمنية مسؤولة

عن تطبيق الشريعة الإسلامية ومنع الخروج عليها - على الاقل في الامور ذات الطابع الاجتماعي - من جانب أي فرد من أفراد المجتمع . ومثل هذه المهمة لا بد لها من أن توسد الى مرجع له من السلطة ما يتيح له الامر والنهي في المسائل الاجتماعية ، وذلك المرجع هو الدولة .

من ذلك يتضح أن إقامة دولة أو دول اسلامية شرط لاغنى عنه للحياة الإسلامية في صورتها التامة .

لماذا لا نرضى بدولة علمانية ؟

ليس هناك شك في أن عدداً لايحصى من المسلمين يرغبون في اخلاص ان تنهض حركة التطور السياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي على أسس اسلامية صرفة ، ولكن ليس هناك شك كذلك في ان الحالة الفكرية السائدة في العالم اليوم تجعل الكثيرين من أبناء الطبقة المثقفة يكادون يعتبرون الرأي القائل بان « الدين لاحق له في التدخل في شؤون الحياة السياسية » من الأمور البديهية المقررة .

وبما أن لفظ « العلمانية » يقترن في أذهان الناس بـ « التقدم » فإن كل اقتراح لتنظيم الشؤون السياسية وتخطيط المناهج الاقتصادية والاجتماعية على أساس الدين يُنظر اليه على أنه حركة « رجعية » أو على أحسن الفروض ، نظرية مثالية بعيدة عن مجال التطبيق العملي . ومن الواضح أن كثيراً من المسلمين المثقفين يشاركون في هذه النظرة ، وفي هذا كغيره من مظاهر حياتنا العصرية يبدو اثر الفكر الغربي واضحاً وضوحاً يلابسه غموض ... الخ

فإذا سلمنا بأن هذه هي الحال الطبيعية التي لابد منها لشؤون البشر والحياة ، كان علينا أن نسلم تبعاً لذلك بأن مصطلحات « الخير والشر » أو « العدل والظلم » لاتحمل حقيقة ملزمة في ذاتها ، وأنها لاتعدو ان تكون خيالات رائجة تتخذ صوراً متعددة تتلاءم مع مقتضيات الظروف الاجتماعية والسياسية .

فإذا تتبعنا هذا التسلسل المنطقي في التفكير هدانا الى موضع لانجد فيه مناصاً من التسليم بأنه لاتوجد هناك في الواقع أية التزامـات اخلاقية تضبط العلاقات البشرية ، لأن مجرد تصور وجود هذه الالتزامات يصبح عبثاً لا طائل تحته اذا لم يكن لها صفة مطلقة .

ونحن عندما يستقر في وجداننا أن مفاهيمنـا عن العدل والظلم والخير والشر هي من صنع البشر وانها مفاهيم تتغير بتغير العرف الاجتماعي والبيئة ، فلا يمكن لها أن ترشدنا كأدلة موثوق بها في طرائق الحياة . ولهذا فنحن في تنظيم شؤوننا الحيوية نطرح جانباً كل الاعتبارات الخلقية ونستهدي مصـالحنا الخاصة فحسب ، هذه المصالح التي تخلق بدورها اضطراباً متزايداً في العلاقات بين الأفراد والجماعات والأمم ، وتهدم باطراد هذا القسط النسبي من السعادة التي منحها الإنسان وهذا فيما نظن يضع التفسير النهائي للبلبلة والقلق اللذين يسودان العالم اليوم .

يستحيل على أية أمة أن تعرف طعم السعادة مالم تكن موحدة من الداخل ويستحيل على اية أمة ان تتحد من داخلهـا مالم تتصل الى نوع من الاتفاق على تحديد واضح لما هو عدل وظلم في شؤون الناس والحياة ، ويستحيل الوصول الى مثل هذا الاتفاق بالتالي مالم تتعارف هذه الأمة على التزامـات خلقية منبثقة من قانون أخلاقي دائم مطلق . ومن الواضح ان الدين - والدين وحده - هو القادر على ان يقدم لنا هذا القانون يمكن ان يوجد أساس الاتفاق داخل الأمة أو المجتمع على الالتزامات الخلقية التي يخضع لها كافة الافراد مختارين . (★)



(★) عن منهاج الإسلام في الحكم ص ١٥ - ٢٥ مع بعض الحذف اختصاراً ردفعاً للتكرار مع ما ضمن في مقدمة المجلة .

السنهوري والتشريع الاسلامي

لقد أشاد هذا القانوني الكبير بالتشريع الإسلامي في مناسبات كثيرة نذكر بعضها :

قال « أليست الشريعة الإسلامية بعد أن تكون شريعة هي شريعة الشرق منتزعة من روح الشرق وضميره ، أوحى بها الله إلى عبد عربي في أرض عربية ؟ ألم يكن الفقه الإسلامي شريعة امبراطورية[1] مترامية الأطراف ، متباعدة النواحي قام عليها أمر الدولة واستقام السلطان والملك ؟ من يعيد لهذه الشريعة جولتها ، ومن يهب فيها بالحركة بعد سكون ؟ أليس من المستطاع أن تتخطى الشريعة أعناق القرون ، فتصبح شريعة العصر ، تتسع لمقتضيات الحضارة وتصبح شريعة الشرق ...؟ تعالى الله ! أيكون العربيون أقدر منا على فهم شريعتنا ، وهم غير مسلمين ، فيرون أنها تصلح أن تكون مصدراً عالياً للقانون [2] ؟ » .

وقال في محاضرة [3] له القاها بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

« إن بلادنا الآن على مفترق الطرق ، فهي بين الشرق والغرب يتنازعها الجانبان وهي بعد أن استقلت ينبغي أن ترسم لنفسها خطى تسير عليها هل هي تريد أن تميل الى جانب الغرب وأن تستعير المدنية الغربية ، فتلبس ثوباً غير ثوبها ، وتقلد مدنية غير مدنيتها ، فتبقى متخلفة عمن تقلده ، وتقنع من كل ذلك بالإنتماء الى المدنية الغربية ذات الصولة والبأس ؟ أم هي تريد أن ترجع الى أحضان الشرق دون أن تجافي المدنية الغربية (الصحيحة) ذات الصولة والبأس ؟ فترفع لواء القومية العربية

---

(١) المجلة : لم تكن الدولة الاسلامية امبراطورية بالمعنى الاستعماري المعروف اليوم . فلا نستحسن استخدام هذه الكلمة

(٢) في مقال نشر بملحق السياسة في تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٣٢ .

(٣) نقلاً عن كتاب الإسلام والشيوعية ص ٤٨ .

(المؤمنة) بين أمم الغرب ، فإذا بلادنا المستقلة وحولها أمم يغضبون إذا ماغضبت ، ويرضون إذا مارضيت ؟

إن كنتم تؤثرون الأمر الثاني – وأنتم لاشك تؤثرونه – فلنرجع في ثقافتنا القانونية الى الفقه الإسلامي ، ولنجعل من هذا الفقه صلة بيننا وبين سائر الأمم العربية ، ولنوثق روابطنا بهذه الأمم ، فنحن أمة عربية شرقية ، ولنا ماض مجيد في زعامة الشرق ؟ فمن الخير أن نصل حاضرنا بماضينا ، وأن نتساوى مع الأقربين . ونحن إخوانهم في اللغة والدم » .

إن هذه الشريعة الإسلامية ، لو وطئت أكنافها وعُبّدت سُبلها ، لكان لنا في هذا التراث الجليل ماينفخ روح الاستقلال في فقهنـــا وفي تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد ، فنضيء به جانباً من جوانب الثقافة العالمية في القانون .

وقال هذا الاستاذ الكبير [١] إن الرجوع إلى التشريع الإسلامي أمنية جميع المخلصين على اختلاف أديانهم ونزعاتهم لينعموا بعدالته ، كما نعم أسلافهم ، ولينجوا من ورطة وفوضى القوانين الاجنبية التي كانت من أهم عوامل ضعف البلاد وانحطاطها ، وشقاء الأمة وتأخرها[٢] .» ولنستمع من جديد إلى نداء العلامة الدكتور السنهوري: « جعل الشريعة هي الأساس الاول الذي نبني عليه تشريعنا لا يزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج بها الصدور وتنطوي عليها الجوانح .

ولكن قبل أن تصبح هذه الامنية حقيقية واقعة ، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن[٢] ، ونرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامي مصدراً من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعاون على قيام هذه النهضة [٣] .

---

(١) الوسيط في شرح القانون المدني الجديد .

(٢) المجلة : في كلام الأستاذ السنهوري هذا نقطة ضعف ، ان الشريعة لا يجوز أن تكون تابعة للقانون المقارن إنما يجب العكس !

(٣) وأعظم ما يمهد لهذه النهضة الإسراع بإنشاء « مجمع للفقه الإسلامي » يضم علمـــاء الشريعة الاسلامية والقانون على أن يكون هؤلاء العلماء متحررين من التعصب المذهبي ، وواسعي الاطلاع على القرآن والسنة . لقد كان لهذا التعصب المذهبي أسوأ الأثر في إبعاد الإسلام الصحيح واثارة الفتن وضعف الأمة ، ولجوء الحكام والمسؤولين إلى القوانين الأجنبية !!



لمن الحاكمية

للأستاذ أبي الأعلى المودودي

لنأخذ بالبحث قبل كل شيء مسألة : من ذا الذي يبوئه دستور الدولة الإسلامية منصب الحاكمية ؟ فهذه مسألة يجيب عنها القرآن بجواب قاطع واضح كل الوضوح ، وهو أن الحاكمية بكل معنى من معانيها لله تعالى وحده ، فإنه هو الحاكم الحقيقي في واقع الأمر ، ولا يستحق أن يكون الحاكم الأصلي إلا هو وحده . ومن أراد أن يفهم هذه الكلمة حق الفهم ، فعليـــه أن يدرك أولاً كلمة (الحاكمية) ومدلولها إدراكاً تاماً .

– وبعد أن شرح العلامة المودودي معناهـا ومدلولها الكامل الشامل قال – :

لمن الحاكمية في واقع الأمر ؟

فأول ما يسأل عنه بهذا الصدد : أفتوجد اليوم حاكمية مثل هذه الحاكمية في الدائرة الإنسانية في واقع الأمر ؟ فإن كانت وأين هي ؟ ومن الذي يقـال إنه حاملها ؟ أفترون في نظام من النظم الملكية ملكاً يحمل هذه الحـاكمية أو وجد من قبل أو يمكن أن يوجد يوماً من الأيام ؟ ولعمر الحق أنكم مهما بذلتم الجهود في البحث واستعرضتم لهذا الغرض أكبر ملك في الأرض وأوسعه سلطاناً ، فإنه يتبين لكم ، إذا حللتم سلطانه تحليلاً ، أنه يجد صلاحياته التي يتمتع بها غيرُ عامل خارجي واحد لا يخضع لإرادته . ومن أجل ذلك تشاهدون علماء علم السياسة كلما وضعوا نصب أعينهم هذا التصور الواضح للحاكمية ثم حاولوا ليجدوا في الدائرة الإنسانية كلها مصداقاً حقيقياً لهذا التصور أعياهم البحث وحاروا في أمرها ، ولم يجدوها إلا

اسماً لا وجود لمسماه أو رؤية لا يمكن تحقيقها . وذلك ما قد بينه القرآن في غير آية من آياته وأوضح للناس أن الله تعالى وحده هو الحامل لهذه الحاكمية وأنه هو الغالب المطلق الأعلى « فعالٌ لما يريدُ » وأنه هو وحده غير المسؤول عن أعماله « لا يُسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون » وأنه هو المقتدر القوي العزيز « بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيء » وأنه وحده الذي لا تحد سلطته قوة من القوى « وهوَ يُجيرُ ولا يُجار عليهِ » وأنه هو وحده المنزه عن الخطأ « الملكُ القدوسُ السلام » .

من ذا الذي يستحق الحاكمية ؟

والسؤال الثاني أننا إذا صرفنا النظر عن الحقيقة الواقعة في نفس الامر وبوأنا أحداً من غير الله تعالى منصب هذه الحاكمية ، فهل يستحق في حقيقة الامر أن يكون حكمه القانون ، ولا يكون لاحد ممن سواه حق من الحقوق ، ويطيعه الجميع طاعة مطلقة ولا يجوز سؤاله عن الخير والشر ولا الصحة أو الخطأ فيما يأتي يأتي من الاعمال ؟ وكل من يُخوّل هذا الحق سواء أكان فرداً من الافراد أو هيئة مؤلفة من الافراد أو أغلبية سكان الدولة . لا بد أن يسأل في أمره : على أي أساس قد نال لنفسه هذا الحق ؟ وأي حجة على أنه يستحق هذا الحكم على الافراد ؟ وغاية ما يمكن أن يجاب به عن هذا السؤال هو أن الافراد أنفسهم قد رضوا بأن يكون حاكماً عليهم . ولكن هل يسعكم أن تسلموا أنه إذا باع رجل نفسه بمرضاة نفسه لرجل آخر فقد نال عليه المشتري حقوق الملكية المشروعة ؟ وإذا كانت هذه المرضاة لا تبيح هذه الملكية ، فكيف يكون مجرد رضاء الجمهور الناشيء عن سوء فهم منهم هو المبيح لوجود حاكمية من الحاكميات تسيطر عليهم ؟ والقرآن يحل هذه المعضلة ويبين للناس أنه لا يحل لاحد غير الله أن ينفذ حكمه في عباد الله ، وما هذا الحق إلا لله وحده ، وذلك أنه هو ـ وحده ـ خالقهم « ألا له الخلقُ والامرُ » وهذا شيء لا يمكن أن يرفضه كل من يؤمن بالله ويعترف له بالخلق .

من ذا الذي ينبغي أن تكون له الحاكمية؟

والسؤال الثالث أنه إذا ضربنا الصفح عن كون شيء على الحق أو الباطل وعهدنا بمنصب الحاكمية إلى سلطة إنسانية ، فهل نضمن بذلك فلاحاً للإنسانية ؟ ولعمر الحق أنه لا يمكن أن يكون للإنسان من الكفاءة ومؤهلات الحكم ما يجعل له صلاحيات غير محدودة للحكم على الافراد ، ولا يكون لاحد من حق بازائه ويسلم له الجميع بالنزاهة في أقواله وأعماله لا ، والله . . .

– وبعد أن شرح ذلك قال :ـ

حاكمية الله القانونية :

ولأجل كل هذا قد بت الإسلام في مسألة الحاكمية القانونية وقضي أنها لله تعالى وحده ، الذي لا يقوم هذا الكون ولا تسير شؤونه إلا على حاكميته الواقعية ، والذي له حق الحاكمية على الناس من غير مشارك ولا منازع . وذلك ما بينه القرآن وبدأ في ذكره وأعاد في ما لا يكاد يعد من آياته وبقوة من البيان لا يمكن أن يؤتى بمثلها لإثبات أمر من الامور ، فقال : « إنِ الحكمُ إلا لله . أمرَ أنْ لا تعبدوا إلا إياهُ . ذلكَ الدينُ القيمُ » (يوسف : ٤٠) وقال في موضع آخر « اتبعوا ما أُنزلَ إليكمْ من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء » (الاعراف : ٣) وقد عبر عن الانحراف عن حاكمية الله القانونية بالكفر الصريح في آية ثالثة حيث قال « ومنْ لم يحكمْ بما أنزلَ الله فأولئك همُ الكافرون » (المائدة : ٤٣) . ويتضح وضوحًا تاما من هذه الآية أن الإسلام والإيمان إنما هما عبارة عن التسليم بحاكمية الله القانونية والإذعان لها ، وما الجحود بها إلا كفر صريح .

منزلة الرسول :

وممثلو هذه الحاكمية القانونية لله تعالى هم الانبياء والرسل في هذه الدنيا ، أي أن الانبياء والرسل هم الوسيلة التي بها نعلم ما وضع لنا شارعنا (Legal Soveriengn) من قانون أو شريعة . ولأجل ذلك قد كلف الإسلام أبناءه أن يطيعوا الرسل

طاعة تامة . والله تعالى ما أرسل إلى أمة من أمم الارض رسولاً إلا وأعلن فيهم « اتقوا الله وأطيعون » وقد جعل القرآن هذا مبدأ قاطعا من مبادئه « وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاعَ بإذنِ الله » (النساء : ٦٤) ، « من يُطع الرسولَ فقد أطاع الله » (النساء : ٨٠) ، حتى إن القرآن ليأبى أن يسلم بإسلام رجل لا يسلم بكون الرسول هو المرجع الاخير فيما يختلف فيه الناس من امورهم ، فقال « فلا وربك لا يؤمنونَ حتى يُحكموكَ فيما شجرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويسلموا تسليما » (النساء : ٦٥) . وقال « وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولهُ امراً أن يكونَ لهمُ الخيرَةُ من امرهمْ ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً » (الاحزاب : ٣٦) .

فلا يبقى بعد هذا عند الرجل منزع للشك أن الاسلام ليست الحاكمية القانونية التامة فيه إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ .

ما الحاكمية السياسية إلا لله تعالى وحده :

هذا وقد تبين لكم رأي الإسلام وحكمه الواضح الصريح في المسألة الدستورية المهمة . وربما يسألني سائل « فلمن الحاكمية السياسيه » (Political Soverienty) إذن ؟ « فالجواب الوحيد الصريح لهذا السؤال » « أنها لله تعالى » ولا يمكن أن يكون لهذا السؤال جواب آخر ، لأن أي وكالة (Agency) تقوم لتنفيذ حاكمية الله تعالى بالقوة السياسية ، لا يمكن أن يقال لها بلغة السياسية والقانون ذات حاكمية (Soveriengn) بوجه من الوجوه . ومن الظاهر أن القوة التي لا تحوز الحاكمية القانونية والتي قد ضيّق صلاحياتها قانون أعلى لا قِبَل لها بالتغيير فيه ، لا يمكن أن تكون حاملة للحاكمية ...

وأما نظامنا الجمهوري الذي نعبر عنه « بالخلافة » فلا يكون الجمهور فيه إلا حاملي الخلافة لا الحاكمية نفسها . فكما أنه تتألف الحكومة في جمهوريتهم لتدبير شؤون البلاد وتتغير بالرأي العام ، كذلك تتقاضى جمهوريتنا أن لا تتألف الحكومة ولا تتغير إلا بالرأي العام ، ولكن الفرق بيننا وبينهم أنهم يحسبون جمهوريتهم حرة مطلقة العنان ونحن نعتقد الخلافة الجمهورية متقيدة بقانون الله عز وجل [1] .

---

(١) راجع نظرية الإسلام السياسية للمؤلف : (نقل هذا البحث عن كتاب نحو الدستور الإسلامي) .

الإسلام دين ودولة

للمرحوم الأستاذ محمد الخضر حسين

قال المرحوم العلامة الشيخ محمد الخضر حسين من جملة ردّه على من يزعم ان الإسلام شيء والحكم شيء آخر .

● يعتقد المسلمون ان النبي ﷺ كان رسولاً نبياً ومؤسس دولة سياسية ، وساروا على هذه العقيدة ألفاً وثلاثمائة سنة ، فلم يجدوا في طريقهم مشكلاً تتعثر فيه أفهامهم ، أو قتام شبهة يثور في اذهانهم ، فضلا عن عقبات تقوم في وجوههم ...

● للرسول ولاية على قلوب امته ، من اجل ما تحمله من تصديق رسالته وإجلال مقامه ، ومن مقتضيات التصديق برسالته الاعتقاد بحكمة مايجيء به من أوامر ونواه ...

● ولاية الرسول ﷺ كانت على القلوب ثم على الأجسام ، وكانت ولاية هداية وتدبير لصالح الحياة ، وكانت رياسة دينية وسياسية ، وكلاهما من عند الله ولا بعد بين السياسة والدين إلا في نظر قوم لا يكادون يفقهون حديثا .

● اجمع المسلمون على ان إصلاح السياسة شطر من مقاصد الإسلام ، وهل ادّعوا مع هـذا ان الإسلام رسم للسياسة خطة معينة ووضع لكل واقعة حكما مفصلا ؟

الحق انهم لم يفعلوا ذلك ، بل ملأوا كتبهم ببيان أن الشريعة فصلت بعض أحكام لا تختلف فيهـا أحوال البشر ، ثم وضعت أصولاً ليراعي في تطبيقها على الوقائع حال الظروف الحافة بها ، ومن هـذه الأصول قاعدة « رعاية المصالح المرسلة » وقاعدة « العاده محكّمة » وقاعدة « سدّ الذرائع » وقاعدة « المشقة تجلب التيسير » وقاعدة « ارتكاب أخفّ الضررين » وقاعدة « الضرر يزال »

● مدار شرائط الاجتهاد على أمرين :

(أحدهما) فهم مقاصد الشريعة ...

(ثانيهما) القدرة على انتزاع الأحكام من دلائلها المبثوثة في الكتاب والسنة .

● فالتشريع الإسلامي قائم على رعاية المصالح ، وما هي الا المصالح التي توضع في ميزانه المستقيم ، وهذا الميزان المستقيم ، لا يبخس شعباً من الشعوب مصلحته التي يشهد بها العقل السليم ، ولا يوجد يفصّل حكماً واحداً يجريه على كل شعب وفي كل زمان ، إلا إذا لم تختلف فيه مصالح الشعوب ، فإن اختلفت اختلافاً يعقله العالمون فلكل شعب حكم وسياسة ، وذلك تقدير العزيز العليم [1] .

محمد ﷺ للجميع

.. مضى وانقضى ذلك الزمان المظلم الذي كان يعتقد فيه بعض البسطاء من المسلمين أن محمداً خاصٌ بالمسلمين لا يحق لغيرهم أن يشاركهم ، بتعظيمه وتبجيله ، مضى وانقضى ذلك الزمان الذي كان فيه ذوو الأغراض من زعماء النصارى يصورون محمداً صورة مشوهة رغبة منهم في إبعاد قلوب العرب النصارى عن حقيقة المهمة الاجتماعية التي قام بها ، وعن حقيقة الأخلاق النبيلة التي جبل عليها حتى لا يندفعوا بالإعجاب والتمسك بأهدابه ورسالته تمسكهم بأهداب كل زعيم رفع رأسهم ... [2]

جورج شدياق

(١) عن (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) ص ١٦٣ - ١٨٥ باختصار .

(٢) من مقال معرّب للأستاذ شدياق صاحب جريدة الساحل البرازيلية (راجع مجلة التمدن الإسلامي العاشر) ٣٠ رجب ١٣٦٣ (٢٠ تموز ١٩٤٤) باختصار .

عمر بن الخطاب والذميون...

للأستاذ محمد الغزالي

مسلك عمر نحو الذميين :

إن الخليفة الراشد عمر من أعرف الحكام بطبيعة الإسلام وأدراهم بما يكنه هذا الدين للبشر جميعاً من عطف وود ، وإن ما يحفظه التاريخ من مسلك عمر نحو البلاد المفتوحة ونحو آلها ليس موضع مراء وريبة . روى أبو يوسف في كتاب الخراج أن عمر مرّ على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟ فقيل له إنهم أقيموا في الجزية ! فكره ذلك ، وقال : « هم وما يعتذرون به ، قالوا : يقولون : لا نجد ؟ قال دعوهم ، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون . ثم أمر بهم فخلى سبيلهم . . وهذا الذي رواه أبو يوسف يوافق ما رواه مسلم في صحيحه عن حكيم بن حزام أنه مر بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب على رءوسهم الزيت ! فقال . ما هذا ؟ قيل : يعذبون في الخراج ! وفي رواية حبسوا في الجزية ! فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » . فدخل على الأمير فحدثه ، فأمر بهم فخلوا .

قال أبو يوسف . وحدث أن مر عمر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، وكان شيخاً ضرير البصر ، فضرب عمر عضده ، وقال له من أيّ أهل الكتاب أنت ؟ فقال يهودي . قال فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده ! ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له أنظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم

تخذله عند الهرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين والفقراء هم الفقراء المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ثم وضع عنه الجزية .

والعاطفة التي جاشت بالرحمة في نفس عمر نحو هذا اليهودي البائس ، نبعت من قلب متحمس للإسلام ، متمسك بعباداته ، وقد كان عمر شديداً في دين الله ، ولكن الشدة التي عرف بها لا تعني التعصب الأعمى والضغينة القاسية على المخالفين للدين من أهل الكتاب الأولين ، روى الترمذي عن رسول الله « ثلاث من كن فيه نشر الله عليه كنفه ، وأدخله جنته : رفق بالضعيف ، وشفقة على الوالدين ، وإحسان إلى المملوك » .

وروى يحيى بن آدم في كتاب الخراج أن عمر لما تدانى أجله أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله : « أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً ، وأن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وألا يكلفهم فوق طاقتهم » وقال الدكتور ا . س . ترتون مؤلف « أهل الذمة في الإسلام » : وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد هذا القول . وهي شهادة البطريرك « عيشو يابة » ، الذي تولى منصبه ٦٤٧ – ٦٥٧ هـ . إذ كتب يقول : إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون . إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسينا وقسيسينا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا » .

والظاهر أن الاتفاق الذي تم بين عيشويابه وبين العرب كان لصالح النصارى فقد نص على وجوب حمايتهم من أعدائهم ، وألا يحملوا قسراً على الحرب من أجل العرب ، وألا يؤذوا من أجل الاحتفاظ بعباداتهم وممارسة شعائرهم ، وألا تزيد الجزية المجبية من الفقير على أربعة دراهم ، وأن يؤخذ من التاجر والغني اثنا عشر درهما ، وإذا كانت أمة نصرانية مسلم ، فإنه لا يحق لسيدها أن يجبرها على ترك دينها أو إهمال صلاتها والتخلي عن صيامها » .

إن نصوص هـذه المعاهدة التي تمت في مطالع القرن الثالث عشر للميلاد تنبيء عن روح التسامح الذي كان يسود بلاد الإسلام ، يومئذ ، على عكس ما كان

يزخر بلاد المسيحية من مجازر ومخاز في معاملة المذاهب المخالفة والأقليات الضعيفة .

قال الدكتور توفيق الطويل في كتابه « قصة الاضطهاد الديني » تحت عنوان مذبحة الألبيين في ١٢٠٩ :

« أصدر مجلس أفيون قراراً دعا فيه القساوسة إلى مطالبة السلطة المدنيـة باستئصال الهرطقة ، وهدد البابا « انوسنت » باتخاذ قرار الحرمان ضد كل أمير يرفض الاستجابة لهذه الدعوة . وبعد ستة أعوام قرر مجمع « لاتران » أن يقسم كل حاكم يطمع في أن يكون في عداد المؤمنين بأن يجاهد ما وسعه الجهاد ، حتى يستأصل من إقليمه كل من تسمهم الكنيسة بالهرطقة .

ولنعد إلى الحديث عن مذبحة الألبيين . فشا الإلحاد في لنجيدوك على يد الألبيين من رعايا أمير تولوز ، وكان هـذا في عهد أنوسنت الثالث الذي بلغت البابوية على يديه أوجها ، فأشار على أميرهم أن يستأصل الهرطقة من إمارته ، فأبى الأمير أن يذعن لمطلبه ، وعندئذ نهضت الكنيسة لإبادة الحركة وأعوانها ، فأعلنت غفران كل ذنب ارتكبه من يجاهد للقضاء عليها وصبت عذابها على أعدائها ولو كانوا نساء أو أطفالا وتعقبتهم شنقاً وحرقاً وإعداماً » .

فانظر إلى الحالة الاجتماعية في عصر واحد بين بلدين تختلفان في الدين . وانظر إلى حمق البابوات وضيق عطنهم وغلظة قلوبهم في معاملة أعدائهم . !

وقد تدهش إذا علمت أن الهرطقة التي تحاربها الكنيسة لم تكن إلا مقدمات اليقظة العقلية والتحرر الفكري الذي شمل أوربا كلها في أواخر العصر المدرسي .

. . . وقد بلغ من مرونة النظام الإسلامي أن اعتبر أهل الذمة جزءاً من الرعية الإسلامية (مع احتفاظهم بعقيدتهم) ومن ثم عقد المعاهدات الخارجية ممثلا فيها المسلمين والذميين معاً كأمة متحدة ، وقد روى أبو يوسف في كتاب الخراج : « لما صالح عبد الله بن أبي السرح ملك النوبة تقرر في الصلح أنه أمان وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاوروهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة . وأخذ النوبيون على أنفسهم العهد بحماية من نزل ببلدهم أو طرقه من مسلم أو معاهد » .

واستمتاع الذميين بحريتهم الدينية وضمانهم لمصالحهم العامـــة كان ملحوظاً في المعاهدات التي أبرمت بينهم وبين المسلمين في إبان الفتوحات الكبرى . وإليك نص المعاهدة التي أمضاها عمر بن الخطاب مع رسل « سفرنيوس » أسقف بيت المقدس كنموذج لموقفه مع المسيحيين ، إذ قال ـ كما روى الطبري :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل « إيلياء » من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الارض بما شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل « إيلياء » من الجزية . ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وختم عمر الكتاب بتوقيعه وشهد عليه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان .

وهذا العهد الذي أبرمه عمر يتفق مع ما سنذكر بعد من وصايا النبي ﷺ في معاملة أهل الكتاب ، ومع ما استقرت عليه الاوضاع في علاقات المسلمين بغيرهم .

أخرج أبو داود عن رجل من جهينة ان رسول الله قال : « لعلكم تقاتلون قوما فتظهرون عليهم فيتقونكم بأموالهم دون انفسهم وذراريهم فيصالحونكم على صلح فلا تصيبوا منهم فوق ذلك . فإنه لا يصلح لكم » .

وعن العرباض بن سارية قال : نزلنا مع رسول الله قلعة خيبر ، ومعه من

معه من المسلمين ، وكان صاحب خيبر رجلا مارداً متكبراً . فأقبل إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ! لكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا ؟ فغضب رسول الله - لما حدث - وقال : يابن عوف اركب فرسك ، ثم ناد : إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن ، وأن اجتمعوا للصلاة ، فاجتمعوا ، ثم صلى بهم ، ثم قام فقال : أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا ما في القرآن ؟! ألا وإني والله لقد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر ، وإن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم ، إذا أعطوا الذي عليهم . »

وحدث أن يهود خيبر أرادوا رشوة عبد الله بن رواحه ليقلل ما يأخذه من خراج أرضهم - على حسب الصلح الذي تم بينهم وبين المسلمين - فقال عبد الله « تطعموني السحت ؟ والله قد جئتكم من أحب الناس إلي - يعني رسول الله - ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ... ولا يحملني بغضي إياكم على ألا أعدل فيكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض . »

هكذا صنع المسلمون بأهل الكتاب وعلى هذه العدالة التامة قامت المعاهدات .

إن رعاية الحق وإقامة العدل هما أساس الصلة التي ينشئها الإسلام مع أبناء الديانات الأخرى .

وعبد الله بن رواحة يمقت اليهود أشد المقت ، ولكنه يأبى أن يجور عليهم في حكم ، وقد روى عن بن الخطاب أنه قال لقاتل أخيه زيد بن الخطاب : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم !

فقال الأعرابي القاتل : أفتظلمني حقي يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : لا . ! فقال الأعرابي : إنما يأسى على الحب النساء !

ومسلك عمر ، وابن رواحة وغيرهما ليس إلا استجابة لقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى . واتقوا الله إن الله خبير بما

تعملون » فالعدالة – ولو مع الأعداء المبغضين – خلق فرغ الإسلام من توفيره في سياسة الجماعات والأفراد. فكيف إذا كانت هذه السياسة تجاه معاهدين مسالمين؟

انتصار الاسلام لذمي بريء :

حدث في المدينة أن سطا رجل معروف بإسلام ، يدعى طعمة بن أبيرق ، على أهل بيت من المسلمين ، وسرق منهم درعا ثم خبأها عند يهودي ، وبحث أصحاب الدرع عنها فوجدوها في بيت اليهودي ، فاتهموه بأنه سارقها ! وذكر اليهودي أنه أخذها من طعمة وديعة ، وأنه بريء من أية ريبة تتجه إليه !.

وكانت القرائن تتضافر على اتهام اليهودي ! فالدرع عنـــده ثم هو يهودي ! وطعمة يحلف أنه ما أخذ الدرع ، ولا استودعها أحداً ، وقد ذهب قومه إلى الرسول يطلبون منه أن ينصر رجلهم لأنه مسلم ظاهر البراءة وخصمه يهودي ، ولا ينبغي أن يخذل رجل معروف بإسلامه أمام آخر معروف بيهوديته . والقضية أمام الرسول غامضة ، فهو لم يؤت معرفة الغيب « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلكٌ » .

ولم تتكشف له طبائع النفوس وخفاياها البعيدة وهي مما استأثر الله بعلمه « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » .

وقد جاءه قوم « طعمة » يجادلون عن صاحبهم ويطلبون من الرسول أن يخاصم دونه ، وأن يأخذ اليهودي بالعقاب ، وأن يدع القضية تمر بظواهرها الغريبة دون مزيد من البحث والاستقصاء .. وإذا بالوحي ينزل كاشفا الغطاء عن الحقيقة المخبأة ، مبرئاً ساحة اليهودي المحرج ، دامغاً خصمه بأنه خائن أثيم – وإن تظاهر بالإسلام – مؤنباً قومه لجدالهم عنه وسعيهم لدى الرسول كي يجادل عنه كذلك ..

وبدأت الآيات الكريمة بخطاب الرسول « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

فالقرآن مظهر الحق وجوهره والحكم به لإقرار الحق بين الناس قاطبة ، فالناس أمام الحق سواء ، يهوداً أو نصارى أو مسلمين .

فإذا خان رجل — يدعي الإسلام فلن يكون أهلاً لمخاصمة الرسول عنه، ولو كان ضد يهودي أو نصراني أو مجوسي . ومن ثم يقول الله له : « ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً اثيماً » .

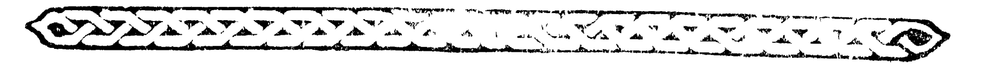
ثم يتوجه التقريع إلى قوم السارق الذين حسبوا الإسلام عصبية عمياء ، والذين توهموا أنه ما دام في القضية يهودي ظنين فعليه أن يحمل الوزر ! ولو كان مظلوما ! فيقول الله لهم « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول . وكان الله بما يعملون محيطاً . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً . » ؟؟

ثم يتوجه الوحي إلى السارق بالنصيحة كيما يرجع عن غيه ويتوب من ضلاله « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » . ويحذره ويحذر غيره من المسلمين ألا يرموا بآثامهم جزافا ، فإن إسناد الجرائم ، إلى الأبرياء إثم كبير ، مهما كانت أجناسهم ودياناتهم ، فإن السيئة تقع على رأس مرتكبها وحده « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليماً حكيماً . ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثما مبيناً » .

ويعود الوحي الكريم مرة أخرى ينبه الرسول إلى التيقظ لألاعيب الخصوم وكيد المتقاضين ، فإنهم يلبسون الحق بالباطل ، وفي سبيل النجاة بأنفسهم وإهلاك أعدائهم يضللون القضاء ، ويحيرون القضاة « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك . وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

أرأيت إلى هذه النذر المتتابعة والنصائح الحكيمة ؟ أرأيت إلى هذه المعالم الواضحة والخطوط المستقيمة ؟ أرأيت إلى آيات القرآن العزيز وأسلوبها في خطاب الرسول ومن حوله ، وإنصافها الأبرياء أيا كانوا لم هذا كله ؟ لإنقاذ يهودي كادت القرائن تدينه وإدانة رجل يعرف بإسلام بين قوم يتعصبون له بوصف أنهم جميعاً مسلمون ..!! (★)

(★) عن (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) ص ٣٠ — ٥٧ مع بعض الاختصار .



قيدوا الحريات في الدستور

الحرية بين التقييد والإطلاق

للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

لعل هذا مطلب يرى الكثيرون أنه غريب في عصر كعصرنا وبيئة كبيئتنا، راح كثير من المرشحين للنيابة فيما يرشحون أنفسهم على أساس حماية الحريات العامة دون قيد ولا شرط، لإغراء المتحللين على انتخابهم. ونذكر أن أول من دعا الى اطلاق العنان للحريات دون قيد ولا شرط المجمع العلمي الصهيوني في بوردو أيام الثورة الفرنسية ليدفع الشعب الفرنسي في طريق الانحلال والضلال والدعارة.

وننقل فيما يلي بحثاً هاماً يحض فيه كاتبه الأستاذ عبد الرحمن الوكيل المحامي على وجوب تقييد هذه الحريات التي اطلقت كالذئاب الضارية لتفتك بدين الناس واعراضهم واخلاقهم.

ليس في الوجود، ولا عند العقل مايسمى حرية مطلقة. بل كل حرية مقيدة بقيد قد يكون ظلما أو عدلا، أما القيود الظالمة فنحن أول الدعاة الى تحطيمها، أما العادلة فنحن أول الدعاة الى بقائها وحراستها حفاظا على الفكر نفسه، وعلى الأخلاق، وعلى الدين. فليست حريتك مطلقة في جمع المال، بل هي مقيدة بوجوب اتباع السبل المشروعة لجمعه، وإلا كان الغصب والنهب والسلب والسرقة، وليست حريتك مطلقة، وأنت تسير في الطريق، بل هي مقيدة بوجوب مراعاة آدابه، وإلا كانت ضعة الأخلاق. ألا ترى الصحف في كل ساعة تلح على حماة الآداب من الشرطة أن يبالغوا في مراقبة الشباب الماجن المستهتر من أحلاس العربدة في الطريق، وأن يأخذوهم بالشدة الرادعة حماية للأخلاق والأعراض؟! فهل حماية هذين أولى عند حرية الفكر من حماية الدين القيّم وعقائد المؤمنين به، وهو الدين

الذي تسمو به الأخلاق، ويجعل المقاتل دون عرضه من الشهداء ؟ ! أحماية المرأة السافرة الماجنة السفور من ذئب تتقتّل له الشاة ليأكلها أولى من حماية الدين ممن يدسون له السم، وهم خاشعو النفاق في المحاريب ؟ !

لقد أذنت الحرية المطلقة للمرأة أن تسفر بالفتنة الآثمة في الطريق، وأن تبيح لحمها لشهوة كل ذئب منهوم، وأذنت الحرية المطلقة لهذه الحيوانات أن تتدين بما شاءت، وأن تتخلق بما تهوى، فكيف تريد الحرية المطلقة من شبابها المائع الماجن أن يكون على جوع الغريزة صبوراً، ونهمها جلدا، فلا يأكل من لحم المرأة مايريد ؟ ! أتؤجج النار، وتلهب السعارَ، ثم تقول : اخمد أيها اللهب واعقل أيها الكلب المسعور ؟ ! باللحرية المطلقة تلطخ بدم الجريمة يديها، ثم تسميه أصباغ وجنات وشفاه ! ! .

وإذا حاولنا حماية المرأة بما حماها به الدين، وتكريمها بما كرمها به، وسما بشأنها، وإذا حاولنا دعوة الشباب الى حمى الدين يحتمي به من فجور الغي، ويجني من مجانيه العزة والكرامة والسمو، إذا حاولنا ذلك قالت الحرية المطلقة : رجعية وجمود في القرن العشرين !! فلا تطيق الحرية المطلقة وذنابها أن يسمعن كلمة الله، ولو أن الإسلام دعاها إلى الخير لسمته بغي الشر، ولو دعاها « مستر فلان » إلى أن تعلق دم الرذيلة لبشرت بدعوته على أنها روح الفضيلة ؟ !

تلك هي الحرية المطلقة، وهذا هو هدفها، وتلك وسيلتها في تحطيم الأخلاق، وتدمير الفضائل ! ! وليست حريتك مطلقة في الملكية، بل هي مقيدة بوجوب مراعاة مايملك غيرك، وإلا كان البغي والجور، بل ليست حريتك مطلقة في التصرف فيما تملك. بل هي مقيدة بوجوب الإحسان فيه، وإلا كان السفه والخبال، وأقيم عليك قيم يتصرف لك في مالك، وما تملك، وليست حريتك مطلقة في الأمر بمعروف، أو نهي عن منكر، بل هي مقيدة بوجوب مراعاة ماسماه الله معروفاً، وما سماه الله منكراً، هذا قيدها العادل، اما قيدها الظالم الذي يجب ان يتحطم

فشهوات الباغين ممن يضارون بالدعوة إلى المعروف ، والنهي عن المنكر ، وهكذا لو فكرت في كل معاني الحرية لوجدت بجانب كل حرية قيداً عادلاً رحيما حكيما يقيد اطلاقها ، ويخصص عمومها ، ويحدها بحدود ينبغي أن لاتتعداهـــا ، وإلا كانت الفوضوية المطلقة ، وإلا كان عالم وحوش انفلتت غرائزها ، وجمحت شهواتها ، فاندفع كل وحش منها ليجعل الآخرين بعض صيده !! وهذا فرق مابين الغاب بحيوانه ، والعالم بإنسانه ، فالإنسان له عقل يقيده ، وضمير يحكمه ، ودين يحدد له مايصح أن يسلكه من سبيل . وكل هذه السلطات المعنوية تحد من حرية صاحبها وتقيدها . أما الحيوان المسعور ، فهو زعيم أولئك الذين ينشدون الحرية الفكرية المطلقة !!

فإذا كانت الجماعة البشرية قد تواضعت على ذلك ، واستكانت لما قيدها به العقل والضمير ، والعرف الخاص ، أو العام من قيود ، فلم نتعالى على الحق الذي يوجب أن تكون الدعوة إلى الله في حدود ما أمر الله به ، وبينه رسوله ، لا كما يريد المستغلون وتنمق الشهوات ، وتشتهي امرأة الأساطير !!

فإذا طالبنا بجعل الهيمنة للقرآن على كل كتاب يؤلف في الدين ، وبوجوب عرض هذه الكتب على هداه ، حتى لا يصل إلى أيدي الشباب مايحيل يقينهم ريباً ، وما يبتليهم بالشبهات فوق الشبهات ، وما يزلزل فيهم الثقة في أن هذا الدين هو خير الأديان ، وأسماها هدى وحقا وحكما وعدلا . أقول : إذا طالبنا بذلك فلسنا بدعاً في هذا الأمر ، ولسنا أعداء حرية الفكر ؛ إذ ثبت لك مما قدمته أن حرية الإنسانية -حتى وهي في ذروة مدنيتها - وحضارتها العليا ، خضعت لقيود العقل والعرف راضية ، فكيف تتعالى هذه الحرية اليوم على الحق ، وتأبى إلا أن تقول في الدين الإسلامي ماتشاء ؟ وإخال لو أن كتاباً ألف بحرية مطلقة في الناحية الجنسية لتعالت أصوات دعاة الحرية الفكرية تلح في مصادرته وإحراقه ، والبطش بصاحبه ، والتنكيل به ادعاء لحماية الفضيلة !! أما الدين الإسلامي ؟!

ألا إنهم لايدعون في الحق إلى الحرية الفكرية ، وإنما يهدفون من وراء ذلك إلى الإلحاد والتشكيك في الإسلام باسم الحرية الفكرية . (★)

(★) عن (دعوة الحق) ص ١٦٠ ـ ١٦٣

لماذا نطالب بدستور اسلامي

الأستاذ السيد الشوربجي

هذا الشعب قد آن له أن يعود الى وطنه ، وأن يطلق سراحه فيخرج من هذا المنفى الموحش إلى حياته الحقة التي خلق لها وخلقت له حياته التي رسمها له الإسلام فتأصلت جذورها في نفسه وتعمقت معانيها في روحه ؛ وأخذت عليه مشاعره وعواطفه وأسرت إليها حنينه وشوقه كلما حرم منها .

وتكاد عيني تدمع حينما أذكر أيامنا السوداء الماضية التي كنا نعيش تحت غيومها ونحن سكارى . . أسكرتنا الذلة والمهانة التي كانت تطبعنا وتصم جبيننا وتجعلنا بين الأمم في ركب العبيد والتابعين . . وإسلامنا الحبيب وتقاليدنا المتميزة وطباعنا السامية . . وحياتنا الحقة . . كلها كانت مبتعدة عنا بفعل المؤامرة التي رسمها لنا شياطين الغرب ، والتي تمخضت عن تلك المحنة العاتية التي اكتسحتنا في تيارها حتى اودت بنا إلى دنيا بعيدة كل البعد عن دنيانا الحبيبة .

هذه هي الساعة التي نستطيع فيها أن نكسر أغلالنا وقيودنا وأن ننطلق عائدين إلى ديارنا ليستقبلنا أبونا الأول الحنون . . الإسلام .

الإسلام الذي كان مظهر سيادتنا في عالم الأمس ، حينما كانت الدولة الإسلامية هي أقوى وأظفر الدول على وجه الارض . . والذي سيكون إن شاء الله في مرحلة حياتنا الجديدة مظهر سيادتنا واستقلالنا في عالم اليوم .

ماذا نساوي في حساب العالم إن لم نكن أكثر من توابع متطفلين نسير في ركب كل حضارة ونأكل على كل مائدة ..؟

إن الإسلام سيعطينا مكاننا الحقيقي من هذا العالم ، ولن يكون هذا سوى المكان الذي وضعنا فيه رب العالمين عز وجل .. « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً .. »

وفي نطاق حياتنا الداخلية سيكون للإسلام من السيطرة على النفوس والتأثير على السلوك القدر الذي عجزت كل النظم الوضعية عن الوصول اليه لأنها نظم غريبة لا تجد لها روافد في أعماق النفس ، فأثرها سطحي لا يتولد إلا من الشعور بالرهبة من العقاب بحيث لو أمكن للفرد أن يجد فرصة للتهرب من هذا العقاب لما تردد في الخروج عنها والسخرية منها .

– إن الإسلام هو دين الشعب وعقيدته التي يؤمن بها ويدين لها راضية بها نفسه ؛ مطمئنة إليها عواطفه ومشاعره ، فتجذبه نحوها روحه ، وإذن فالشعب حينما يطيع أحكام الإسلام فإن طاعته لن تكون صادرة عن خوف من الجزاء الدنيوي الذي قد يصيبه وقد يخطئه إذا عجزت وسائل السلطان أن تصل إليه .

ولكن الشعب يطيعها حين يطيعها وهو مؤمن بوجوب هذه الطاعة مقتنع ؛ راض ، مطمئن إليها . وإذا وجد فرصة للهرب من الجزاء الدنيوي ؛ فلن يهرب أبداً من جزاء الآخرة .. لن يهرب من الله الذي يسجل عليه كل شيء .. كل كبيرة وصغيرة ، وسيؤتيه يوم القيامة كتابة منشورا « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » ، « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

☆ ☆ ☆

– من حق هذا الشعب إذن أن يعود الى الإسلام ؛ وأن يثور ضد كل محاولة لإبعاده عنه .

إننا نعلم أنه لا تزال هناك تيارات قوية عنيفة تهب علينا من الغرب المجرم الذي أفقدنا حياتنا طوال القرن الماضي .. وأن هذه التيارات لا تأخذ مجراها الإرهابي العنيف الذي كانت تظهر به فيما مضى ، بل تتمثل في صورة جديدة .

ـ بعد أن اشار الأستاذ الشوربجي إليها قال :ـ

أما الذين يقولون إن الأمم الإسلامية اليوم في تأخر شديد وان هذا يعني أن الإسلام غير صالح

فهؤلاء أيضاً لا نحترم رأيهم هذا . . لأنهم أقاموا نتيجة على مقدمة ولم يقولوا لنا ما هي الصلة بين الاثنين . . وكان الأجدر لو أنهم أنصفوا .

ـ وبعد أن شرح ذلك قال :ـ

أما الإسلام فهو شيء غير هذا تماما . . كالمعدن الثمين . . . كالذهب أو الجوهر لا يؤثر فيه دفنه في الأرض . . . فمهما مر عليه من الدهور فستظل الطبيعة عاجزة عن أن تنال من لمعته أو قيمته .

وفي الوقت الذي نجد للإسلام حركة سياسية قوية تهدف الى إعادة كيانه الدولي . نجد هناك في الغرب نفسه حركة فكرية علمية للإسلام . . تقتن مبادئه التشريعية وتعترف وهي مبهورة مأخوذة بأنه نظام قوي محكم حي لا يموت دائم الحركة ودائم التطور لأن خلاياه ليست جامدة . . وهكذا يعود الإسلام بعد اربعة عشر قرناً بأ كملها فيراه الناس في القرن العشرين بنفس الروعة والجدة والعظمة التي كان يراه عليها الناس في القرن السادس .

بعد هذا هل يقال إن الإسلام لا يحمل بذاته الضمانات الكافية لبقائه ! ؟ (١)

إنصاف تشريعنا

قال الأستاذ شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فينا في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ :
إن البشر لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ انه استطاع رغم اميته(٢) قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي عام .

---

(١) عن الإسلام دستور الحكم ص ٩ – ١٨ باختصار .

(٢) المجلة : فاتت الأستاذ الإشارة إلى أن ذلك من فضل الوحي الإلـهي .

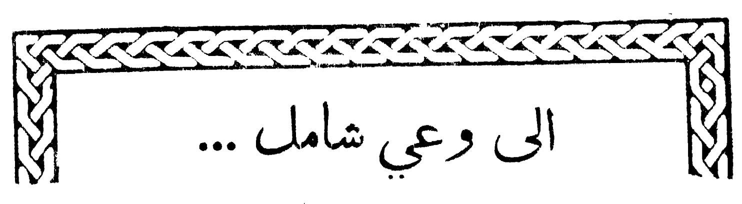
الفقه الاسلامي في المؤتمرات الغربية

للعلامة الأستاذ وحيد الدين سوار

أعلن الأستاذ لامبير Lambert الفقيه الفرنسي المعروف ، في المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في مدينة لاهاي عام ١٩٣٢ ، تقديره الكبير للفقه الإسلامي[١] ثم جاءت قرارات مؤتمر لاهاي للقانون المقارن المنعقد عام ١٩٣٧ معترفة بحيوية الشريعة الإسلامية وقابليتها للتطور ، واستقلالها عن غيرها من التشريعات ، وصلاحها لأن تكون مصدراً من مصادر التشريع عامة (٢) . وكذلك قرارات مؤتمر المحامين الدولي المنعقد في لاهاي عام ١٩٤٨ فقد جاءت معترفة بدورها بما في التشريع الإسلامي من مرونة وأهمية ، موصية اتحاد المحامين الدولي بأن يقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع والتشجيع عليها . ويتجلى أخيراً هذا الاهتمام بالمؤتمرات التي تقيمها شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة تحت اسم « أسبوع الفقه الإسلامي » ولقد عقد آخرها في ٢٣/٧/١٩٥٢ في كلية الحقوق بجامعة باريس برئاسة الأستاذ ميّو Millot أستاذ الفقه الإسلامي في تلك الكلية ، إذ أصدر المؤتمر فيه قراراً يعترف بما لمبادىء الفقه الإسلامي من قيمة تشريعية لا يماري فيها ، وبما ينطوي عليه اختلاف المذاهب الفقهية في هذا النظام القانوني المعظم من ثروة في المفاهيم الحقوقية ، وصناعة هي مناط الإعجاب يتيحان لهذا التشريع الاستجابة لمطالب الحياة الحديثة والتلاؤم مع حاجاتها (٣) (★)

(١) راجع مقالة لأستاذنا الدكتور [illegible] عن صلاح الشريعة الإسلامية للخلود في ميدان التطبيق المدني المنشور في مجلة [illegible] بمجلة نقابة المحامين بدمشق ، السنة [illegible] عدد ٦ ، ٧
(٢) راجع تاريخ التشريع الإسلامي للأساتذة السايس والسبكي والبربري ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .
(٣) [illegible] أخذت على عاتقها إصدار « موسوعة الفقه الإسلامي » وهو المشروع الذي [illegible] عدد من الباحثين في الفقه الإسلامي وبوجه خاص [illegible] مؤتمرنا الذي أشرنا إليه في المتن .
وقد أشارت المادة الأولى من المرسوم الجمهوري رقم ١١٢ الصادر بتاريخ ٣ مايس (مايو) ١٩٥٦ إلى أن غاية هذه الموسوعة هي : « [illegible] مباحث الفقه الإسلامي بمختلف مذاهبه وآرائها في مصنف جامع مرتب على غرار الموسوعات القانونية الحديثة بحيث
(أ) يعرض مواد الفقه الإسلامي عرضاً علمياً حديثاً .
(ب) ويسهل الرجوع إلى نصوصه في كل موضوع للافادة منها إلى أبعد حد .
(ج) ويرشد الباحثين إلى مصادر هذا الفقه ومواطن كل بحث فيه . »

(★) عن مقدمة كتاب الأستاذ سوار (التعبير عن الإرادة في الفقه الإسلامي ص ب) .



الى وعي شامل ...

للأستاذ بشير رفعة

... الوعي سابق الانبعاث . . . والانبعاث يبدأ في اللحظة التي يتحول فيها الوعي . من تأمل مجرد ، إلى طاقة فعالة ... فلا وجود إذاً لانبعاث بدون عمل ... ولهذا السبب ، ستكون الثورة ، النتيجة الحتمية لانبعاث العربي المؤمن ...

وسيقود انبعاثه إلى ثورة شاملة على القيم المزيفة ، والأساليب البالية ، والأخلاق المريضة ، وعلى المدارس الأدبية المضلة ، والأفكار الشوهاء ... وعلى أنظمة الحكم ، وفئات المستغلين ، والمستثمرين ، وعلى هذا المجتمع الضخم التوقعي ... لكي يُنشأ مجتمع مثالي ، يعبر عن حقيقة الكائن العربي المسلم .

والمثالية التي نقصدها ليست انغماسا بالأوهام ، ولا تعلقاً بالخيالات ، أو هي أمانيّ مستحيلة .

إنها بصورة بسيطة .

ارتفاع بالواقع لمستوى الحقيقة .

فهذه المثالية التي ننادي بها ليست إلا حقيقة كائنة ، في جوانب شخصية العربي المسلم ، ومتى أنشىء المجتمع الذي يدل على حقيقة هذه الشخصية ، فإن هذه المثالية ستخرج إلى الوجود وتصبح واقعاً بديهيا .

... إن الجهاد الذي يستهدف الجنة ، يهزم الأعداء ، ويقضي على المستعمرين ، ويقوي شموخ الإنسان ... قبل أن يصل إلى الجنة ، وهكذا نجد أن الغايتين تأتلفان كل الائتلاف ، بل انه يكاد أن يكون من المستحيل وجود عمل لأجل الآخرة ، دون أن ينتج منه مكسب ما نربحه على الأرض .

والغاية ليست الدنيا ، وليست المادة ، ... وإنما هي الآخرة ، وهي الروح .

وكما أن العمل في الدنيا طريق يؤدي إلى الآخرة ، فإن المادة مطية ووسيلة إلى الروح .

فهذه الحياة التي نعيشها ، لا تقاس بذرة بالنسبة إلى الزمن ، ونحن نقضي برهة ههنا ، ... ثم نعبر إلى العالم الآخر .

وهذه الذرة التي نتكدس فيها جميعاً ، أو البرهة التى نقضيها هنا هي التي ستقرر مصيرنا اللانهائي .

لأجل هذا ... نريد أن نثور ، وفي ثورتنا تحقيق لملء ذواتنا ، فهذه الحياة يجب أن نعيشها في كبرياء وشموخ ، وفي عبادة وجهاد .

ودون أن نكون أعزاء عظماء لا نستطيع أن نقابل وجه الله .

إن انبعاث العربي المؤمن هو الذي سيقرر المصير المقبل للعالم العربي ، وهو الذي سيخضع هذه الأقسام من الوطن إلى وحدة مركزية متينة ، وهو الذي سيقضي على إسرائيل ، وعلى الاستعمار ، وعلى مطامع الدول الكافرة .

وفي هذا الوطن الكبير ستسود قيمه ، وتنتشر أخلاقيته ، وتعمم تعاليمه .

وإذا كان العالم اليوم ، نشكو أوجاع الحضارة الغربية ، وإذا كانت هذه الحضارة في الطريق إلى الانهيار ، فإن العربي المؤمن وحده ، بنهضته الشاملة ، وبتعاليمه السامية التي يحملها ، وبروحه الصافية التي تتصل بالله ، هو الوحيد الذي يستطيع أن يقدم إلى هذا العالم ، حضارة كلية ، تنبثق من نفسيته ، وتخرج من كينونته الواعية ، متفاعلة مع نظرته ، إلى الله والكون والحياة ، وهو إذ يسير بقواه النضالية ، فإنه يسير لهدف ، ويمشي وراء غاية ، حاملاً فكرة عظيمة كاملة لسوف تنقذ وطنه الكبير كله ، وتدفع بأمته إلى صدر الأمم العظيمة ،.. وتقرر مصير العالم أجمع . متخذاً من حديث الرسول عليه السلام الذي معناه : « إعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . » شعاراً أبدياً له .

وكما كان العالم القديم ، ينتظر تمخض إنسان جديد ، في وجوده بعث عميق شامل ، للقيم الإنسانية المطلقة ، .. فإن هذا العالم ينتظر نفس الإنسان ، ويهفو كله لإنسان مثالي عظيم ، يستطيع أن يعيد إليه توازنه ، ويرد إليه انسانيته ، ويوجهه نحو الخالق الكبير ، ولسوف يكون العربي المؤمن ، هو هذا الإنسان .

وعندما يبعث ... ينشر النور ، ويسود السلام ، وتعم الأعياد ، وتنثر الأزهار والرياحين ، في كل مكان ، وفي كل بقعة ، وتأخذ الأرض زينتها الدائمة (★) .

(★) مأساة العربي المسلم ص ١٨٢ – ١٨٤ باختصار .

أهداف الدستور الإسلامي لباكستان

من كلمة السيد لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان في المجلس التأسيسي في كراتشي في ٧ مارس ١٩٤٩ المختارات الآتية مع شيء من الحذف اختصاراً :

قرر المجلس التأسيسي .. دستوراً تمارس به الدولة وظائفها مقتفية أثر التعاليم التي لأصحابها الديموقراطية[١] والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعية كما جاءت في تعاليم الإسلام . .

دستوراً (يكيف) حياة المسلمين أفراداً وجماعات حسب تعاليم ومعتقدات الإسلام السمحة كما وردت في الكتاب الكريم والسنة . .

وباكستان لم تنشأ إلا لأن مسلمي شبه القارة أرادوا أن يتبعوا في حياتهم الطريق السوي الذي رسمه لهم الإسلام ، وأن يتعاملوا حسب تعاليمه وتقاليده السمحة ، وإلا لأنهم أرادوا أن يبينوا للعالم أن الإسلام يستطيع أن يجد الدواء الناجع لتلك الأمراض والعلل التي تتفشى اليوم في كيانه وتسرى في بنيانه .

وإننا كباكستانيين لا يعيبنا أننا مسلمون ، لأننا نعتقد بأننا باتباع ديننا القويم وتعاليمه السمحة نستطيع أن نسهم بقسط كبير في رفاهية هذا العالم ، ولهذا ضمنّا ديباجة مشروع قرارنا ايماننا الصريح وعقيدتنا التي لا يعتورها أدنى شك بحصولنا على كل قوة وكل سلطان من رب العالمين . ورأينا هذا وعقيدتنا التي لا يعتورها أدنى شك بحصولنا على كل قوة ، يتعارضان كلية مع آراء وعقائد (المكيافيليين) الذين لا يرعون حرمة للقيم الخلقية ولا يقيمون وزناً للجوانب الروحية ، ولا يسمحون لها أن تسبغ على طريقة حكمهم الشعوب أيّ لون منها .. الخ

---

(١) المجلة : شتان ما بين الاسلام والديموقراطية كما يفهمها أكثر الناس .



مختارات

من دستور جمهورية باكستان الإسلامية (*)

ترجمها ولخصها الاستاذ محمد عادل القليقلي

بما أن السيادة على جميع الكون هي بيد الله القدير وحده ، وأن السلطة التي يمارسها شعب باكستان - ضمن الحدود التي رسمها الله تعالى - هي وديعة مقدسة .

وبما أن مؤسس باكستان القائد الأعظم محمد علي جنه قد أعلن أن باكستان دولة ديموقراطية مؤسسة على مبادىء العدالة الاجتماعية الإسلامية .

وبما أن المجلس التأسيسي الذي يمثل شعب الباكستان قد قرر أن يوضع لدولة باكستان المستقلة ذات السيادة دستور فيه أنه ينبغي أن تمارس الدولة صلاحياتها وسلطتها بواسطة ممثلي الشعب المنتخبين ، كما ينبغي مراعاة مبادىء الديموقراطية والحرية والمساواة والتسامح والعدالة الاجتماعيه كما حددها الإسلام .

وفيه أنه ينبغي تمكين مسلمي باكستان من أن ينظموا حياتهم بصورة فردية وجماعية طبقاً لتعاليم الإسلام ومقتضياته المبينة في القرآن الكريم والسنة .

وفيه أنه ينبغي اتخاذ الاحتياطات الكافيه لضمان تمتع الأقليات بحرية اعتقاداتها وممارسة شعائرها الدينية وتطوير ثقافتها .

وفيه أن الأراضي التي تشملها الآن باكستان أو الملحقة بباكستان - والأراضي التي قد تشملها أو تلحق بها فيما بعد - يجب أن تكون اتحاداً (فدرالياً) ، تتمتع فيه المقاطعات بحكم ذاتي ضمن قيود معينة تفرض على صلاحياتها وسلطتها طبقاً للأوصاف التالية فيما بعد . .

وفيه أنه ينبغي ضمان الحقوق الأساسية ، التي تشمل حقوقاً كمثل المساواة في القيمة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والمساواة أمام القانون وحريه التفكير والتعبير

(★) المجلة : تحمد القارىء الروح الإسلامية قوية صريحة في هؤلاء الاخوان الأعاجم المسلمين الصادقين الذين يريدون أن يسود الإسلام حياتهم ..

والعقيدة والمذهب والعبـادة والمشاركة ، والعدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الخاضعة للقانون والأخلاق العامة .

وفيه أنه يجب اتخاذ التشريعات اللازمة لحماية المصالح الشرعية للأقليات والطبقات المتأخرة والمنحطة .

وفيه أنه يجب ضمان الحماية التامة لاستقلال القضاء .

وفيه أنه يجب حماية سلامة أراضي الاتحاد الفدرالي واستقلاله وجميع حقوقه بما في ذلك حقوقه في السيادة على البر والبحر والجو .

مما يؤدي الى ان يزدهر شعب باكستان ويتبوأ مقامه اللائق المشرف بين أمم العالم ويساهم كل المساهمة في حفظ السلام العالمي وفي تقدم البشرية وسعادتها .

لذلك كله نختار نحن شعب الباكستان في مجلسنـا التأسيسي المنعقد في ٢٩ شباط ١٩٥٦ الموافق ١٧ رجب ١٣٧٥ هذا الدستور ونقرره ونكتبه على أنفسنا .

المادة ٢٤ — على الدولة أن تحاول تقوية اواصر الوحده بين الأقطار الإسلامية وان تدعم السلام والأمن العالميين وترى حسن النية والعلاقات الودية بين جميع الشعوب . وان تشجع تسويه الخلافات الدولية بالوسائل السلميه .

المادة ٢٥ (١) يجب اتخاذ الخطوات الكفيلة بتمكين مسلمي باكستان بصورة فردية وجماعية من تنظيم حياتهم طبقاً للقرآن الكريم والسنة .

(٢) على الدولة أن تحاول بالنسبه الى مسلمي باكستان :

(أ) أن تبذل لهم تسهيلات تمكنهم من فهم معنى الحياة طبقا لتعاليم القرآن الكريم والسنة .

(ب) وأن تجعل تعليم القرآن الكريم اجباريا .

(جـ) وأن تدعم الوحدة وتراعي المثل العليا الخلقية الإسلامية .

(د) وأن تحافظ على أنظمة الزكاة والأوقاف والمساجد .

المادة ٢٨ — (هـ) على الدولة أن تحاول منع البغاء والقمار وتعاطي المشروبات الضارة .

(و) ومنع استهلاك المشروبات الروحية إلا لأغراض طبية أو لأغراض دينية خاصة بغير المسلمين .

المادة ٢٩ — (و) على الدولة ان تحاول إلغاء الربا بأسرع ما يمكن .

تنص المادة ٣٢ – على أن رئيس الدولة يجب أن يكون مسلماً .

المادة ١٩٧ – (١) يجب على الرئيس أن ينشيء منظمة للبحوث والتعليمات تقوم بدراسات ذات مستوى عال من شأنها المساعدة على اعادة بناء المجتمع الإسلامي على أساس اسلامي صحيح .

(٢) يمكن للمجلس النيابي أن يقرر وضع ضريبة خاصة تفرض على المسلمين لتصرف على المنظمة المذكورة .

المادة ١٩٨ – (٢) لا يجوز وضع أي قانون يعارض التعليمات الإسلامية المبينة في القرآن الكريم والسنة وينبغي أن يصار الى تعديل القوانين الحالية بحيث تتفق مع هذه التعليمات .

(٣) على الرئيس أن يقوم في خلال سنة واحدة من يوم الدستور بتعيين لجنة :

(أ) تقوم بالإصلاحات فيما يتعلق باتخاذ الإجراءات اللازمة لجعل القانون الحالي يتفق والتعليمات الإسلامية ، وفيما يتعلق بالمراحل التي ينبغي تنفيذ تلك الإجراءات .

(ب) تضع صيغة مناسبة للتعليمات الإسلامية التى يمكن ادخالها في التشريع فعلاً ، وذلك لتسترشد بها المجالس القومية والمحلية .

وعلى اللجنة أن تقدم تقريرها النهائي خلال خمس سنوات من بدء تعيينها . ويمكنها تقديم تقرير مبدئي قبل ذلك . وينبغي عرض التقرير سواء أكان مبدئياً أم نهائياً على المجلس الوطني خلال ستة أشهر من تسلمه ، وعلى المجلس بعد اطلاعه على التقرير أن يصدر القوانين المتعلقة به .

(٤) لا تمس هذه المادة بأية صور من الصور القوانين الشخصية للمواطنين غير المسلمين ولا قيمتهم الاجتماعية كمواطنين .

صياغة موجزة لمشروع دستور اسلامي

جمع هــذه المقترحات (الأستاذ أبو الأعلى المودودي ونقلها إلى العربية الأستاذ عاصم الحداد ـ) الأستاذ محمد أسد رحمه الله وهي شرح وبيان للمبادىء الإسلامية المستند اليها في صياغة مقترحات الدستور الإسلامي .

مصادر الدستور الاسلامي (١)

١ ـ القرآن الكريم :

فأول مصدر من مصادر الدستور هو القرآن الذي بين الله سبحانه وتعالى أحكامه وقواعد شريعته ، وهذه الأحكام والقواعد التي تشمل جميع شؤون الحياة البشرية ولا تقتصر على هداية الانسان في أعماله الفردية ، بل تتضمن احكاماً ومبادىء أساسية للحياة الاجتماعية ، كما أوضح الله سبحانه فيه للمسلمين المبادىء التي ينبغي أن يقيموا عليها دولتهم وأهداف هذه الدولة .

٢ ـ سنة الرسول ﷺ :

يتبين من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام كيف قام بتنفيذ أحكام القرآن ومبادئه في أرض العرب وكيف أفرغ فكرة الإسلام في قالب العمل وكيف شكل مجتمعاً إسلامياً على أساس هذه الفكرة ثم كيف نظم هـذا المجتمع وأبرزه في صورة دولة كاملة . ومن السنة النبوية نعرف وجهة القرآن الحقيقية وكيفية انطباق المبادىء القرآنية على الأحوال العملية . وهذا ما يقال له في اصطلاح الحقوق الدستورية بالسوابق والتقاليد الدستورية (٢) .

٣ ـ اعمال الخلفاء الراشدين :

---

(١) ملخصة من رسالة « نحو الدستور الاسلامي » صفحة ٠٠

(٢) سوابق Precedents والتقاليد الدستورية Constitutionaltradition

والمصدر الثالث هو تصرفات الخلفاء الراشدين الذين هم سيروا زمام الدولة الإسلامية بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، وإذا رجعنا إلى كتب الحديث والسيرة والتاريخ وجدناها حافلة بالنصوص والسوابق الدستورية وبأعمالهم التي قاموا بها فتكون أسوة لنا وقدوة نقتدي بها .

٤ ـ مذاهب المجتهدين :

والمصدر الرابع هو ذهب إليه المجتهدون في الأمة على حسب معرفتهم للدين وبصيرتهم في أحكامه عندما عرضت لهم مختلف المسائل الدستورية .

المشاكل :

إن هذه المصادر الأربعة للدستور الإسلامي مدونة في الكتب ولا تزال في أيدي الناس والمكتبة الإسلامية عامرة بها .

غير أن هناك بعض صعوبات ومشاكل تواجهنا إذا أردنا أن نقتبس من هذه المصادر المدونة قواعد دستور إسلامي مدون .

وأم هذه المشاكل هي :

١ ـ غرابة المصطلحات :

ففي القرآن الكريم كثير من الكلمات نقرأها في كل يوم ولا نعرف أنها من المصطلحات الدستورية كالسلطان والملك والحكم والأمر والولاية ، فلا يدرك مغزى هذه الكلمات الدستوري الصحيح إلا قليل من الناس ، وقد يسأل بعض المثقفين في حيرة ، أوَ في القرآن آية تتعلق بالدستور . والحق لا داعي إلى العجب من حيرة مثل هؤلاء الأفراد ، فإن القرآن الكريم ما نزلت فيه سورة سميت بالدستور ، ولا نزلت فيه آية بمصطلحات القرن العشرين .

لكننا يستطيع العارفون بالمصطلحات الدستورية في القرآن ان يوضحوها بما يلائم اسلوب الدستور .

٢ ـ الترتيب الغريب للكتب الفقهية القديمة :

لأن الدستور في هذه الكتب اختلط بالقانون ، وفكرة اعتبار الدستور شيئاً مستقلاً عن القانون حديثة نشأت في العصور الأخيرة ، وفقهاء الإسلام بحثوا في المسائل

الدستورية ، إلا أنها موزعة مثلاً في كتب القضاء وكتب الإمارة وكتب السير وغيرها من كتب الفقه الإسلامي .

٣ ـ فساد النظام التعليمي :

والمشكلة الثالثة جاءت من جهة نظامنا التعليمي الذي لا يزال قائماً عندنا على أسس غير صحيحة منذ أمد طويل ، فالذين يدرسون العلوم الدينية عندنا لا يعرفون علم السياسة الجديد ومسائله ولا الفقه الدستوري وما يتعلق به ، ويصعب عليهم أن يفهموا المسائل السياسية والدستورية الجديدة باللغة والمصطلحات الشائعة اليوم ، ثم يبينوا للناس ما للإسلام من المبادىء والأحكام ، فهم في حاجة إلى أن نبين لهم هذه المسائل باللغة والمصطلحات التي يعرفونها ، وعندئذ يمكنهم بسهولة أن يتبينوا فيها مبادىء الإسلام واحكامه وأين مرجعها من القرآن أو كتب الحديث والفقه ، ومن جهة أخرى نرى رجالنا المتعلمين الجدد الذين تسلموا اليوم أزمة نظمنا المدنية والسياسية والقانونية والقضائية ، يعرفون مسائل الحياة الجديدة معرفة تامة ولكنهم لا يعلمون هداية دينهم في هذه المسائل . وهم لا يعلمون عن الدستور والقانون والسياسة إلا ما أتاهم بواسطة تعاليم الغرب ومناهجه ونماذجه العملية ، في حين أن معرفتهم بالقرآن والنظريات الإسلامية ضئيلة جداً .

٤ ــ ادعاء الاجتهاد مع الجهل :

ليس الإسلام ألعوبة في أيدي الأطفال يجوز لكل جاهل فيه أن يعبث بأحكامه وتعاليمه ويصدر فيها آراءه ، وإنما يجوز لكل فرد من أفراد المسلمين أن يبين رأيه ويتكلم في مسائل الشريعة إذا درس القرآن والسنة (١) وصرف جانباً كبيراً من أوقاته وجهوده في تلقي العلوم الاسلامية ، وقد تصدى لهذا الدين بعض من ادعى الاجتهاد وهو جاهل به .

---

(١) المجلة : نذكّر بأن كل فقه لا يستند الى هذين المصدرين الاصيلين وما إليها لا يلزمنا إلزاما .

مواد الدستور المقترح وفصوله

يتألف مشروع الدستور المقترح من (٤٧) مادة موزعة على عشرة فصول حسب الموضوعات التالية :

الفصل الاول : يفيد بأن السيادة في الدولة لله وحده .

الفصل الثاني : يبحث في الخلافة .

الفصل الثالث : يبحث في غاية الحكومة .

الفصل الرابع : يتضمن سياسة الحكومة وخطتها العملية .

الفصل الخامس : يبين المبادىء العامة للحقوق الانسانية .

الفصل السادس : يتكلم على الحقوق المدنية .

الفصل السابع : يبحث عن المدنية .

الفصل الثامن : يحدد حقوق أهل الذمه .

الفصل التاسع : يتعلق بالاستقلال الثقافي لأهل الذمة .

الفصل العاشر : يعود إلى السلطة التنفيذية ويحوي العناصر التالية : ١ – الإمارة ٢ – مجلس الشورى ٣ – العلاقة بين الأمير ومجلس الشورى ٤ . التشريع ٥ القضاء .

الفصل الاول

المادة ١ – السيادة في الدولة لله وحده .

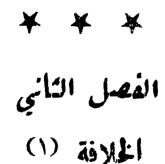
بيانها . لا تكون الحاكمية أو السيادة في الدولة لفرد أو أسرة أو طبقة أو جماعة بل ولا لجميع سكان الدولة ، إن الحاكم هو الله وحده فلا قانون إلا ما يحكم به [1] .

---

(١) راجع شرح هذه النظرية فى كتاب المال والحكم في الإسلام للأستاذ عبد القادر عودة صفحة « ٥١ » وما يليها وكتاب نحو الدستور الإسلامي الأستاذ المودودي صفحة « ٣٥ » وما يليها وكتاب نظرية الإسلام السياسية له أيضاً صفحة « ٢٤ » وما يليها .

المادة ٢ ـ الشريعة الاسلامية هي القانون الأساسي للدولة .

بيانها : إنما وصل القانون الإلهي الى الناس بواسطة الرسالة المحمدية وهي شيئان : أولهما كتاب الله الذي بين الله فيه قانونه ، والثاني شرح لهذا الكتاب وتفسير له قدمه الرسول بقوله وفعله وتقريره من حيث كونه نائباً عن الله عز وجل وخليفته في هذه الدنيا ، فمجموع هذه الأصلين هو ما يسمى بالشريعة الإسلامية التي تعتبر مأخذاً ومرجعاً لقوانين الدولة .



الفصل الثاني

الخلافة (١)

المادة ٣ ـ تكون الدولة بمنزلة الخلافة تحت السيادة الإلهية وإنما تنحصر وظيفتها في أن تحقق مرضاة الله تعالى في هذه الدنيا وفقاً لهدايته المنزلة ، وفي ضمن الحدود التي عينها الرب تعالى .

المادة ٤ ـ الخلافة التي أسست على بنيانها هذه الدولة ، خلافة اجتماعية يشترك فيها جميع أفراد الدولة الذين يعترفون بالمادتين الأولى والثانية ، ويسلمون بها تسليما .

المادة ٥ . أفراد الدولة المتمتعون بحقوق الخلافة وصلاحياتها يؤلفون لإدارة الدولة بانتخابهم الحر العام حكومة تشتمل على أمير ومجلس للشورى ، ويفوضون إليها جانباً من صلاحيات الخلافة التي يتمتعون بها ، فهذه الحكومة تقوم بواجبات الخلافة في الدولة ما دامت حائزة ثقة الجمهور .



(١) عرف الخلافة أو الأمامة العظمى القاضي الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية بقوله الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ص ٣ واقامة الامامة فرض من فروض الكفايات كالجهاد . راجع شرح ذلك في كتاب الإسلام وأوضاعنا السياسية الأستاذ عبدالقادر عودة ص ٩٠ وما يليها .

الفصل الثالث

غاية الحكومة

المادة ٦- غاية الحكومة :

آ – أن تقيم العدالة الاجتماعية في البلاد .

ب – أن تعم في البلاد جميع صور المكارم والفضائل الإسلامية وتحقق لحياة أهلها الطهر والجمال والخير ، وتستأصل الفواحش والمنكر ، وتقضي على كل ما يخرب الأرض ويفسد على الناس حياتهم .

جـ- أن تحافظ على حقوق أهل البلاد .

د – أن تحافظ على حرية أهل البلاد وتحمي الدولة من هجمات الأعداء .

هـ – أن تبذل الجهد المستطاع في الدعوة الى الخير والتنفير من الشر في ما سواها من بلدان العالم .

وكل ذلك وفقاً لمرضاة الحاكم الحقيقي – أي الله عز وجل – وأحكامه .

الفصل الرابع

سياسة الحكومة وخطتها العملية

المادة ٧ - من المحتوم على الحكومة أن تختار لتحقيق الغاية المذكورة آنفاً الوسائل المعروفة المباحة وتكون سياستها مبنية على الصدق والعدالة والأمانة ، وهي تؤثر الحق والأمانة والمناهج الإسلامية على الأغراض والمصالح الذاتية في كل ما يعرض لها من الصلات بين الراعي والرعية في داخل البلاد ، أو بين أمة وأخرى في خارجها .



الفصل الخامس

المبادئ العامة للحقوق الانسانية

(وتلك حقوق تراعى بصفة متساوية في داخل البلاد وخارجها ، وبين أهل البلاد وغير أهلها ، وبين المسلمين وغير المسلمين من أبناء البشر) .

المادة ٨ -

آ - للنفس الانسانية حرمتها لا تقتل إلا بالحق .

ب - كذلك للدم البشري حرمته لا يراق إلا بالحق .

ج - لا يجوز الاعتداء على النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والجرحى في حال من الأحوال (إلا أن يجرم أحدهم نفسه هذه الحرمة ، بعمل حربي أو ما يشاكله من التجسس وغيره .)

د - وكذلك عرض المرأة له حرمته ولا يجوز هتكه بحال .

ه - من حق الجائع أن يطعم ، والعاري أن يكسى ، والشارد أن يؤوى ، والجريح أن يداوى ، والمريض أن يواسى . ولو كان هذا الجائع أو العاري أوالشارد أو الجريح أو المريض من قوم عدوٍ للدولة ، إذ لا يجوز في داخل حدود الدولة أن يحرم أحد الحاجات الإنسانية اللازمة .

و - لا يجوز أن يفرق بين عباد الله في الحقوق الإنسانية الأساسية لأجل اللون أو الجنس أو اللغة أو الحرفة أو القومية أو الوطنية أو الدين .

الفصل السادس

الحقوق المدنية

المادة ٩ - من حق كل واحد من أفراد الدولة أن تكون نفسه وماله وحقوقه الملكية مصونة ، وأن يتمتع بحرية النفس وحرية الرأي وحرية انتخاب المهنة وحرية العبادة وحرية الخطابة والكتابة وحرية الاجتماع والاحتفال وحرية الاستفادة من جميع المؤسسات الاجتماعية للدولة .

وعلى الحكومة أن تحافظ على سائر هذه الحقوق والحريات ولا يسلب أحدمن سكان البلاد حقاً الا اذا ثبتت عليه جريمة قانونية حسب القواعد الشرعية .

المادة ١٠ - لكل فرد من أفراد الدولة حق في المحاولة لكسب رزقه بالطرق المباحة ، لا يحرم هذا الحق أحد ، ولا يؤثر فيه أحد على غيره ، وأبواب السعي لاكتساب الرزق تكون مفتوحة لكل الناس على السواء .

المادة ١١ – كل نعمة من نعم الكون، كماء الأنهار والعيون وحطب الغابة وأثمار الأشجار الطبيعية النابتة في أرض عادية والأعشاب والعلف والماء والهواء وبهيمة الصحراء والمعادن العامة على ظهر الأرض – لا بد في إعدادها أو اصلاح شأنها لجهد الإنسان وكفاءته – مباحة مشاعة (١) للناس، ينتفعون منها بقدر حاجتهم ولا تختص بها هيئة أو فرد، ولا يؤذن بإيجارها دون عباد الله، ويمكنوا من قضاء حاجاتهم منها دون مقابل.

المادة ١٢ – حقوق الملكية التي يتمتع بها الأفراد بالطرق الشرعية المباحة، مصونة جديرة بالحرمة، وعلى الحكومة أن تحافظ على حقوق الأفراد هذه كل المحافظة.

* * *

الفصل السابع

المدنية وأسسها (٢)

المادة ١٣ – كل مسلم، في أية ناحية من نواحي الأرض كان مولده اذا دخل في الدولة أصبح فردا من افرادها، ويتمتع فيها بالحقوق المدنية بمثل ما يتمتع به الذين ولدوا فيها، وسواء عليه في ذلك اذا جاء اليها مهاجراً من دار الكفر أو انتقل اليها بقصد التجارة أو السياحة من دار الإسلام أخرى. (٣)

* * *

الفصل الثامن

حقوق أهل الذمة

المادة ١٤ – ولكل من لا يتفق مع الدولة في مبادىء الحاكمية والخلافة

---

(١) [illegible] أن لا [illegible] ص ١٨

(٢) وهو ما يقال بالانجليزية (Citizenship) أي حق الاستيطان من أهل المدينة، وهنالك أساسات لهذا الحق. للإذن وسكنى دار الإسلام أو الانتقال اليها، راجع رسالة « نحو الدستور الإسلامي » ص ٩٠

(٣) المجلة: لا مانع من التحقيق عنه ووضعه تحت المراقبة مدة خشية من أن يكون منافقاً.

وغاياتها اتفاقاً كلياً ، أن يعيش ذميـــاً في حدود الدولة ، اذا اقر بولائه للدولة وإذعانه لقانون البلاد .

المادة ١٥ – تخول الدولة اهل الذمة علاوة على الحقوق الإنســانية الأساسية والحقوق العامة ، سائر الحقوق التي اقرتها الشريعة لهم . وليس لأحد ان يسلبهم إياها أو ينقصهم شيئاً منها ، غير أن للدولة أن تزيدهم حقوقاً أخرى غيرهــا اذا رأت فيها مصلحة بشرط أن لا تعارض هذه الزيادة مبدأ من مبادىء الإسلام .

المادة ١٦ – كل ذمي اذا حصل على حقوق اهل الذمة او منحها بموجب الدستور لا يخرج من الذمة إلا إذا أعلن خروجه منها بنفسه ، أو نفي ما أقرّ به من الولاء للدولة بارتكاب عمل من أعمال البغي والعدوان الصريح .

المادة ١٧ – :

آ – تراعى المساواة بين المسلمين وأهل الذمة في الحقوق العامة مراعاة تامة .

ب – وكذلك تكون المساواة تامة بين المسلم والذمي في القوانين الجنائية والمدنية .

جـ – لأهل الذمة أن يؤسسوا معابدهم في أمصارهم وكذلك لهم أن يؤدوا شعائرهم الدينية علانية .

د – وأهل الذمة من حقهم أن يلقنوا أبناءهم ومن كان على دينهم تعليم دينهم ، وكذلك يسمح لهم بأن يدعوا غير المسلمين الى دينهم ، ويجوز لهم أن يبينوا محاسن أديانهم أو ينتقدوا الإسلام (١) في حدود القانون .

هـ – وأهل الذمة يقضى في جميع شؤونهم الشخصية والذاتية حسب قانون أحوالهم الشخصية (٢) ولا يطبق عليهم القانون الإسلامي ، إلا إذا طالبوا به بأنفسهم ، أما إذا كان النزاع بين المسلم والذمي ، فلا يقضى فيه إلا حسب قانون البلاد .

---

(١) والمراد بذلك أنه مما يسمح به لكل فرد من أفراد أهل الذمة أن يبقى متمسكاً بديانته التي يدين بها وأن يبين من الأسباب والوجوه ما يصرفه عن قبول الإسلام ، فما يستلزم كل ذلك أن يذكر في بيانه من أمور الإسلام ما لا ينشرح معه خاطره لقبوله ، وكذلك له أن يظهر ما في قلبه من الشبهات والشكوك في عقائد الاسلام وشعائره . أما ذم الاسلام والافتراء عليه والطعن فيه فلا يسمح به القانون الاسلامي لأحد أبداً . وإنا لم نعثر حتى الآن فيما قرأناه من تاريخ الخلفاء الراشدين وسيرهم على شيء يدل على أن أهل الذمة نهوا عن انتقاد الاسلام .

(٢) المعرب وهو ما يقابل بالانكليزية Personal Lawe وبالافرنسية Loi Personnelle

و ـ وأهل الذمة لا تبعة عليهم في الدفاع عن البلاد [1] إلا إذا قدم احدهم نفسه بنفسه لخدمة عسكرية . ويؤخذ منهم حسب أحوالهم الشخصية ضريبة لنفقات الدفاع بدلاً من هذه التبعة عن المسلمين ، لكن هذه الضريبة لا تجبى إلا ممن كان من رجالهم أهلاً للمحاربة [2] ويستثنى منهـا النساء والأطفال والعجزة والشيوخ ، والمنقطعون للعبادة . كذلك يستثنى منها الذين يقومون بخدمات عسكرية .

★ ★ ★

الفصل التاسع

الاستقلال الثقافي لأهل الذمة [3]

(وهذا الحق وإن لم يكن من الحقوق التي يجب أن يكون جزءاً من كل دستور حسب الشريعة الإسلامية ، إلا أنه من الممكن أن يمنحه أهل الذمة حسب قواعد الإسلام) .

المادة ١٨ – يتمتع أهل الذمة بالاستقلال الثقافي ضمن حدود الدستور ، ولهـذا الغرض يسمح لهم بأن يؤلفوا من ممثليهم المنتخبين لجنة يكون من واجباتها :

١ – الإشراف على المعاهد الثقافية والدينية لأهل الذمة .

٢ – التقدم بمطالب أهل الذمة وشكاويهم الى الحكومة .

٣ – الانتقاد لأداة الحكومة وإظهار آرائهم ومقترحاتهم في شؤون البلاد العامة .

٤ تهيئة التوصيات للقوانين المتعلقة بالمسائل الاجتماعية والثقافيـة والأحوال الشخصية لأهل الذمة ، مما يمكن ضمه الى قانون البلاد بعد مـا ينظر فيه مجلس الشورى ويصادق عليه .

---

(١) Defence

(٢) Belligerents

(٣) Cultural atonomy auto

الفصل العاشر

السلطة التنفيذية

١ ـــ الإمارة

المادة ١٩ ـ تفوض مسؤولية إدارة الدولة وتسيير شؤونها الى أمير منتخب يتمتع بجميع صلاحيات الحكم [1].

المادة ٢٠ ـ للأمير السمع والطاعة ما دام مطيعاً لشرع الله ورسوله ومتبعاً له .

المادة ٢١ ـ الأمير لا يكون فوق مستوى الجمهور ووراء انتقاداتهم بل :

١ ـ لكل واحد أن ينتقد عليه ، لا أموره الاجتماعية فحسب ، بل أموره الذاتية أيضا .

٢ ـ لا تكون منزلته في نظر القانون إلا كمنزلة عامة سكان الدولة ، ويجوز أن يرفع عليه القضية الى المحكمة في جميع شؤونه ـ الشخصية منها والعامة ـ ولا يستحق معاملة ممتازة في المحكمة .

المادة ٢٢ ـ يظل الأمير أميراً ما دام حائزاً لثقة الجمهور ، وأما إذا فقد الثقة فيمكن عزله .

المادة ٢٣ . على الأمير أن يسير دفة شؤون الدولة بالمشاورة .

بيانها : والمشاورة في أمر الحكومة مما يفرضه القرآن على المسلمين فرضاً وقد نهاهم عن الاستبداد ، فلا يكون للأمير حق تعطيل مجلس شوراه الى مدة غير معينة ، الا أن له أن يحل مجلساً للشورى لأسباب خاصة ، ويأمر بانتخاب مجلس آخر .

---

(١) اشترط القاضي الماوردي في الأمير سبعة شروط : آ ـ العدالة . ب ـ العلم . ج ـ سلامة الحواس . د ـ سلامة الأعضاء . هـ ـ الرأي المفضي الى سياسة الرعية . و ـ الشجاعة . ز ـ النسب (صفحة ٤) من كتاب الأحكام السلطانية . وذكر الأستاذ عبد القادر عودة في كتاب « الاسلام وأوضاعنا السياسية » ثمانية شروط (صفحة ١٠) وما يليها .

٢ ـ مجلس الشورى وانتخابه (١)

المادة ٢٤ ـ ويؤلف مجلس الشورى من الأعضاء المنتخبين لمساعدة الأمير في ادارة شؤون الدولة .

المادة ٢٥ ـ للأمير حرية تامة في تقرير الأحكام والقياس والاجتهاد والاستحسان حسب القواعد الشرعية .

المادة ٢٦ ـ لا يسمح بأي نوع من التحزب[٢] في مجلس الشورى ، وانما يكون كل عضو منفرداً بشخصه ، ويبدي رأيه حسب ما يراه من الحق والصواب .

المادة ٢٧ ـ وتكون لأعضاء مجلس الشورى الحرية التامة في الاستجواب والانتقاد والاقتراح وابداء الرأي .

المادة ٢٨ ـ لا يجوز للأمير ولا لرجال ادارته أن يكتموا شيئاً عن مجلس الشورى .

المادة ٢٩ ـ حق التصويت لكل من بلغ من الرشد ممن يؤمنون بمبادىء الدولة في انتخاب الأمير وأعضاء مجلس الشورى .

المادة ٣٠ ـ لا يكون أهلاً للإمارة أو لعضوية مجلس الشورى رجلٌ ترشح لها بنفسه أو سعى لها سعيا .

بيانها : لا مجال في الإسلام للترشيح أو الدعاية الانتخابية أصلاً فقد قال النبي الكريم ﷺ « إنا والله لا نولي هذا الأمر أحداً سأله أو حرص عليه » . [٣]

---

(١) أي أهل والعقد الحل .

(٢) الجملة : بعكس النظم الديموقراطية التي تسمح بتأليف الأحزاب المعارضة ، فتحمل هذا الاسم على الدوام سواء أحسنت الحكومة أم أساءت وليس لها من غاية الا استلام الحكم ، ولو أدى ذلك لخراب الوطن !! وقد كان لانشاء هذه الأحزاب المحترفة المعارضة أكبر الضرر في بلادنا !!

(٣) وجاء في الحديث الشريف « لا تسأل الامارة فانك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها » . إن هذين الحديثين متفق عليهما راجع شرح ذلك في كتاب نيل الأوطار للامام الشوكاني الجزء الثامن ص ٢٦ أو راجع ص ١٦٨ من كتاب الاسلام وأوضاعنا ـ

المادة ٣١ ـ يكون انتخاب الأمير بمقتضى المبدأ الخالد الذي يتضمنه قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » .

بيانها : ينتخب للإمارة رجل يكون حائزاً لثقة أكثرية أهل البلاد من حيث التقوى والمعرفة بروح الإسلام والحزم .

المادة ٣٢ ـ يطالب الجمهور عند كل انتخاب عام أن ينتخبوا لعضوية مجلس الشورى رجالا يحوزون ثقتهم من حيث التقوى والمعرفة بالدين والتبصر في أمور الدنيا .

٣ — العلاقة بين الأمير ومجلس الشورى

المادة ٣٣ ـ الأمير هو المسؤول عن ادارة البلاد وتسيير شؤونها الا أنه يدير هذا الأمر بمشاورة مجلس الشورى الذي يترأس عليه هو نفسه .

المادة ٣٤ ـ والأمور في مجلس الشورى يبت فيها بالاكثرية (٢) عموماً وبموجبها تسير شؤون الحكومة كلها .

المادة ٣٥ ـ واذا ما اختلف الأمير ومجلس الشورى ـ أو أغلبية أعضائه ـ في مسألة ولم يرض أحدهما بالنزول عن رأيه وقبول رأي الآخر ، يبت فيها بالصورة الآتية :

١ ـ الأمير يقبل عموماً رأي مجلس الشورى ـ أو أغلبية اعضائه ـ في امور تتعلق بتدبير الملك ومصالح الحكم .

ـ السياسية . والقاعدة الفقهية تقول « طالب الولاية لا يولى » .

المجلة : لعل الظروف الحاضرة تمنع من تطبيق هذه القاعدة لسبب كثرة الناس وجهل الأمير بأحوال رعيته والضرورات تبيح المحظورات وقديماً قال يوسف عليه السلام كما ذكر الله تعالى في القرآن : (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) أما الدعاية الانتخابية فينبغي أن تحصر وتحدد على أن تتاح الى جميع المرشحين ، فلا يتفوق مرشح على آخر بسبب كثرة ماله ووفرة اشياعه .

(١) سورة الحجرات الآية ٤٩ .

(٢) المجلة : وذلك فيما لم يرد فيه نص طبعاً .

٣ - ومجلس الشورى يقبل عموما رأي الأمير في الامور الشرعية الخاصة التي تتعلق بالاجتهاد .

٤ — التشريع

المادة ٣٧ حق التشريع مختص بالله وحده ، فلا يضع المسلمون لأنفسهم قانوناً ولا يبدلون شيئاً من قانون الله تبارك وتعالى[1] .

المادة ٣٨ - لن يكون للأمير ولا لمجلس الشورى ولا لأحد من مجتهدي المسلمين أو علمائهم أن يحرفوا شيئاً من أحكام الله ورسوله الواضحة .

المادة ٣٩ - وما كان محتملاً لوجهين [2] فصاعداً من أحكام الله ورسوله ، فعلى مجلس الشورى أن يعين ما أرادت الشريعة من ورائها أو يستنبط القوانين الفرعية من أحكام الشريعة الأساسية بالقياس أو الاجتهاد .

المادة ٤٠ - الأمور التي لم تنص عليها الشريعة بشيء ، يكون معناه أن الله تعالى قد خول للناس فيها حق للتشريع . ولذلك لا يكون لمجلس الشورى حق التشريع إلا في تلك الأمور التي ما نصت عليهـا الشريعة بشيء ، غير أنه لا يجوز لمجلس الشورى أن يضع قانوناً ينافي روح مجموع نظام الإسلام ويناقض طبيعته .

---

(١) المجلة : قد يعترض قائل : إذا كان حق التشريع مختصاً بالله وحده ، هو فائدة وعمل مجلس الشورى إذاً ، وهو الموكل إليه حق وضع القوانين في النظم الحديثة ؟ فنجيب : يبقى لهذا المجلس أعمال كثيرة منها مراقبة السلطة التنفيذية ومناقشة الميزانية وحق السؤال والاستجواب والتحقيق ومحاسبة الوزراء ، والاشتراك في اعلان الحروب وعقد المعاهدات ... وهكذا يبقى الشعب في النظام الاسلامي هو صاحب السيادة ويظهر دور مجلس الشورى واضحاً في القضايا الاجتهادية التي ليس عليها نص .

(٢) المجلة : لقد كان هذا الاحتمال واقعياً قبل أن تجمع السنة وتصحح ، أما وقد جمعت وشرحت القرآن فحاشا لله تعالى أن يتعبدنـا بدين يفرقنـا ، وقد أمر سبحانه بترك الاختلاف في آيات كثيرة !! وللاحتمالات الجزئية بعد هذا حدودها الضيقة .

٥ — القضاء

المادة ٤١ – يقام في البلاد نظام قضائي للمحافظة على حقوق الفرد والجماعة والحكم بينهم بالقسط ولتنفيذ قانون البلاد .

المادة ٤٢ – والهيئة التنفيذية تتولى تعيين رجال القضاء إلا أن الهيئة القضائية خاضعة للهيئة التنفيذية في أداء مهمتها .

المادة ٤٣ – والمحكمة تكون أبوابها مفتوحة لكل أحد ، ولا تؤخذ الأجرة على إقامة العدل وإدارته .

بيانها: المراد بذلك أن الحاكم لا تأخذ شيئاً من الأجرة على إقامة العدل وفصل الخصومات(٣).

المادة ٤٤ – لا يستثنى أحد من الحضور أمام المحكمة لأجل شخصيته أو أسرته أو ما يتولاه من المنصب في حكومة البلاد .

بيانها : لكل رجل وإن كان أجيراً أو فلاحاً أو فقيراً معدماً له أن يرفع القضية الى مجلس الحكم على العلية من الناس حتى على أمير المؤمنين نفسه ، وللقاضي أن يحكم بالحق ويجري قانون الشرع على الخليفة إذا تحققت عليه القضية كما يحكم على أي رجل من عامة المسلمين ، وكذلك إذا كان الخليفة يشكو من أحد شكوى تتعلق بذاته ، فليس له أن يطفيء غليل نفسه ، ممن يشكوه بما عنده من القوة والسلطة التنفيذية ، بل هو مضطر من جهة الشرع أن يرفع قضيته الى المحكمة كعامة أهل البلاد .

المادة ٤٥ – القضاء في الدولة يكون مقيداً بالقانون الذي يصدره مجلس الشورى ، سواء أكان متعلقاً بتفسير الأحكام او القياس او الاجتهاد او الاستحسان .

المادة ٤٦ – لا يكون في البلاد إلا قانون واحد للعامة والولاة على السواء والمحاكم العامة هي التي تطبقه على الجميع .

المادة ٤٧ – من حق كل احد في الدولة ان يتحدى في المحكمة حكماً من احكام الحكومة على انها تجاوزت حدود القانون او الدستور في إصداره ، وكذلك يمكنه ان يتحدى القوانين التي صادق عليها مجلس الشورى على انه تجاوز حدود صلاحياته الدستورية .

---

(٣) لا نرى مانعاً من أخذ الأجرة عن طريق وضع الطوابع لتسديد نفقات الموظفين أو بعضها على أن يستثني الفقير العاجز عن الدفع .



مشروع الدستور

عن (نظام الإسلام)

عرض المؤلف في هذا المشروع ـ من الكتاب ـ مصولا بدأها بأحكام عامة حول العقيدة الاسلامية التي هي أساس الدولة وأساس الدستور وسائر القوانين الشرعية .. وأن القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الصحابة والقياس هي الأدلة التفصيلية للأحكام الشرعية .. وجعل المادة ٥ كما يلي :

تنفذ الدولة الشرع الإسلامي على جميع الذين يحملون التابعية سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين على الوجه الآتي : (آ) تنفذ على المسلمين أحكام الإسلام جميعها (ب) يترك غير المسلمين وما يعبدون وما يعتقدون . (ح) يعامل غير المسلمين في أمور المطعومات والملبوسات حسب أديانهم ضمن النظام العام . (د) تفصل أمور الأحوال الشخصية بين غير المسلمين كالزواج والطلاق مثلا حسب أديانهم . وتفصل بينهم وبين المسلمين حسب أحكام الإسلام . (ه) تنفذ الدولة باقي أمور الشريعة الإسلامية من معاملات وعقوبات ونظام حكم واقتصاد وغيرها على الجميع ، ويكون تنفيذها على المسلمين وعلى غير المسلمين على السواء .

ونص على الأمة ، والتابعية ، واللغة العربية ، وبراءة الذمة ، ومسئولية الاسلام وحمل دعوته

ثم كان عنوان نظام الحكم فنص على قواعده وأركانه وما الى ذلك .. والولا والقضاة والجيش ..

ثم كان عنوان **النظام الاجتماعي** وعرّفه بأنه النظام الذي يبحث علاقة المرأة بالرجل ، وما ينشأ عن هذه العلاقة وينظم صلات التعاون بينهما .

ثم كان عنوان **النظام الاقتصادي** وقد حوى شؤون الملكية ، وبيان الضروري للمرافق العامة وغير ذلك .. والزكاة والنقد ، والشئون الزراعية والصناعية وضمان ايجاد الأعمال ..

ثم كان عنوان سياسة التعليم فنص على أن يكون أساس العقيدة الإسلام وأن تكون سياسته تكوين العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية ، وأن تكون غايته إيجاد الشخصية الإسلامية وتزويد الناس بالعلوم والمعارف المتعلقة بشئون الحياة .. ونص على وجوب تعليم الثقافة الاسلامية في جميـــع مراحل التعليم ، وأما غير الاسلامية فيدرس منها في مرحلة الدراسة الثانوية ما لا يتناقض مع الإسلام . وأما العلم فيدرس حسب الحاجة ولا يقيد في أي مرحلة من مراحل التعليم ، ونص على الفنون والصناعات وعلى برنامج واحد للتعليم وعلى إلزامية التعليم ومجانيته مكافحة الأمية .

ثم كان عنوان السياسة الخارجية فجعل السياسة رعاية شئون الأمة داخليـــاً وخارجياً ، ونص على إقامة دولة الإسلام ، وعلى علاقاتها بغيرها ، وعلى السفارات لدى الدول غير المحاربة ، وعلى عقدها المعاهدات .. وعلى المعامـلة وعلى رعايا الدول وعلى الاستغلال والاستعمار ..

* * *

ومشروع الدستور هذا للأستاذ النبهاني ليس مشروعاً مبرّأ من كل ما قد يؤخذ عليه ،وإنما ذكرنا به ليكون من المصادر المنسقة ، والحقائق كثيراً ما تكون وَلِيدة البحث والتعـاون ..

مبادىء الاسلام وقواعده الدستورية

... ما كان يضرّنا بالأمس ويحملنا على إخفاء شخصية الإسلام لم يعد يضرّنا اليوم ، فقد تفتحت العقول ، وانتصر العـلم ، وأصبح العالم أجمع في حضارته الحديثة كأنه أسرة واحدة ، وتشوقت النفوس بعدما أصابها من مآسي التفرقة وتناحر المبادىء إلى صوت السماء وصوت السلام ، فأعلنوا للعـــالم مبادىء الإسلام ، وقواعده الدستورية ، كما أشرنا إليها فإنها السبيل الوحيدة لضماد جروح الإنسانية وانهـــا السبيل الوحيدة لجمع الكلمة فيما بين أبنائهـــا والتعايش فيما بينهم بسلام ...

من محاضرة (مبادىء الإسلام الدستورية) ... **معروف الدواليبي**

من عواطف مفكري النصارى نحو الإسلام

● قال القانوني الكبير الأستاذ فارس الخوري :

(إن محمداً أعظم العالم ولم يجد الدهر بمثله . والتشريع الذي جاء به أوفى الأديان كلها ، وأتمها وأكملها ، يحتوى على ألوف المسائل العلمية والاجتماعية والتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الشريعة التي دعا الناس إليها باسم الله ، بأنها متفقة مع العلم ، ومطابقة لأوفى النظم والحقائق العلمية . !)

● وقال الكاتب الأديب المعروف لبيب الرياشي في كتاب (نفسية الرسول العربي) بعد أن بين ندمه على جهله سابقاً نفسية الرسول العربي ، ونور سيرته ونفحاتها :

(هذا وان مواطنينا من النصارى ليس في كتابهم تشريع دستوري ولا قضائي مفصل ، فهم لذلك لا يتقاعسون عن قبول الإسلام كتشريع ونظام — لا كدين بنظرهم — ولهم فيه كل فخر ما دام عربياً من لحمهم ودمهم .)

● وجاء في كتاب الأزاهير في الدين والحكومة للأستاذ أمين ظاهر خير الله صليباً — وهو كتاب كان ألفه خصيصاً لتوجيه الحكومة الفيصلية — ١٣٣٨ — ١٩١٩ — :

(إن الألسنة هنا — في القطر السوري — لاكت كلمة هي أن الحكومة العربية ستكون على قاعدة أنها لا دينية . وذلك ما لا يصح . .

فالحكومة غصن والدين أرومة . . ولا يكون لغصن نضارة ، وليس له أرومة . وصحة الوضع أن تكون الحكومة العربية حكومة إسلامية ، تتساهل بمقتضى ما للاسلام من السماحة والعدالة الواقعية ، فتظل بوارف نعمتها كل عربي مسلماً وعيسوياً وموسويا (ص ٣) .

وقال هذا الأستاذ نفسه في خلاصة كتابه المذكور ما موجزه :

ـ الإسلام دين الحكومة الرسمي فمواد الحكومة تستقى من أصوله ، لا ان كل فرد من الشعب العربي يجب عليه أن يعتنقه .

وإن على كل موظف في الحكومة العربية أن يعود في مواد عمله الى أصولها من الدين الإسلامي ، فإن كان مسلماً عمل بها لأنها شرع دينه ، ومعتمد حكومته ، وان كان غير مسلم عمل بها لأنها من الشروط التي تم الاتفاق عليها بينه وبين الحكومة التي استخدمته على العمل (ص ٣٩٦) .

● من قصيدة للشاعر القروي الشهير رشيد سليم الخوري :

عيد البرية عيد المولد النبوي	في المشرقين له والمغربين دوي
عيد النبي ابن عبد الله من طلعت	شمس الهداية من قرآنه العلوي
بدا من القفر نوراً للورى وهدى	يا للتمدن عم الكون من بدوي(١)

ومن قصيدة للشاعر رياض معلوف :

عيدك اليوم غبطة وابتهـاج	لجميع الأعراب والله يشهد :
اية ! قرآنك الكريم كتاب	رائع كله ، ودر منضد
عـبَر كله وقول كريم	كلما طال عمره يتجـدد
وكفى العرب فخرهم بانتساب	انبي هو النبي محمـد

ومن قصيدة للشاعر الياس فرحات :

ان في الإسلام للعرب عـلا	ان في الاسلام للناس اخوه
فادرس الإسلام يا جاهله	تلق بطش الله فيـه وحنوه
يا رسول الله ، إنا أمـة	زجها التضليل في أعمق هوه
ذلك الجهل الذي حاربتـه	لم يزل يظهر للشرق عتوه

---

(١) المجلة : الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدوياً فقد ولد في مكة .

ومن قصيدة للشاعر الياس فاعور :

بزغتْ ، ولكن من جبين محمد شمس تدل على سناه الأنور
أحمد ، ولأنت أرفع رتبـــة من كل سام في الورى وموقر
اني لأعجز عن مديحك عالمـــا أني أعود بصفقة المتحير
اطلعت شمسك فاختفت وتضاءلت كل النجوم وسال ذوب المرمر
وملأت أفئدة الخصوم بحكمـــة فياضة ، وبهرت كل مفكر
فرقانه كالشمس تسطع في الضحى وحديثه كضيـــاء بدر مُقمر

ومن قصيدة للشاعر الياس قنصل يخاطب فيها محمداً ﷺ :

وبنيت أعظم دولة نثرت على قاصي الوجود صلاحها والداني
ان غاب بعض رواتها فلأننـــا نحن المصادر ـ لا الزمان الجاني
لم نمتثل لك بالفعال ولم نلذ بحماك يوم تحامل القرصان
فتخاذلت أخلاقنا ، وأصابنا مالا يقاس بعضل السرطان

النص على الدين في الدساتير

من دساتير الدول النصرانية التي نصت على الديانة السائدة فيهـــا هي المسيحية ، دستور اليونان (المادة ١) وبلغاريا (المـــادة ٣٧) وايتاليا (المادة ١) وبولونيا (م ١١٤) ورومانيا (م ٢٣) ونروج (م ٢) وايرلنده (م ٤٤) وبيرو (م ٥) وكوستاريكا (م ٥١) وباناما (م ٢٦) ونيكاراغو (م ٥٥) وبوليفيا (م ٢) وكولومبيـــا (م ٤٠) والأرجنتين (م ٢) وباراغواي (م ٥) .

وتنص جملة من هذه الدساتير على المذهب أيضا .

شرعة الخلق السامي ... (★)

الشاعر الأستاذ محمد علي الحوماني

أنت جددت شرعة الخلق السامي ونقيتها من الأدران
لم ينل قائم على الحق في العالم ما نلت من رضى الديان
يا رحيما أشعت في كل نفس قبسات من نورك الرحماني
فرأينا المدى بغير عيون ووعينا الصدى بلا آذان
ولمسنا بغير أيد أياديك علينا جليلة الإحسان
فإذا كل عارف نير الفكر مدين لهن بالعرفان

★ ★ ★

أنت سددت بالحصافة نهج الفكر فانصاع قيم البرهان
وتعالى بها إلى الأفق الأعلى سليل المياه والأطيان
ومشى كل صادر عنك في الظامين ريان عبقري الحسان
فإذا ابن التراب يأنف أن لا يتحدى الأفلاك بالدوران
وإذ كل معجز يتلقى عبقري الخلود من عدنان

★ ★ ★

أنت آثرت أن تقيم على الفقر دعام الرقي والعمران
فلبست الأيام لم تزه بالمعطف من خزها ولا الطيلسان
ولمست الحصى فتاه على الدر وأزرى بروعة المرجان
وأثرت الهيجاء تعصف بالفرس وتجتاح هيكل الرومان
يترامى إليك بالنصر من بيدائه كلُّ جائع عريان ...

(★) من قصيدة مطلع (في ديوان النخيل) .

يا أمتي هذي الغراس...

للأستاذ أحمد مظهر العظمة

وطني قرأتك شامخَ الأمجاد ... تسمو عن الأغوار والأنجاد

تسمو إلى الشعرى بمجدٍ دائب ... تهفو إلى شمس العلا برشاد

وتدلُّ فالدنيا إليك فقيرة ... وتجلُّ عن خدَع وعن إيعاد

كانت تسودك شرعة علوية ... كفلت علاك على مدى الآباد

نفخت بروعك من هداها حقبة ... فغدوت في الفتح المبين الهادي

ونظرت فالبلدان دُورك فوقها ... علمٌ يقيه بأهله الآساد

الرشد فتحها وما السيف الذي ... يثنى بفاتح نهيةٍ وفؤاد

ولكم جمعتَ به القلوب على الهدى ... ورفعت ذكر العدل والإرشاد

حطمت أغلال الهوان وجهله ... وأمطت عن بصر عصائب عادي

ونصحت حتى كنت أصدق ناصح ... وصفحت حتى عن أذى الأوغاد

ووددت أن تحيا الشعوب سعادة ... ووردت تسقيها الهدى بوداد

وطني قرأتك مثلُك الفجرُ الذي ... تحظى به الدنيا مدى الآباد

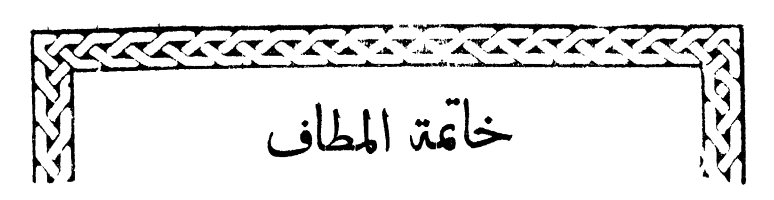
هلا رجعت وفي الرجوع تقدم ... أعلاك للقرآن للأمجاد

فحكمت بالشرع المنير وحكمُه ... دربُ الهدى والعدل والإعداد

يا أمتي هذي الغِراس فظللي ... دستورك الفوّاح للأحفاد

حطمتِ أغلال الدخيل فحطمي ... تقليده الأعمى بغير سداد

لا يرتضي العربي ذلة سائل ... وهو الغني بشرعة الإسعاد



خاتمة المطاف

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

أما بعد فقد عرضنا جملة من مآثر التشريع الإسلامي ودستوره ، وصورنا الحاجة الملحة الى ذلك ، ونقلنا آراء نخبة من كبار العلماء ورجال القانون في الشرق والغرب عن تشريعنا الإسلامي ومبلغ عظمته وقدرته على حل مشكلاتنا وضمان السعادة والعدالة والرخاء لنا ، بما لايدع مجالاً لمنصف أن يتردد في تفضيله ، وبددنا الأوهام التي يتناقلها بعض الناس خوفاً على غير المسلمين إذا حكم الإسلام مع العلم ان هؤلاء ليس لهم تشريع قانوني ديني ، وذكرنا ما ينال هؤلاء من خير في ظل التشريع الإسلامي السمح العادل مع ضآلة عددهم بالنسبة الى جمهور الأمة المتعلقة بهذا التشريع تعلقاً وثيقاً وهو من صميم دينها ومجدها ، وهو يزيدها ثقة أيضاً بمجلسها التأسيسي والنيابي وحكومتها ، كمايكسبها ثقة ومؤازرة خمسمئة مليون مسلم، يقطن أكثرهم في جوارنا وقد أيدونا في أزماتنا الحالكة ، ولئن شذت بعض حكوماتهم الدائرة في فلك الاستعمار ، فإن العبرة للشعوب التي تكره الاستعمار وتعمل على التخلص من أحابيله ، وهي تكن لنا الحب والتقدير ، وتجعلنا في مكان الأسوة الحسنة مادمنا متمسكين بتشريعنا الإسلامي ، الذي يقضي على جميع مانشكو منه من أنواع الجرائم والمفاسد التي ثبت عجز القوانين الوضعية عن القضاء عليها .

ولا شك أن القوانين الإسلامية خالدة خلود القوانين الكونية وكل من هاتين الفئتين من لدن رب العالمين العزيز الحكيم ، العليم بحاجة البشر أينما كانوا . ولم يفتنا رد زعم الذين يقولون إن الدين لاحساب له في الدساتير ، فذكرنا بدساتير جملة من الدول غير المسلمة التي تنص في دساتيرها على الدين بل على المذهب ، ولم يستنكر أحد ذلك منها مراعاة لجمهور الأمة ، ونضيف القول الآن بأن اسرائيل التي قامت دولة مزعومة بجوارنا واغتصبت ما اغتصبت من فلسطين الغالية وطردت أهلها منها ، قائمة على أساس ديني وينص دستورها

على ذلك ، ولم يستغرب أحد من الدول هذا منها ، واتخذت اسماً لها نبياً من الأنبياء وهو صلوات الله وسلامه عليه بريء منها ومن جرائمها .

ياقوم ! تعالوا معنا نقوم بالفرضية الآتية في تقليد الغرب وقوانينه ومدنيته : لنتصور أننا وصلنا إلى الغرب بعد قطع عشرات السنين وإنفاق مئات الملايين من الليرات ، فماذا نستفيد ، وهذا الغرب نفسه - باعتراف مفكريه وفلاسفته - يسير من سيء إلى أسوأ وهو في حالة خطر دائم وقلق مستمر على الرغم مما توصل اليه من مخترعات ومستكشفات ، زادت في بلائه وشقائه

والسبب كل السبب هو من نظمه ودساتيره الوضعية التي تحكم والتي عجزت عن إعداد الحياة المستقرة له .

ياقوم !

هذه حال الغرب شرقه وغربه ، فكيف يدعو داع او يطمئن نائب مخلص الى السير وراءه واتخاذ دساتيره وقوانينه ؟

أيها النواب أيها المفكرون المخلصون هانحن أولاء نضع بين أيديكم خلاصة عن حججنا ومطالبنا من أجل دستور اسلامي يكفل السعادة والرفاهية والسلام لهذه البلاد التي لم تشعر بطعم الهناءة والراحة من يوم تخلت عن الإسلام ، واتخذت القوانين الوضعية الأجنبية بديلًا عنه .

ونحن إذ نطالب بكل هذا ، فلا نقنع - كما قنع غيرنا من البسطاء - بمطالبة وضع نص دين الدولة الإسلام في صلب الدستور ، كما وضعته بعض الدول الإسلامية والعربية من قبيل ذر الرماد في العيون والضحك على السذج ، إننا نطالب بقوة ، نطالب بشدة أن نحتكم الى الإسلام في جميع شؤوننا التعليمية والتربوية والاقتصادية والقضائية والسياسية وغيرها من شؤون الحياة ، إذا كنا جادين في السير في طريق المجد والعظمة .

وإنني أعجب من أمة كالأمة العربية ، تدعي سلوك سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، ثم هي ترتمي في أحضان القوانين الأجنبية ، وفي هذا شر أنواع الانحياز بل وشر أنواع التبعية ، لا ترضى به أمة لها كرامة ولها شخصية ، هذه تذكرة المؤمنين .

« إن الذكرى تنفع المؤمنين »

رئيس التحرير
محمد مظهر العظمة

المدير المسؤول
محمد بن كمال الخطيب

الأجزاء ٢٩ — ٣٢ من المجلد ٢٨

التمدن الإسلامي

مجلة إسلامية علمية اجتماعية أدبية تربوية

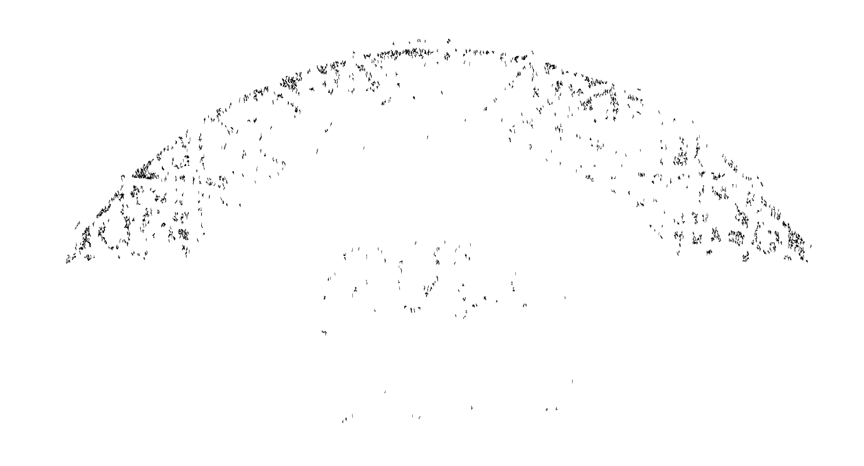
تصدرها

جمعية التمدن الإسلامي

دمشق : سورية

١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م

الإدارة [illegible] الدرويشية
هاتف ١٥١٢٠
قيمة الاشتراك
٨ [illegible] سورية ولبنان
جنيه [illegible] خارجهما
٢٥ ليرة سورية للدوائر الرسمية في سورية
٥٠ لسواها
سنة المجلة ٤٠ جزءا
الإعلانات يتفق عليها



﴿ أفبهذا الحديث أنتم مُدهنون (١) ＊ وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون ؟ ＊ فلولا إذا بلغت (٢) الحلقوم ＊ وأنتم حينئذ تنظرون ＊ ونحن أقرب إليه (٣) منكم ولكنْ لا تبصرون ＊ فلولا إن كنتم غيرَ مدينين (٤) ＊ تَرجعونها (٥) إن كنتم صادقين ＊ فأمّا إن كان من المقرّبين ＊ فرَوْح وريحان وجنةُ نعيم ＊ وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلامٌ لك من أصحاب اليمين ＊ وأما إن كان من المكذبين الضالّين ＊ فنزُل من حميم ＊ وتصلية جحيم ＊ إن هذا لهو حقُّ اليقين ＊ فسبّح باسم ربك العظيم ＊ ﴾

الآيات : ٨١ – ٩٦

---

(١) مدهنون : مكذّبون (من الإدهان وهو في الأصل جعل الجلد مدهونا بما يلينه ، واستعمل مجازاً للكذب والتهاون) .

(٢) يعني الروح .

(٣) يعني الشخص المحتضر .

(٤) غير مدينين : غير مجزيّين يوم القيامة ، او مملوكين ، او مسوسين (من دان السلطان الرعية اذا ساسهم) .

(٥) يعني الروح .

(٦) روح : استراحة .

المعاني :

١ و ٢ - في تفسير الإمام الرازي[١] حول المقصود بالحديث هنا - على أحد وجهين (٨١و٨٢) ذكرهما - : (المشهور أنه إشارة إلى القرآن ، وإطلاق الحديث على الكلام القديم كثير بمعنى كونه اسماً لا وصفاً ، فإن الحديث اسم لما يُتحدَّث به ، ما يتجدد ، فيقال أمر حادث ورسم حديث أي جديد ، ويقال أعجبني حديث فلان وكلامه ...)

وعلى ذلك فمعنى الآية الأولى والثانية : أفبهذا القرآن - وما فيه من الإيمان بالبعث - تكذبون أيها المشركون ، وتجعلون بديل شكركم لله تعالى على رزقكم بالمطر وغيره أنكم تكذبون بآياته ؟![٢] .

إنه استفهام إنكاري ، يثبت عليهم خطأهم وضلالهم ، ويهيب بهم أن يصحوا من غفلتهم ويقدروا هذا القرآن قدره ، ويؤمنوا بكل ما فيه إيماناً خالصاً من شوائب الشرك .

٣ و ٧ - قال الإمام الزمخشري : ترتيب الآية : فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين . و (فلولا) الثانية مكررة للتوكيد ، والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح ، وفي (أقرب إليه) للمحتضر ، (غير مدينين) غير مربوبين . . (ونحن أقرب إليه منكم) يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا ، أو[٣] بملائكة الموت . والمعنى أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء ، إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم : سحر وافتراء ، وان أرسل إليكم رسولاً قلتم : ساحر كذاب ، وإن رزقكم مطراً يحييكم به قلتم : صدق نوء كذا ، على مذهب يؤدي إلى الإهمال

---

(١) ج ٨ ص ٧٦ .

(٢) قال الإمام الزمخشري في (الكشاف) : على حذف المضاف يعني : وتجعلون شكر رزقكم التكذيب ، اي وضعتم التكذيب موضع الشكر .

(٣) لو قال الإمام الزمخشري : وبملائكتنا لكان المعنى خيراً من هذا على ما نرى .

والتعطيل ، فما لكم لا ترجعون الرّوح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدىء المعيد .

أضيف : هذا مع مشاهدتكم محتضركم وتألمكم لما يعانيه من سكرات الموت المرير ، أليس هذا دالاً على ضعفكم وضلالكم وعنادكم ؟

إنها لفتات سريعة من التنزيل الحكيم إلى تلك الحال الرهيبة من النزع الذي تتلاشى تلقاءه جميع محاولات القربى والمودّة للإنقاذ من أهوالها ، فيصور ذلك عجز الإنسان عن انقاذ الإنسان ، وهو يشهد مصرعه ، ويحزّ في نفسه ، وهو يحسّ بعض لواعجه ، وقد يودّ لو يفتديه به بكل ما يملك ، وهيهات أن يجدي ذلك نفعاً لصدّ الأجل المحتوم و (كل نفس ذائقة الموت) ٣:١٨٥ .

إنها لفتات سريعة من التنزيل الحكيم إلى اليقين ، إلى التقوى ، تتحدّى البشر ، فتعنو وجوه الواعين المتأملين منهم إلى الله العلي العظيم الذي لا يفوتة احتضار كما لا يفوته سرّ ولا جهر في ليل أو في نهار . وتهزّ المؤمن بصورة خاصّة مقالة الله تعالى (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) أفبعد هذه التذكرة عناد ومكابرة ؟! فسبحان الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية .

٨ - ١٦ - في هذه الآيات تبيان لمآل تلك الروح التي عجز الناس عن ردّها حين بلغت الحلقوم ، ثم كانت مشيئة الله فغادرت هذا البدن الذي سيكون رهن البلى ، لتحل داراً جديدة .

لقد مرّت بنا قبلُ الآيةُ الكريمة السابعة من هذه السورة (وكنتم أزواجاً ثلاثة) وما بعدها ، فبينت مصائر الناس في الحياة الآخرة فجعلتها ثلاث فئات ، وهنا تعرض هذه المصائر عرضاً سريعاً مهدت له العظة والاعتبار التمهيد الكافي :

١ — فأما إن كان المرء من السابقين المقرّبين (وهم أصحاب المقام المفضّل الأول

كما تقدم الآيات ١٣ - ٢٦) الذين سبقوا إلى مرضاة الله وسارعوا إلى كل ما استطاعوا من الخيرات ، فله روح وريحان وجنة نعيم .
كلمات رضية ومعانٍ ندية ، فيها الأنس والغبطة والراحة والكرم الإلهي .

٢ ـ وان كان من أصحاب اليمين عاش معهم في حياة خالدة يتبادلون تحيات السلام في دار السلام دلالة على الرضى والوئام . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعكم الله عليه ، ثم قرأ « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »(١) .

٣ ـ وإن كان من المكذبين الضالين (وهم أصحاب المشأمة كما تقدم في الآية ٩) فله نزل من حميم مذاب يصهر ما في البطون والجلود ، فبئس مثوى المكذب حاراً مقيتاً ، وله تصلية جحيم تحيط به من كل جانب يحترق بها ، وبئست عذاباً شديداً رهيباً .

* * *

١٧ و ١٨ ـ ثم كانت خاتمة السورة خلاصة هادية صادقة مبشّرة :
(٩٤و٩٦) إن هـــذا هو الحق الثابت الذي لا ريب فيه ولا محيد عنه ، فسبح يا رسول الله باسم ربك العظيم فالخير لك ولمن اتبعك .
في تفسير الإمام ابن كثير : قال الإمام أحمد ... عن عقبة بن عامر الجهني قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ « فسبح باسم ربك العظيم » قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت « سبح اسم ربك الأعلى » قال رسول الله ﷺ : (اجعلوها في سجودكم) ذكره ورواه أبو داود وابن ماجه ...

---

(١) التاج : رواه الشيخان والترمذي ..

رأينا كيف عالجت سورة الواقعة قضية النشأة الآخرة ، بهذا الأسلوب المعجز فردّت أقوال المشركين المنكرين لها المكذبين بالقرآن الكريم ، رأينا كيف وصفت الواقعة . وصفاً رهيباً مُحساً إحساساً يأخذ بمجامع القلوب والمشاعر .

رأينا كيف أشعرنا ذلك الوصف - بعد براعة الاستهلال - الهول الشديد الرهيب بألفاظ وجمل قوية سريعة متجاوبة متساوقة جرساً ومعنى ، انفجرت معانيها انفجاراً : واقعة ، دافعة ، خافضة ، رافعة ، رُجّت ، بسّت ... (هكذا بالماضي المبني للمجهول إشغالاً للفكر والعاطفة وتمكيناً لما سيكون بأنه كان ..)

ولم نلبث أن غدونا سريعاً تلقاء مصائر الناس بإيجاز واضح كل الوضوح فيه ترغيب للنعيم وترهيب من الجحيم .. (ما أصحاب الميمنة ... ما أصحاب المشأمة) وتكرار تأكيدي (السابقون السابقون ...) وأوصاف ناعمة رضية تصور الوضع والحركة والكيفية والعقلية والترتيب والطعام والكلام ... (على سرر ... متكئين .. متقابلين .. يطوف .. لا يصدّعون .. وفاكهة .. لا يسمعون فيها لغوا ...) الخ .

وحين نستعرض تتمة المصائر كذلك نجد ما نجد من ترغيب وترهيب كما قلنا ونجد في هذا الترهيب قسوة الخطاب تهديداً وتنديداً بعد تبيان وعيد شديد (وحيثيات هذه العاقبة المريرة (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ... وكانوا ... وكانوا ...)

ونجد المناقشة المذكّرة لهم في الدنيا إذا شاءوا أن يعقلوا ويعوا ويؤمنوا ... (أفرأيتم ... أفرأيتم ... أفرأيتم ...)

ونفاجأ بقسم رهيب بمواقع النجوم يبين قدر هذا القرآن الذي هو مبعث خصومة العرب لمحمد ﷺ ... ثم عودة للبعث في خاتمة السورة يصحبها التحدّي ، تؤكد القضية الأولى في بداية السورة ، وينتهي بالأمر بالتسبيح كما انتهت سورة الرحمن قبلها ولكن مع تنوع الصيغة فهناك (تبارك اسم ربك ..) وهنا (فسبّح باسم ربك ..)

هذا كله في موسيقا جميلة أخّاذة من الفواصل بعد انسجام الحروف في الكلمة ، وانسجام الكلمات في الجملة ، مصحوبة بالصور البيانية المؤّارة الوافرة .

١٣٩ ـ «ردوا هذا في وعائه ، وهذا في سقائه فإني صائم»

قال : ثم قام فصلى بنا ركعتين تطوعا ، فأقام أم حزم وأم سليم خلفنا ، وأقامني عن يمينه ، ـ فيما يحسب ثابت ـ قال : فصلى بنا تطوعاً على بساط ، فلما قضى صلاته ، قالت أم سليم : إن لي خويصة : خويدمك أنس ، ادع الله له ، فما ترك يومئذ خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا دعا لي به ثم قال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه ، قال أنس : فأخبرتني ابنتي أني قد رزقت من صلبي بضعاً وتسعين ، وما أصبح في الأنصار رجل أكثر مني مالاً ، ثم قال أنس : ياثابت ، ما أملك صفراء ولا بيضاء إلا خاتمي ! » .

قلت : وهذا سند صحيح على شرط مسلم ، وقد أخرجه أبو داود (٦٠٨) حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد به ، دون قوله « فلما قضى صلاته . » ثم أخرجه أحمد (٣/١٩٣ ـ ١٩٤) ومسلم (٢ / ١٢٨) وأبو عوانة (٢ / ٧٧) والطيالسي (٢٠٢٧) من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت به . دون قوله « فأخبرتني ابنتي . . . » وزاد :

« قال : فقال : قوموا فلأصل بكم في غير وقت صلاة » .

طريق ثالثة : قال أحمد (٣/١٠٨) : ثنا بن أبي عدي عن حميد عن أنس به بتمامه ، إلا أنه لم يذكر الإقامة عن يمينه وزاد « ثم دعا لأم سليم ولأهلها » . وقال :

قال : وذكر أن ابنته الكبرى أمينة أخبرته أنه دفن من صلبه الى مقدم الحجاج نيفاً على عشرين ومائة » .

قلت : وهـذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه البخاري (١ / ٤٩٤) من طريقين آخرين عن حميد به ، صرح في أحدهما بسماع حميد من أنس .

من فوائد الحديث وفقهه :

في هذا الحديث فوائد جمة اذكر بعضها باختصار إلا ما لا بد فيه من الإطالة للبيان :

١ ـ أن الدعاء بكثرة المال والولد مشروع . وقد ترجم البخاري للحديث « باب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة » .

٢ ـ وأن المال والولد نعمة وخير إذا أطيع الله تبارك وتعالى فيهما .

٣ ـ تحقق استجابة الله لدعاء نبيه ﷺ في أنس ، حتى صار أكثر الأنصار مالاً وولدا .

٤ ـ أن الصائم المتطوع إذا زار قوماً ، وقدموا له طعاماً أن لا يفطر ، ولكن يدعو لهم بخير ، ومن ابواب البخاري في الحديث : « باب من زار قوماً ولم يفطر عندهم » .

٥ ـ أن الرجل إذا ائتم بالرجل وقف عن يمين الإمام ، والظاهر أنه يقف محاذياً له لا يتقدم عليه ولا يتأخر ، لأنه كان وقع شيء من ذلك لنقله الراوي ، لا سيا وأن الاقتداء به ﷺ من افراد الصحابة قد تكرر ، فإن في الباب عن ابن عباس في الصحيحين وعن جابر في مسلم وقد خرجت حديثيهما في « إرواء الغليل » (٥٣٣) ، وقد ترجمه البخاري لحديث بن عباس بقوله :

« باب يقوم عن يمين الإمام بحذائه سواء ، إذا كانا اثنين » .

قال الحافظ في « الفتح » (٢ / ١٦٠) :

« قوله : سواء » أي لا يتقدم ولا يتأخر ، وكأن المصنف أشار بذلك إلى ما وقع في بعض طرقه عن ابن عباس فلفظ : « فقمت إلى جنبه » وظاهره المساواة ، وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : الرجل يصلي مع الرجل أين يكون منه ؟ قال : إلى شقه الأيمن ، قلت : أيحاذي به حتى يصف معه لا يفوت أحدهما الآخر ؟ قال : نعم قلت : أتحب أن يساويه حتى لا تكون بينهما فرجة ؟ قال : نعم . وفي « الموطأ » عن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : دخلت على عمر بن الخطاب بالهاجرة فوجدته يسبح ، فقمت وراءه ، فقربني حتى جعلني حذاءه عن يمينه » . = البقية على الصفحة ٦٤٢ =

رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تهيب بإخواننا المسلمين في كل مكان وخاصة في هذه المملكة التي افاء الله عليها من اليسر والرخاء والاطمئنان مالم يكن متوفراً لغيرها في كثير من انحاء العالم إنها تهيب بالجميع أن يسرعوا بمد يد المعونة الى اخوانهم في الدين من أبناء الجزائر الذين أذاقهم الحكم الفرنسي الكافر شتى صنوف العذاب وحاول طيلة مدة حكمه لبلادهم أن يخرجهم من دينهم وعقيدتهم بما غمر به بلادهم من مبادىء الإلحاد والزيغ .

أيها المسلمون : ان الجزائريين اخوان لكم في الدين وانهم يجاهدون للتخلص من حكم كافر ملحد ولذلك فإن مساعدتهم ومعاضدتهم واجبة على كل مستطيع وخاصة بالمال فإن الجهاد بالمال قد ورد في أكثر الآيات القرآنية مقدماً على الجهاد بالنفس كما في قوله تعالى (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون) وقوله تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) وقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقدم النفس في آية واحدة وهي قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فيا أيها المؤمن الكريم قد اشترى الله منك نفسك ومالك ووعدك على ذلك الجنة فقدم من هذا المال الذي هو مال الله ما ترضي به الله وتنفع بـه اخوانك

المحاويج المضطرين الى عونك ومساعدتك تفز بالخلف الكثير والأجر الجزيل وتساهم باحسانك في انقاذ أمة عظيمة من المسلمين مما أصيبوا به من البؤس والعوز .

أيها المسلمون أن اخوانكم في الجزائر بحاجة الى أية معونة تقدمونها وان كل واحد منا يستطيع ذلك بقدر امكانه وطاقته قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال سبحانه (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير) وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وابشروا بالخلف والأجر كما في قوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجر) وقوله عز وجل (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

اننا جميعاً نستنكر تلك الأعمال الوحشية المنافية للمبادىء الإسلامية والأخلاق الإنسانية الكريمة التي تقوم بها فرنسا ضد أهل الجزائر المجاهدين ، ولكن هذا لا يكفي بل لا بد من العمل الذي يحقق ما نقول وذلك بالمساعدة الفعالة لإخواننا وكل منا يستطيع أن يساهم في هذا العمل من قليل او كثير فإذا اجتمعت مساهمتك مع مساهمة غيرك صارت كبيرة مجدية . ان اخوانكم من اللاجئين الجزائريين ما بين أيتام صغار وشيوخ وعجزة وأرامل مات عائلوهم وهم يبلغون مئات الألوف نسمة حسب النشرات المعروفة للجميع وهم محتاجون للصدقة بالنقود والملابس وغير ذلك من أنواع المال فارحموهم واعطفوا عليهم واحسنوا ان الله يحب المحسنين .

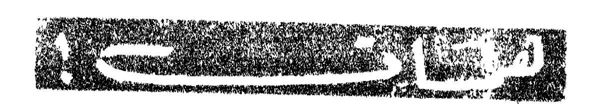
أيها المسلمون تذكروا أن هؤلاء المحتاجين ليس لهم في الحقيقة من يرعاهم من المخلوقين غيركم أنتم اخوانهم وأهل الشفقة عليهم فهل تنتظرون من الفرنسيين واخوانهم في الكفر والإلحاد ومعاداة الإسلام أن يساعدوهم أو أن يمسحوا جراحهم ويواسوهم في مصابهم ؟. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ .

(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) وقال ﷺ (من كان في حاجه أخيه المسلم كان الله في حاجته) وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن

للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وشبك بين أصابعه) وقال ﷺ (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وقال أيضاً (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة) .

أيها المسلمون : هذه آيات القرآن تتلى عليكم وهذه احاديث الرسول ﷺ تزف الى مسامعكم ، فاتقوا الله في اخوانكم وأحسنوا إليهم وواسوهم بما تستطيعون وحققوا ما أمر الله به ورسوله من الجهاد والإحسان بالعمل المثمر والمواساة الفعالة والتشجيع على ذلك والترغيب فيه تنالوا من الله الأجر الجزيل والخلف الكثير والعاقبة الحميدة ، والله المسئول أن يوفق الجميع لكل خير وأن يعيذنا وإياكم من الشح والبخل ، وأن يحقق لإخواننا الجزائريين النصر والعاقبة الحميدة ، وأن ينزل بأسه بأعدائه الكافرين انه على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



● من حكم الصيام إشعاره بالجوع فتقويته الرحمة ، فتحقيقه التراحم والتعاون .

● أرأيت كيف يثمر الصوم تراحماً بين الغني والفقير ، وتعاوناً بين الكبير والصغير ، أليس هذا ونحوه من العدالة الإلهية التي تفوق وسائل العدالة الاجتماعية من أكل أموال الناس بالباطل ، وإثارة الناس بعضهم على بعض ...

(المحرر)



أين المسلمون ودينهم ؟

للشيخ عبد الرحمن محمد الدوسري

نعم أين المسلمون من نصرة الله ؟ أين المسلمون من نصرة دين الله ؟ أين المسلمون من نصرة كتاب الله ؟ ذلك الكتاب الذي أنزله عليهم ذكراً لهم (لقد أنزلناه إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون ؟) - يونس ١٠ - أين المسلمون من نصرة رسول الله (ﷺ) ؟ أين المسلمون من نصرة اخوان لهم - كما ينبغي - في الله طلاب حق يضطهدهم أعداء الله وأعداؤهم ؟ أين المسلمون من الصدق مع الله ومع رسوله وعباده المؤمنين ؟ أين المسلمون من النصح لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم ؟ ! أين المسلمون من الوفاء بما عاهدوا الله عليه من مدلول الشهادتين ؟ هل هم في حالتهم هذه قد صدقوا الله ما عاهدوه عليه وخافوا الله ورسوله ؟ أين هم من صلة ما أمر الله به أن يوصل من الميثاق الإسلامي الذي يربط العربي بالأعجمي والمشرقي بالمغربي ؟ كيف لا يتعاونون ويتساندون فيما بينهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً ؟ كيف لا يهتم بعضهم بشؤون بعض ويعتني بعضهم بأمر بعض ، ويذود بعضهم عن حياض بعض ، ويدافع بعضهم عن كرامة بعض ، والرسول ﷺ يقول : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) ومن مظاهر هذا الاهتمام أن لا يدع المسلم أخاه في أي بقعة عرضة للأحداث تتحكم فيه الظلمة والطواغيت من البشر كيف شاءت ، بل يذود عنه بما يقتضيه الامر من الاحوال السياسية ، ويوالي الصيحات العالية ضد من نال من كرامة أخيه للتشهير به ونشر مخازيه بين الأمم والإهابة بالدول الإسلامية والجمعيات الإنسانية لرفع الظلم وازالة الكابوس

لضبط وفرض العقوبة الملائمة على كل من يتحدى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . ولو أن المسلمين غضبوا غضبة جماعية لله على ما يفعل إخوانهم في بعض الأماكن فأقاموا المظاهرات السلمية أولاً ثم الصاخبة ثانياً ، لحملوا حكوماتهم على على التدخل ورفع الظلم لحصل المطلوب وتوقفت أعمال العنف ضد المسلمين أو حصل شيء من ذلك كبير ..

لقد ذاق المسلمون صنوف البلاء من القتل والتعذيب والإحراق والتشريد في البلقان أولاً من النصارى ، ثم ذاقوا صنوف البلاء كذلك من الشيوعية في روسيا بحيث دفن بعضهم وهم أحياء وأخذت بعض الصحف العربية وبعض المسؤولين من العرب يزجي الثناء للطغاة أولئك حشوا بلا كيل ولا ميزان غير حاسبين المسلمين حساباً ولا مقيمين للدين الحنيف وزناً ، بل اتسمت أكبر البلاد العربية لصحيفة نشرت بالخط العريض لكاتب منحرف يؤبن فيه طاغية الشيوعية (ستالين) بكلمات لم يتفوه بها إلا أبو بكر لرسول الله (ﷺ) حين كشف عن وجهه الشريف وهو مسجًى ، فقال تلك الكلمات التي لا يجوز أن تقال لغيره : (بأبي وأمي طبت حياً وميتا) . والذين يتبجحون بالعروبة تطفح صحيفتهم بذلك لأكبر طاغية دون مراعاة شعور المسلمين أو التفات إلى حكم رب العالمين . أهذا الموقف صحيح ازاء دين الله وأهله ?? أبدلاً من الصيحات العالية على المجرمين يضفى عليهم ثوب القداسة ؟ أين هم من نصرة الله ودينه ورسوله وعباده المؤمنين ?? بل مقابل نصرتهم ينتقصونهم وينالون منهم بحجة أعمال حكومات علمانية مخالفة لسبيل المؤمنين مثلهم ، ولو أعلنت التمسك بدينها لصاحوا عليها ووصفوها بالرجعية ، فإذا مشت بطريق العلمانية التي يسمونها (تقدمية) واعترفت بإسرائيل أو تعصبت لقومية جاهلية ابتدعتها كما ابتدعوا مثلها نصبوا العداء للمسلمين وصوبوا الصيحات عليهم واستغلوها لمدح اخوانهم النصارى الذين غدروا ويغدرون بهم في كل فرصة . والمسلمون اليوم يقاسون صنوف البلاء والشقاء ممن يتبجح العرب بصداقتهم كملك الحبشة الذي يعامل المسلمين أسوأ معاملة في (أرتيريا) و (نهرو) الذي يلقبه كثير من العرب بـ (رسول

السلام [1] وغيرهم ممن هو عزيز عند القوم وجريته أفظع من جريمة (اسرائيل) ، والعرب بدل أن يرفعوا عليهم الاحتجاجات بأصوات عالية يسبغون عليهم الألقاب الفاضلة فكأن عروبتهم بريئة من الإسلام (لا سمح الله) ، والواجب على العرب خاصة وسائر المسلمين عامة حكاماً وشعوباً أن يحاسبوا أو يعاقبوا من يسيء إلى اخوانهم ، وأن يبذلوا غاية الجهود في نصرة أي مضطهد من المسلمين والتشهير بظالمه وايقافه عند حده ورفع مستوى المسلم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في أي بلد كان . عار عليهم أن ينتصروا لأنفسهم ومبادئهم ومذاهبهم المحدثة فيملئوا الأجواء صياحاً والصحف سطوراً من جراء كلمة لا يرتضونها ، وتخرس ألسنتهم عن النطق لصالح المسلمين الذين تعاونوا معهم في كل نائبة وتبرعوا لهم في كل مصيبة ، حتى ان علماؤهم أفتوا بجواز التبرع من الزكاة لحسن ظنهم بهم ، فيخيبون ظنهم ويخذلونهم في أشد مايحتاجونه الى النصرة ، بل لايرفعون بهم رأساً ويرمونهم مع علمائهم بالألقاب المستهجنة والرسول ﷺ يقول (مامن امرىء يخذل مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته) ويقول أيضاً (مامن مسلم خذل مسلما في موضع يحب فيه نصرته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته) ويقول ﷺ (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى) . فتخليص المسلم واجب على المسلمين ، واجب عليهم بذل النفس والنفيس لنصرة اخوانهم في كل مكان ، ولو عملوا بهذا الواجب عن شعور واحساس لكانت رابطتهم قوية لايمكن ان تحل ولكن غفلوا عن هذا الواجب فذهب منهم الإحساس وانطفأت منهم جمرة الغيرة التي بها صلاحهم ، فأخذ كل عدو لهم ينتقصهم من أطرافهم في كل مكان حتى انقسمت أوطانهم أشلاء ممزقة وأجزاء موزعة فصار

---

(١) المجلة : ان انصافنا يحضنا أن نذكر للمحسن في بعض أعماله إحسانه ، ولكن ليس من الانصاف أن نتغابى عن مساوئه وما كان المؤمن غراً ولا غافلاً .

(كل حزب بما لديهم فرحون) وبدلاً من أن تكون الاخوة الإسـلامية هي الرباط القوي بين شعوبها وبلادهـا المترامية الأطراف الغنية بصنوف موارد الثروة أحدثت فيهم شياطين الانس بدعة الوطنية المحدودة والقومية الضيقـة المفرقة فأقروا عيون أعدائهم بنعرات الجاهلية وعصبيتها التي حاربها الإسلام ، ومع هذا يتبجح بعضهم بدعوى الوحـدة مع خذلانه لعباد الله المؤمنين واعراضه عما أنزل اليه من ربه .!
ولا يمكن تكوين الوحدة والتمسك برباط وثيق الا بما رسمه القرآن من الكفر بالطاغوت والطاغوت اسم جنس يدخل تحته كثير ممن تجاوز حدود الله في شريعته لأنه مشتق في أصل اللغة من الطغيان وهو مجاوزة الحد . يقال طغى السيل إذا تجاوز ماؤه حافتيه . ويقال طغى الماء إذا ارتفع عن قامة الانسان بحيث يغرقه ، وصفه قوله تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) فكل من تجاوز حده الذي خلق له والمأمور به شرعاً فهو طاغوت . فمن غرر الناس الناس بتأليهه وتقديسه وأوجب عليهم امتثال ما يصدره دون الرجوع إلى حكم الله فهو طاغوت ، وكل من شرع له من المذاهب والمبادىء ما يخالف ملة إبراهيم ودعا الناس إليـه وحببهم لصنيعه فهو طاغوت . وكل من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب فهو طاغوت . ومن تسلط على الناس بظلمه وجبروته فهو طاغوت ، وهكذا ..... وانما سمي طاغوتا لإطغائه البشر عن هدى الله والتحكم في رقابهم والجناية على عقولهم بما يقذفه عليهم من مبادئه التي ابتدعها وأخـذ يبلور الأفـكار لترويجها . والجناية على العقول والمفاهيم أشد ضرراً وأنكى من الجناية على الأجسام . فلذلك وصف الله الطاغوت بأبشع وصف وأخبثه إذ قـال : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) فالطاغوت بجميع صنوفه إذا رأى أن أتباعه قد لاح لهم شعاع من نور الهداية سارع إلى إغوائهم والعمل على طمس معالم ذلك الشعاع مما يلقيه عليهم من الشبهات ويفتنهم به من الشهوات . ولذا صرح الله تعالى بأن (الفتنة أشد من القتل) ؟ فمتى قام العرب خاصة بحقيقة الإيمان بالله الذي لا يتم الا بالكفر بالطاغوت بجميع صنوفه ، واستمسكوا =

ليلة القدر

(من الصحاح) : قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : (تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان .)

وقال ابن عمر : إن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر . قال رسول الله ﷺ : (إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان منكم متحرّيها فليتحرّها في السبع الأواخر .)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال : التمسوا في العشر الأواخر في رمضان ليلة القدر ، في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى ، في ثالثة تبقى .

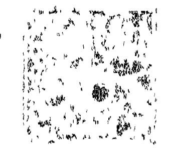
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية ، ثم أطلع رأسه فقال :(إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة ، ثم اعتكفت العشر الأوسط ، ثم أتيت فقيل لي إنها في العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر ، فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها ، فالتمسوها في العشر الأواخر ، والتمسوها في كل وتر .) قال فمطرت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش ، فوكف المسجد ، فبصرت عيناي رسول الله ﷺ وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين .

= بما أنزل إليهم من ربهم ؟ تحققت لهم الوحدة الصحيحة بجميع معانيها ، وحصل بينهم وبين جميع المسلمين الترابط الصحيح برباط التقوى والإيمان ، فتعاونوا معهم جميعاً على البر والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والمسارعة إلى الخيرات ، فنجوا من الخسران الذي وقعوا الآن في حضيضه ، وهم لا يرتفعون عنه الا بذلك . فمتى يؤوبون إلى رشدهم ليرجعوا إلى سالف مجدهم ويقفوا في سبيل الله أمام أعدائه وأعدائهم كالبنيان المرصوص ، فينعموا بالوحدة المنشودة وينالوا العزة والسعادة والسؤدد والكرامة ؟ ومن يرتجي ذلك بدون سلوك ما رسمه الله وفق صراطه المستقيم فهو لاعب لنفسه ، ممتهن لها ، واقع في وعيد الله من شدة الفرقة والشقاق كما قال تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فإنما هم في شقاق) وقال (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيد) .

الكويت : عبد الرحمن محمد الدوسري

عثمان بن عفان

عثمان من السابقين الأولين ، محبباً من رسول الله ﷺ ، أصهر إليه الرسول بابنتيه ، وقال : « لو أن لنا ثالثة لزوجناك » وهذا يدل على شدة حب النبي له وثقته به ، ولهـذا كان يلقب بذي النورين . وقال : « ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط »



جهز عثمان جيش العسرة ، بألف بعير ، وخمسين فرساً ، وألف دينار ، حتى قال الرسول : « ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم » — مرتين —

اشترى بئر رومة من يهودي بمبلغ عشرين ألف دينار ، ووهبها المسلمين .

كان تاجراً ، واسع الثروة ، كثير المال ، حسن السيرة ، عفيفاً حياً ، محبباً في قومه .

أخرج ابن عساكر عن الشعبي قال : أن المرأة من العرب كانت ترقص ولدها وهي تقول :

أحبك والرحمن حب قريش وعثمان

كان عثمان يكتب الوحي لرسول الله ، وكان لأبي بكر ثم لعمر أميناً كاتباً ، ولما قتل عمر كان أحد الستة ، وفي عهده قتل يزدجرد وانتهى الملك في فارس . وقد أجمع الرواة وأهل الأخبار على أن عثمان قضى الشطر الأكبر من خلافته وهو أحب إلى الناس من عمر لشدته ورأفة عثمان . لما ولي الخلافة كتب إلى أمراء الأمصار ، كتاباً عامـاً صورته : « أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة . »

كان أشد المؤلبين عليه في مصر ، محمد بن أبي بكر ، الذي أخذ بلحيته وذبحه

كنانة بن بشر - قائد إحدى الفرق المصرية الأربع - (الإمام ابن العربي، العواصم ص١٣٥) ، وعمار بن ياسر، ومحمد بن حذيفة ، وحنق ابن أبي بكر وعمار لارتكابهما حداً من حدود الله فأقامه عليهما ، عملوا معه ما لا يتصور من مثلهم . فقد أشاعوا ظلم العمال بالرعية ، ولما بعث إلى الأمصار من يأتيه بالخبر ، فلم يجدوا أثراً لظلم ولا ظل لعسف أو جور .

كان هؤلاء المؤلبين على عثمان اليد الطائعة - لعبد الله بن سبأ - ، وهناك أبو ذر قام يدعو إلى الاشتراكية كما بدت له ، ... وكان في المدينة قوم ينفخون في كل نار ، كلما خبت زادوها سعيراً ، ونالوا من عثمان رضي الله عنه أقبح ما ينال من أحد ، وأصحاب رسول الله ﷺ يرون ويسمعون ، وليس فيهم أحد يدفع عنه إلا نفراً : زيد بن ثابت ، وأبو أمية الساعدي ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت . وقد ولاّه علي بن أبي طالب وعنفه فرد عليه عثمان بقوله : « ان لكل شيء آفة ، ولكل أمر عاهة ، وأن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون ، فقد والله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كنفي ، وكففت يدي ولساني عنكم فأجترأتم علي . وقال عبد الله بن عمر : « لقد عيبت على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عيبت عليه » .

كانت بنو أمية يرون الشر مقبلاً عليهم ، ونازلاً بهم ، والموت يرقب عثمان ، وأهل الفتنة غير تاركيه ، وأهل المدينة بين مؤلب وخاذل وساكت ، لا تأخذهم الرأفة بهذا الشيخ الفاني ، ومن الخذلان أن يصرع الخليفة في المدينة وبها أصحاب رسول الله ، ومن الخذلان أن يصرع الخليفة بيد الغوغاء في المدينة وبها من بها - من أصحاب الكلمة - .

ومن حديث الزهري (العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٩) قال : لما قتل مسلم ابن عقبة أهل المدينة - يوم الحرّة - قال عبد الله بن عمر : « بفعلهم في عثمان ورب الكعبة » . وعن ابن سيرين عن ابن عباس قال : « لو أمطرت السماء دماً لقتل عثمان لكان قليلاً له .

وكان محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر من أشد المؤلبين الحانقين ، التي انغمست أيديها في دم عثمان ، لذلك قضى القاسم بن محمد بن أبي بكر حياته في سجوده يبتهل إلى الله ويقول « اللهم اغفر لأبي ذنب عثمان » .

عثمان الذي اختار أهون الشرين ، فآثر التضحية بنفسه ، دفعاً لسفك دماء المسلمين ، وافتدى دماء أمته بدمه مختاراً ، حتى قالت أم المؤمنين « غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف ، وان أوربا وأمريكا تعبدان بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختاراً .

فإن مصلحة الإسلام في مثل ما جنح إليه عثمان أعلى الله مقامه في دار الخلود ، فأمره كله سنة ماضية وسيرة راضية . وقد قتلوا جميعاً بالسيف الذي قتل به عثمان .

وقد أشار عثمان (رض) إلى رهبة الناس من عمر فقال : أما والله لقد عبتم على أشياء ونقمتم أموراً ، قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ، ولكنه قمعكم ، ولم يجترىء أحد أن يملأ بصره منه ، ولا يشير بطرفه إليه » ثم أقبل عثمان على علي يقول له : ان لي قرابة ورحماً ، والله لو كنت في الحلقة لجلالتها عنك ، فاخرج إليهم وكلمهم فإنهم يسمعون منك فأبى علي بن أبي طالب .

أن المنصف ليعجب أن يبلغ الغيظ ببعض أصحاب رسول الله من عثمان صغاراً كانوا أو كباراً ، خصوصاً من طلحة والزبير ، أن يخلوا بينه وبين المشاغبين يريقون دمه (١) ، ولقد بعثت ليلى بنت عميس إلى ابن أختها محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقالت : « ان المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس ، فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما ، فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غدا ، فاتقوا الله أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم . وقال المرحوم الخضري : « لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث التي سبقت قتل عثمان أن ينفي عن أعلام قريش تطلعهم إلى ولاية الأمر » وكان عمل أبي ذر وقوله فيما دعا إليه لم يكن فيه

---

(١) المجلة : لقد عرضت عليه عروض الدفاع فكان يأباها ، وروي أن علياً (رض) أرسل الحسن والحسين للدفاع عنه ... ويبدو ان هذه النقطة تحتاج الى مزيد من التحقيق .

مصيبا بل هو يدعو إلى الشقاق والفتنة والخلاف والتكالب على الدنيا ، والإسهام في المال لمن يستحق ، وأما نفي عثمان آبا ذر إلى الربذة فلم يفعل وإنمـــا أختار أبو ذر أن يعتزل في الربذة فوافقه عثمان وأكرمه وجهزه بما فيه راحته .

وقال ابن عمر وغيره « ان ما أديت زكاته فليس بكنز . وذكروا أن عثمان كان لا يقصر في السفر : قالوا له : « أليس قد قصرت مع رسول الله ؟ » فيقول بلى : « ولكني أمام الناس ، فينظر إلى الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين ، فيقولون هكذا فرضت » فالقصر في السفر سنة أو واجب ، ومع ذلك تركه خوف أن يتذرع به لأمر حادث في الدين غير مشروع ، وقد أخطأ من قال إن عثمان لم يكن يقصر في السفر مطلقاً ، وأنكر عليه ابن مسعود وكان هـذا من أسباب التألب عليه ، وانما نقل عنه أنه صلى تماماً في « منى » في آخر خلافته ، وكان هذا من انكار ابن مسعود أو من حجج الذين تألبوا عليه ، وما علل به هنا أحد الأجوبة عنه ، ولكنه معزو إليه ، ولو صح عنه ، لما اعتذر العلماء عنه بعدة أعذار ، أقواها أنه كان قد تزوج ونوى الإقامة ، أو أن الزواج يعد إقامة هذا هو عثمان الذي جاء عنه : أنه كان إذا صلى العشاء ، أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله (الاعتصام للامام الشاطبي ج ١ ص ٢٥٢) .

قال مسروق بن الأجدع لعمار بن ياسر : يا أبا اليقظان ؟ علام قتلهم عثمان ؟ قال : على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا . فقال مسروق : « والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » وقيل لعلي بن أبي طالب : أفقتل عثمان منافقاً ؟ قال لا : ولكنه ولي فاستأثر (١) ، وجزعنا فأسأنا ، وكل سيرجع إلى حكم عدل . روى ابن السمان عن قيس بن عبادة قال : « سمعت علياً يوم الجمل يقول : « اللهم اني أبرأ إليك من دم عثمان (الاثني عشرية ص ٢٦٧) وكان الزبير بن العوام كثير الندم على ما حل بعثمان ، ووجوده في وقعة الجمل ،

---

(١) المجلة : إن صح قوله هذا فان لعثمان (رض) اجتهاداً ، وله في ذلك ما اتخذه عذراً صرّح به ، وقد اشار الكاتب بعد الى شيء من ذلك .

وكان يقول : « مغلوب مطلوب ، يغلبني ابني ويطلبني ذنبي » حتى لقد هم بترك القتال في أوله لولا ابنه عبد الله . ولقد ندم طلحة وأصابته حيرة قاتلة من مقتل عثمان ووقعة الجمل ، حتى أكثر من قول : (اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى) ولقد توقف محمد بن الحنفية بن علي عن القتال يوم الجمل حتى قال له أبوه : ويحك أتتوقف وأبوك سابقك ؟ « روى الترمذي أنه أتى بجنازة رجل إلى رسول الله فلم يصل عليه وقال : « انه كان يبغض عثمان ، فأبغضه الله (الاثنى عشرية ص ١٥٥) . كان عثمان يخصص معظم وقته لدراسة القرآن ، وكان لدخوله في الدين الجديد أهمية سياسية عظيمة ، فقد كان يجمع فرعي (هاشم وأمية) ولما طلق عتيبة ابن أبي لهب رقية بنت رسول الله ، تزوجها عثمان ، وقد ازداد ارتباط عثمان برسول الله بزواجه من ابنته الثانية أم كلثوم بعد موت (رقيـــة) كانت هي الأخرى زوجة لعتيبة بن أبي لهب الثاني ، وأثبت عثمان رباطة جأش وشجاعة لما أعلن دخوله في الدين الجديد المضطهد .

☆ ☆ ☆

كان عثمان أول سفراء الإسلام في التاريخ ، وقد انتدب رسول الله عمر سفيراً لمكة ، فقال عمر : « عثمان أعز مني فيها » ، فبيعة الرضوان كانت رمزاً من رموز الشرف لعثمان ، ملأت حسناته الأرض ، وتعطرت بأريجها السماء .

لو كان ما نسبوه الى عثمان من إيثاره أقاربه وتسليمه لهم ، خصوصاً مروان ابن الحكم ، لو كان كل هذا أو بعضه حقاً وأنه تعصب لبني أمية ، لكان أيسر على العرب وأشبه بما كانوا عليه ، أن ينتهزوا هذه الفرصة من اختلال الحكومة الرئيسية ، فتستقل كل ولاية بنفسها ، وتخلّص من ولاة السوء وعمال الفساد ، ان كان لعثمان ولاة سوء وعمال فساد كما يزعمون ، والعرب تثور لأتفه الأسباب ، ولكن الوحدة العربية لم تحدث حدثاً يكون من ورائه تفكك روابط الجماعة ...

كان عهد عثمان عهد رخاء ، حتى قال ابن سيرين : صنو الحسن البصري وزميله ، كثر المال في زمن عثمان حتى يبعث الجارية بوزنها ، وفرس بمائة ألف درهم ، ونخلة

بألف درهم . ومن مآثره الجميلة على العالم : كانت جدة قرية صغيرة في بادىء أمرها فلما كانت سنة ٢٦ هـ ، في خلافة عثمان ، أمر فجعلت ثغراً لمكة ، وكان ثغرها قبل ذلك قرية تسمى الشعيبة ، وهي على مسافة نحو عشرين كيلو متراً من جنوب جدة ، ومن ثم أخذت جدة تزيد في عمرانها وتعظم في أهميتها حتى أصبحت أكبر ثغر في بلاد العرب ، وهي الثغر العمومي للحجاز فمنها صادراته وإليها وارداته .

ومن مباني العرب المشهورة (غمدان بصنعاء) ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : « لا يستقيم أمر العرب ما دام فيها غمدان » وهذا هو الذي حض عثمان على هدمه . وأنا أقول لا يستقيم أمر المسلمين ما دام فيهم قبور تعبد .

لقد كان عثمان ثاني من جدد في المسجد النبوي ، فقد زاد فيه الى قبلته الجنوبية وبناه بالجص والحجارة .

يقول ابن تيمية (جـ ٣ ص٩٦) المعلوم من فضائل عثمان ، ومحبة النبي له ، وثنائه عليه ، وتخصيصه بابنتيه ، وشهادته له بالجنة ، وإرساله الى مكة (أي في حادث الحديبية) ومبايعته له عنه (أي في بيعة الرضوان) وتقديم الصحابة له بالخلافة ، وشهادة عمر بأن الرسول مات وهو عنه راض .

وقال الطبري (جـ ٥ ص ١٠٣) قسم عثمان ماله وأرضه في بني أمية ، وقد أشار عثمان الى ذلك في خطبته المشهورة على منبر الرسول ، رداً على زعماء الفتنة والبغاة عليه فقال : « وقالوا إني أحب أهل بيتي وأعطيهم ، وأما اعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي ، ولا أحل مال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس ، وقد كنت أعطي العطية الكبيرة من صلب مالي أزمان رسول الله وأبي بكر وعمر وأنا يومئذ شحيح حريص ، أفحين أتت علي أسنان أهل بيتي ، وفني عمري ، وودعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا ؟

نعم ان عثمان يود ذوي قرابته ، ومودته لهم من فضائله ، وهم لذلك أهل ، ورسول الله ما استعان برجال من عشيرة ، ولا ولىّ عدداً من فريق بقدر ما استعان برجال من بني أمية ، وولى أموره لرجالهم ، وكانوا عند حسن ظنه بهم

وكذلك كانوا مدة أبي بكر وعمر وعثمان وفي كل زمان ومكان الا النادر منهم وما هم بمعصومين ، وقد أثنى عليّ على عثمان فقال : « إن عثمان أوصل الصحابة للرحم » وكان اتخاذ الرسول ﷺ ثلاثة ارباع عماله من بني أمية إشارة الى أن الأمر سيصير إليهم .

كان قتل عثمان يصلح لأن يكون فرصة لحدوث تفكك عام في أنحاءالمملكة العربية الإسلامية لو كان هناك ظل من عصبية أو كان هناك شيء يلام عليه مروان ، والجنود والقواد الذين انتصروا لمعاوية ، لم يكن فيهم بنو أمية الا كقطرة في بحر ، لأن بني أمية أجمعين ابناء أسرة واحدة ، كذلك الجيش الذي لبى دعوة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ، قاموا يطالبون بقتلى عثمان الأموي وليس فيهم واحد من الأمويين ، بل لم تك عائشة ولا طلحة والزبير يمتون لعثمان بأقل قرابة ، وقد تولى عثمان الخلافة بانتخاب المؤتمر الذي دعا إليه عمر — وهو يجود بالنفس الأخير - ولم ينظر في تعيينه أنه من بني أمية أو من بني هاشم أو من غيرهما ، بل نظروا الى كفاءته، والذين انتخبوه لم يكونوا أمويين ، كان يرى الصدقة لغير أقاربه صدقة ولبني أمية صدقة وصلة ..

ان عثمان كما يرى الناس جميعاً ، ما كان ليقتل لو كانت داره محروسة حراسة الدور التي يقيم فيها ولاة الامور ، وان هذه الجمهرة التي اقتحمت داره ما كانت لتقتل والياً من ولاته كمعاوية أو أقل من معاوية ، ولئن كان في بعض هذه الأمور التي تتعلق بالدين مخالفة للمألوف ، فقد خالف عمر المألوف في منع زواج المتعة ونقص العطاء المؤلفة قلوبهم ، وفي الإعفاء عن حد السرقة في عام المجاعة ، وما من عمل نسب إلى عثمان الا حدث مثله من قبله ومن بعده ، فلم ينشب من أجله فتنة ، اختار للولاية أشخاصاً من ذوي قرابته سبقت لهم ولاية في عهد الخليفتين السابقين ، عسى أن يصدقوه العون بحكم القرابة ان لم يصدقوه العون خالصاً لوجه الله ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، أراد عثمان رضي الله عنه بتوليه ذوي قرباه ، تثبيت دعائم خلافته بمن يأمن بهم ، غائلة النزوع والتوثب على الخلافة ، تحزبا مع زيد ، أو انتصاراً لبكر . قال عثمان

رضي الله عنه : لقد كنت أكثر العرب بعيراً وشاة ، واليوم لا بعير عندي ولا شاة سوى بعيرين لحجّي .

ان الذين طعنوا على عثمان هم أهل الفرقة ، وأهل البدع ، وأنواع الخوارج ، والذين كانوا معه هم أهل الجماعة ، ولقد اقتص المسلمون مع معاوية لعثمان حتى سفكت دماؤهم معه . . .

وخطأ المجتهد مغفور ، للغزالي في (فضائح الباطنية) جوز جماعة من أهل السنة ، أن يكون الإمام غير مجتهد ، ولا خبير بمواقع الاجتهاد . وان علياً خرج من المدينة ولم يقم بها كما قام الخلفاء قبله ، لأن العالم الإسلامي فزع لقتل طلحة والزبير ، وعشرة آلاف معظمهم من كبار الصحابة ، فقد انتقل علي وجيشه من المدينة إلى البصرة ، ولهذا لم تجتمع عليه الكلمة ، أما عثمان فكان خليفة مظلوما ، طلب منه أن يعزل بغير حق فلم ينعزل ولم يقاتل عن نفسه حتى قتل ، وكان رضي الله عنه يقول : « لا أخلع لباساً ألبسنيه الله » وقال له عبد الله بن عمر : « لا تخلع قميص الله عنك ، فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه » ولابن قتيبة (الإمامة والسياسة ج ١ : ٦٧ مطابع الدار القومية) قال رسول الله : « يا عثمان ، إن الله تعالى سيقمصك قميصاً بعدي ، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني » .

روى الترمذي ان رسول الله قال « لكل نبي رفيق ، ورفيقي بالجنة عثمان » وفي صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٢٦ ج ٧ ص ١١٦ - ١١٧) أن رسول الله قال في عثمان : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ » وفي صحيح البخاري (ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٣) قال عبد الله بن عمر « كنا في زمن النبي لا نعدل بأبي بكر أحدا ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم . وروى خشية في فضائل الصحابة قال : قلنا لعلي حدثنا عن عثمان فقال « ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين » وقال ابن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة « بايعنا خيرنا ، ولم نأل . ووصفه علي بن أبي طالب بعد انقضاء أجله فقال « كان عثمان أوصلنا للرحم » ما نصب حربا للمسلمين ، ولا حبس عسكراً للدفاع عن نفسه ، ولا سعى إلى فتنة ،

وضحى بنفسه ، ولا دعا إلى بيعة بل أتته الخلافة منقادة . وبالإجمال فإن الرحمة التي جبل عليها عثمان وامتلأ بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه واتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم ، فلم يأت عثمان منكراً لا في أول الأمر ولا في آخره .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (منهاج السنة ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣) عثمان أفضل من كل من تكلموا فيه ، هو أفضل من ابن مسعود وعمار وأبي ذر ومن غيرهم ، وأما القرآن فتلك حسنته العظمى .

ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر ، فقد روي أن عمر بن الخطاب سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد ، وأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله (أصول الأحكام لابن حزم ج ٢ : ١٣٩) فمن روى عن عثمان شيئاً يخالف سنة العمرين فكله باطل ، وأما رد الحكم بن العاص فلم يصح ، وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ولو كان أباه ، ولا لينقض حكمه . ويقول ابن تيمية : منهاج السنة (ج ٣ : ١٩٦) « وقد طعن كثير من أهل العلم في نفي أبي ذر ، ولكنه ذهب باختياره ، وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح ، ولا لها أسناد يعرف به أمرها » وأما توليه الوليد بن عقبه ، فقد قال عثمان ما وليت الوليد لأنه أخي ، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله وتوءمة أبيه ، وهو لا يقل في البطولة والفتوحات عن عمرو وسعد وخالد ، وكان في طليعة المسلمين في غزوة اليرموك ، وكل ما روي عنه من الذام كذب ، وان أردت أن تعرف بطولته وصدقه وتمسكه بدينه ، فانظر الطبري (ج ٤ ص ٧ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٠ - ١٥٥) أما عثمان فقد أمر بجلد الوليد بن عقبة الأموي (أخو عثمان لأمه) بشهادة البعض عليه بأنه يشرب الخمر ، والله يعلم أنه بريء من تهمته ، حتى قال عثمان رضي الله عنه : « نقيم الحد ويذهب شاهد الزور للنار » .

ومن العجب أن الناس ينكرون على عثمان توليه أقاربه ، ومعلوم أن علياً ابن أبي طالب ولى أقاربه من قبل أبيه وأمه ، فولى عبيد الله بن عباس على اليمن ، وقثم ابن العباس على مكة والطائف ، وثمامة بن العباس على المدينة ، وعبد الله بن العباس على البصرة ، ومحمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره على مصر ، وولى ابن أخته

أم هانىء ، ووصى على أولاده في الخلافه ، وتولية الخلافة العظمى أعظم من امارة بعض الأعمال (منهاج السنة ج ٣ : ١٧٣ ـ ١٧٦ والمنتقى للذهبي ص ٣٨٢ – ٣٨٣) .

ان عثمان لم يصر إماماً باختيار بعضهم كما حصل لغيره ، بل بمبايعة الناس له ، وجميع المسلمين بايعوا عثمان ، لم يتخلف عن بيعته أحد ، لا عن رغبة أعطاهم إياها ، ولا عن رهبة أخافهم بها . ويروي المبرد : (الكامل ج ٢ ص ١٣٦) « ان الحسن البصري كان إذا تمكن في مجلسه ، ذكر عثمان فيترحم عليه ثلاثا ويقول : « لو لم نلعنهم للعنا » ويقول الإمام ابن حزم : « ان الذين غضبوا لمقتل عثمان وقاموا لنصرته ، رأوا أنه قتل مظلوماً في الشهر الحرام ، ورأوا أن كثيراً من المؤلبين عليه والمباشرين لسفك دمه ، التحقوا بعلي بن أبي طالب ، ولم يعجل قصاصهم ، وان هذا تعطيل للحدود ، ولو أسرع علي بإقامة هـذا الحد ما خرجوا عليه ، وقالوا : « من آوى الظالمين فهو اما مشارك لهم ، واما ضعيف عن أخذ الحق منهم ، وكلا الأمرين حجة في إسقاط امامة من فعل ذلك ووجوب حربه » (الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٥٣) . (★)

وقد كان أكثر هبات عثمان من خاصة ماله ، وليس فيما وهبه من بيت المال عطاء واحد لم تكن له صلة بعمل من أعمال الفتح والجهاد .

رويت في دفن الخليفة الذي سفك دمه الحرام في الشهر الحرام روايات ذات عدد ، منها أن عثمان بقي ثلاثة أيام لا يدفن ، ثم ان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلما علياً في أن يأذن في دفنه ففعل ، وخرج به عدد يسير بين المغرب والعشاء ، فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة خارج البقيع ، ثم دفن في ذلك الحائط ، فلما كانت أيام خلافة معاوية ، وصل ذلك الحائط بالبقيع وأمر الناس بالدفن حول قبر عثمان .

القاهرة :

محمد السباعي الحفناوي
شيخ الريف

(★) المجلة : هذه تهمة لا نقرها على هذا الوجه من الاقتضاب ، ورضي الله عن الصحابة اجمعين ، ويحسن تداركاً لبعض الأفكار قراءة كتاب (إنصاف عثمان) للأستاذ المرحوم محمد احمد جاد المولى .

= تتمة المنشور على الصفحة ٦٢٣ =

قلت : وهذا الأثر في « الموطأ » (١ / ١٥٤ / ٣٢) بإسناد صحيح عن عمر رضي الله عنه ، فهو مع الأحاديث المذكورة حجة قوية على المساواة المذكورة ، فالقول باستحباب أن يقف المأموم دون الإمام قليلاً ، كما جاء في بعض المذاهب على تفصيل في ذلك لبعضها - مع أنه مما لا دليل عليه في السنة ، فهو مخالف لظواهر هذه الأحاديث وأثر عمر هذا وقول عطاء المذكور وهو الإمام التابعي الجليل ابن أبي رباح ، وما كان من الأقوال كذلك فالأحرى بالمؤمن أن يدعها لأصحابها ، معتقداً أنهم مأجورون عليها ، لأنهم اجتهدوا قاصدين الى الحق ، وهو أن يتبع ما ثبت في السنة ، فإن خير الهدى هدى محمد ﷺ .

لا زكاة على غير المؤمن

١٤١ - « على المؤمنين في صدقة الثمار - أو مال العقار - عشر ما سقت العين وما سقت السماء ، وعلى ما يسقى بالغرْب نصف العشر » .

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٢٢) من الدارقطني (٢١٥) والبيهقي (٤/١٣٠) من طريق ابن جريج : أخبرني نافع عن ابن عمر قال :

« كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن الى الحارث بن عبد كلال ومن معه من معافر وهمدان ... » فذكره .

قلت : وهذا سند صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه البخاري وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم من طريق سالم عن ابن عمر مرفوعاً نحوه .

وورد من حديث جماعة آخرين من الصحابة كجابر وأبي هريرة ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن عمرو ، وعمرو بن حزم ، وقد أخرجت أحاديثهم في « إرواء الغليل » (٧٩٠) .

(الغرب) بسكون الراء الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثور

وإنما أوردت هذه الرواية بصورة خاصة لقوله في صدرها :
« على المؤمنين » ففيه فائدة هامة لا توجد في سائر الروايات ، قال البيهقي :
« وفيه كالدلالة على أنها لا تؤخذ من أهل الذمة » .

قلت : وكيف تؤخذ منهم وهم على شركهم وضلالهم ، فالزكاة لا تزكيهم وانما تزكي المؤمن المزكى من درن الشرك كما قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) . فهذه الآية تدل دلالة ظاهرة على أن الزكاة إنما تؤخذ من المؤمنين ، لكن الحديث أصرح منها دلالة على ذلك ...

وإن من يدرس السيرة النبوية ، وتاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم من خلفاء المسلمين وملوكهم يعلم يقيناً أنهم لم يكونوا يأخذون الزكاة من غير المسلمين من المواطنين ، وانما كانوا يأخذون منهم الجزية كما ينص عليها الكتاب والسنة . فمن المؤسف أن ينحرف بعض المتفقهة عن سبيل المؤمنين باسم الاصلاح تارة والعدالة الاجتماعية تارة ، فينكروا ما ثبت في الكتاب والسنة وجرى عليه عمل المسلمين بطرق من التأويل أشبه ما تكون بتأويلات الباطنيين ، ومن جهة يثبتون ، ما لم يكونوا يعرفون ، بل ما جاء النص بنفيه . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وحسبنا الآن هذه المسألة التي دل عليها هذا الحديث وكذا الآية الكريمة ، فقد قرأنا وسمعنا أن بعض الشيوخ اليوم يقولون بجواز أن تأخذ الدولة الزكاة من أغنياء جميع المواطنين على اختلاف أديانهم مؤمنهم وكافرهم ثم توزع على فقرائهم دون أي تفريق ! ولقد سمعت منذ أسابيع معنى هذا من أحد كبار مشايخ الأزهر في ندوة تلفزيونية كان يتكلم فيها عن الضمان الاجتماعي في الإسلام ، ومما ذكره أن الاتحاد القومي في القاهرة سيقوم بجمع الزكاة من جميع أغنياء المواطنين . وتوزيعها على

قرائهم ! فقام أحد الحاضرين أمامه في الندوة وسأله عن المستند في جواز ذلك فقال : لما عقدنا جلسات الحلقات الاجتماعية اتخذنا في بعض جلساتها قراراً بجواز ذلك اعتماداً على مذهب من المذاهب الإسلامية ، وهو المذهب الشيعي . وأنا أظن أنه يعني المذهب الزيدي !

وهنا موضع العبرة ، لقد أعرض هذا الشيخ ومن رافقه في تلك الجلسة عن دلالة الكتاب والسنة واتفاق السلف على أن الزكاة خاصة بالمؤمنين ، واعتمد في خلافهم على المذهب الزيدي ! وهل يدري القاريء الكريم ما هو السبب في ذلك؟ ليس هو الا موافقة بعض الحكام على سياستهم الاجتماعية والاقتصادية ، وليتها كانت على منهج إسلامي إذن لهان الأمر بعض الشيء في هذا الخطأ الجزئي ولكنه منهج غير إسلامي ، بل هو قائم على تقليد بعض الأوربيين الذين لا دين لهم ! والإعراض عن الاستفادة من شريعة الله تعالى التي أنزلها على قلب محمد ﷺ لتكون نوراً وهداية للناس في كل زمان ومكان ، فإلى الله المشتكى من علماء السوء والرسوم الذين يؤيدون الحكام الجائرين بفتاويهم المنحرفة عن جادة الإسلام . وسبيل المسلمين ، والله عز وجلّ يقول (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

هذا ، وفي الحديث قاعدة فقهية معروفة وهي أن زكاة الزرع تختلف باختلاف المؤنة والكلفة عليه ، فإن كان يسقى بماء السماء والعيون والأنهار فزكاته العشر ، وان كان يسقى بالدلاء والنواضح الارتوازية ونحوها فزكاته نصف العشر .

ولا تجب هذه الزكاة في كل ما تنتجه الأرض ولو كان قليلا ، بل ذلك مقيد بنصاب معروف في السنة ، وفي ذلك أحاديث معروفة أورد هنا حديثاً واحداً لعزته وغرابته :

(يتبع) محمد ناصر الدين الألباني

الأحاديث الضعيفة والموضوعة
وأثرها السيئ في الأمة

للأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

- ٧٢ -

٤٨٥ - « يا أبا هريرة اذا اشتد الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء، وعلى الدنيا وأهلها الدمار » .

ضعيف، أخرجه بن بشران في « الأمالي » (ورقة ١/١٤) من مجموع الظاهرية (٩٢) وأبو بكر بن البخاري في « كتاب القناعة » (ورقة ١/٢٣٧) من طريق كثير ابن واقد، (وقال أبو بكر : عيسى بن واقد البصـري) عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا .

وكثير بن واقد أو عيسى بن واقد لم أجد من ذكره، وقد تابعه الماضي ابن محمد الدينوري وهو منكر الحديث كما قال ابن عدي .

وقد روي الحديث بإسناد موضوع وبلفظ مغاير لهذا بعض الشيء وضد الذي قبله ..

٤٨٦ - « نهي عن بيع وشرط »

لا أصل له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « الفتاوى » (٣٢٦/٣) :

« يروى في حكاية عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى وشريك، وذكره جماعة من المصنفين في الفقه، ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث، وقد أنكره أحمد وغيره من العلماء، وذكروا أنه لا يعرف وأن الأحاديث الصحيحة تعارضه . وأجمع العلماء المعروفون من غير خلاف أعلمه أن اشتراط صفته في المبيع ونحوه كاشتراط كون العبد كاتباً أو صانعاً أو اشتراط طول الثوب أو قدر الأرض ونحو ذلك شرط صحيح » ..

٤٨٧ - ﴿ سلوا الله عز وجل من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج ﴾.

ضعيف جداً، رواه الترمذي (٢٧٩/٤) وابن أبي الدنيا في « القناعة والتعفف » (ج١ ورقة ١٠٦|١ من مجموع الظاهرية رقم ٩٠) وعبد الغني المقدسي في الترغيب والدعاء (٢/٨٩) عن طريق حماد بن واقد قال : سمعت اسرائيل بن يونس عن أبي اسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعاً . وقال الترمذي :

« هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث، وحماد ليس بالحافظ، وروى أبو نعيم هذا الحديث عن اسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي ﷺ، وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح ».

قلت : وحكيم بن جبير أشد ضعفاً من ابن واقد فقد أتهمه الجوزاني بالكذب واذا كان الأصح أن الحديث حديثه فهو حديث ضعيف جداً.

والشطر الأخير من الحديث رواه البزار والبيهقي في الشعب والقضاعي من حديث أنس، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٨|١٤٧) بعد أن عزاه للأول :

وفيه من لم أعرفه ».

٤٨٨ - ﴿ نهى أن يركب ثلاثة على دابة ﴾.

موضوع، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن داود الشاذكوني، قال الهيثمي في المجمع (١٠٩/٨) : « وهو متروك ».

قلت : لأنه كان يكذب في الحديث كما تقدم ..

٤٨٩ - ﴿ نهى أن يركب ثلاثة على دابة ﴾.

ضعيف، روي من حديث جابر : قال الهيثمي في « المجمع » (١٠٩/٨) :

« رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سليمان بن داود الشاذكوني وهو متروك ».

قلت : لأنه كان يكذب كما تقدم ، لكن روى الحديث بإسناد خير من هذا فقال أبو بكر بن أبي شيبة في « كتاب الأدب » (١/١٥٣/١) : حدثنا عبد الرحيم ابن سليمان عن اسماعيل عن الحسن بن مهاجر بن قنفذ قال : كنا نتحدث معه اذ مر ثلاثة على حمار فقال للآخر منهم : إنزل لعنك الله قال ، فقيل له : أتلعن هذا الإنسان ؟ قال : فقال : قد نهينا أن يركب الثلاثة على الدابة .

ثم روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن زاذان أنه قال (كذا) رأى ثلاثة على بغل فقال لينزل أحدكم فإن رسول الله ﷺ لعن الثالث .

٤٩٠ « رب عابد جاهل ، ورب عالم فاجر ، فاحذروا الجهال من العباد والفجار من العلماء ، فإن اولئك فتنة الفتناء » .

موضوع ، رواه بن عدي في الكامل (ورقه ٣٣ - ٣٤) من مخطوطة ظاهرية دمشق رقم ٣٦٤ ـ حديث) ومن طريقة ابن عساكر في المجلس الرابع عشر في ذم من لا يعمل بعلمه (ورقة ٥٦ وجه ١ - ٢ من مجموع الظاهرية رقم ٧٧) وفي « التاريخ » (٣ / ١٥٤ / ٢) من طريق بشر بن ابراهيم قال : ثنا ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة مرفوعاً . وقال ابن عساكر تفرد به بشر هذا . قلت وهو وضاع ، وقال ابن عدي إنه منكر الحديث . ثم ساق له أحاديث وقال : إنها بواطيل ، وهذه أحدها . ثم قال : « وهو عندي ممن يضع الحديث على الثقات . وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث » . ثم رواه ابن عدي (١/٣٤١) عن عمر بن موسى عن خالد بن معدان به وقال : منكر ، عن خالد بن معدان والراوي عن عمر بن موسى فقال له ابن وجيه وضعها بشر « ضعيف » : منكر ، وهو ممن يضع الحديث .

وهذا الحديث مما أورده السيوطي في كتابه « الجامع الصغير » ومن عجيب أمره أنه ذكره من رواية ابن عدي الذي ساقه في ترجمة هذا الوضاع ، ثم سكت السيوطي عن هذا كله !

٤٩١ - « من حج من مكة ماشيا حتى يرجع الى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة، كل حسنة مثل حسنات الحرم، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: لكل حسنة مائة ألف حسنة ».

ضعيف جداً، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/١٦٩/١) «وفي الأوسط» (١/١١٢/٢) والدولابي في «الكنى» (٢/١٣) والحاكم (١/٤٦١) والبيهقي (١٠/٧٨) من طريق عيسى بن سواده عن اسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس مرفوعاً.

وقال الطبراني، «لم يروه عن اسماعيل الا عيسى» قلت وهو ضعيف جداً وقال: أما الحاكم فقال: «صحيح الاسناد» ورده الذهبي بقوله:

«ليس بصحيح أخشى أن يكون كذباً، وعيسى قال: أبو حاتم منكر الحديث»

قلت: وتمام كلام أبي حاتم كما في «الجرح والتعديل» (٣/٢٧٧):

«ضعيف، روى عن اسماعيل ابن أبي خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النبي ﷺ حديثاً منكراً».

قلت كأنه يعني هذا...

والحديث أورده المنذري في «الترغيب» (٢/١٠٨) وقال:

«رواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم كلاهما من رواته عيسى بن سواده وقال: الحاكم: «صحيح الاسناد» وقال ابن خزيمة: ان صح الخبر، فإن في القلب من من عيسى بن سوادة شيئاً، قال الحافظ (المنذري): قال البخاري هو منكر الحديث».

قلت: ففي قول البخاري هذا إشارة إلى اتهامه وأنه لا تحل الرواية عنه كما سبق التنبيه عليه مراراً، وقد أفصح بذلك فيه ابن معين فقال:

«كذاب، رأيته».

ثم وجدت له متابعاً فقال ابو علي الهروي في الأول من الثاني من «الفوائد» (٩/٢) حدثنا سليمان بن الفضل بن جبريل ثنا محمد بن سليمان ثنا سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد به. إلا أنه جعل الشطر الأخير منه موقوفاً وهو: «بكل حسنة مائة ألف حسنة» أوقفه على ابن عباس. وهذا سند سليمان بن الفضل بن جبريل فلم أجد له ترجمة ولعله الذي في «الميزان» «سليمان ابن الفضل عن ابن المبارك وغيره قال ابن عدي: رأيت له غير حديث منكر» وقال ابن عدي أيضاً: ليس بمستقيم الحديث والله أعلم.

(يتبع) محمد ناصر الدين الألباني



أماكن الإعلام الجهادية

الباقية في الديار النابلسية

الأستاذ احسان النمر

إن المتبصر في طرق جبل نابلس الرئيسية لا بد أن تلفت أنظاره تلك الأشجار الحرشية تحيط بالقباب على قمم الجبال ، فإذا سأل عنها قيل له انها مقامات ومزارات للشيخ فلان والشيخ علان هكذا بلغنا منذ نشأتنا . إلا أن بعض الروايات المتداولة تنتهي الى أنها أماكن إعلام عن الحشود والزحوف ، فرأيت أن أتحقق ذلك بنفسي فقمت بجولة على تلك القمم فوجدتها أماكن حربية للإعلام بالمشاعل والنار ليلاً وبالدخان نهاراً كي يستعد المجاهدون في القرى المحيطة ويأخذوا أهبتهم لأن تلك القرى كانت ملأى بالمجاهدين لمنازلة الصليبيين والتتار الذين لم تنقطع غاراتهم طيلة قرنين تلتها قرون ثلاثة من الحروب الداخلية . ومنها كان يطير الحمام الزاجل أيضاً ، وها هي ذي لا تزال كذلك في الحبشة .

لقد مضت حقبة كبيرة على عدم استعمال تلك الأماكن للغرض الذي أنشئت اليه فظنها سلائل اولئك المجاهدين أماكن للتبرك وقد أطلق عليها أسمـــاء محافظيها فأصبحوا يغشونهـــا لذبح النذور ولقص شعور الاطفال فملؤوهـا بالبخور والملح والخرق والسرج وأدوات الزيوت !؟ وقد حافظوا على أشجارهـــا الحرشية من البطم والخروب والبلوط تقديساً وتعظيما .

تقع هذه الاماكن على قمم جبال مرتفعة بين جمهرة من القرى يحتاج الصاعد اليها من ساعة الى ثلاث ساعات مشياً على الأقدام في الوعور . لقد تحملت هذه المشاق ، وكلما زرت مكاناً منها تشوقت الى زيارة المكان الآخر المقابل له لاني كلما زرت مكاناً وجدت فيه مايقوي الفكرة القائلة بأنها مواقع جهادية أكثرهـا خالية من القبور .

في كل مكان من تلك القمم بناء من غرفتين في إحداهمـا محراب وعليها قبة والغرفة الاخرى خالية من هذا وذاك اذ كانت كل واحدة تستعمل لغرض . وقد وجدت أن أماكن القسم الشمالي من جبال نابلس تختلف عن أماكن القسم الجنوبي فالأول عبارة عن غرفتين ارضيتين على مستوى واحد يدخل لواحـدة من الأخرى أما الثاني وهو الجنوبي فهو عبارة عن غرفة فوق الأخرى ، ونفهم من هذا ان كل قسم خططه مهندس خلاف الآخر .

على أنها جميعها محاطة بغرف صغيرة تكاد لاتتسع لأكثر من جندي واحد والبناء جميعه محـاط بسور . مكوناً حصناً صغيراً في وسطه مايشبه البرج وفي وفي ساحتها إيوان أو أكثر وبئر ماء أو أكثر . كان المنوط بهم امر هذه الاماكن رؤسـاء وقوادا يلقبون بلقب شيخ فظن أنهم شيوخ طرق انقطعوا للعبـاده ولهذا يتبركون بهم والحقيقة انهم رجال حرب وان هذه الاماكن حصون صغيرة تقوم مقام الارصاد والمراقب .

إن كل مكان من هذه الامكنة يقوم على قمة جبل شـاهق في وسط بقعة مأهولة بالقرى والضيع لم يبق شك عندي بان جميع القمم التي من هذا النوع كانت متوجه بمثل هذه الاماكن فتهدم بعضها وبقي البعض وهذا الباقي منه مالم يبق منه إلا شجرة أو اكثر ورسوم ومنه مازاد على ذلك بوجود غرفة أو غرفتين أو اكثر متهدمة . ومنها ماحفظت فيه الغرفتان الرئيسيتان على أنها مقام شيخ صوفي مبروك تجب المحافظة عليه وقد حوفظ على الانقاض والرسوم فلن تنقل أحجـاره لتعمير قطع الاراضي المجاورة التي استولى عليها سكان أقرب قرية فعمروها .

على أن هذا الأمر لم يقتصر على جبل نابلس بل يتجاوزه الى جبال القدس والخليل والبلقاء والكرك من باب عكا الى العقبة إذ كان النزاع على أشده بين الصليبيين والمسلمين والتتار والمسلمين وبين المسلمين أنفسهم وقد أعمل للتحقيق عن الاماكن الموجودة في تلك الديار .

وحباً بفائدة اخواني قراء التمدن أوضح ماشاهدت في الاماكن الباقية في جبل نابلس مبيناً وضعها الآن مع الإشارة الى مواضعها والقرى المحيطة بها .

إن أول مايلفت النظر وأنت في نابلس وحولها مقام شيخ العماد على كتف جبل عيبال أي في الجبل الشمالي وهو من أفضلها عمراناً ومحافظة وهذا الشيخ هو أحد قواد العهد الصلاحي . وهو عمادي وجد العماديين في دمشق وله أوقاف كان المتولون عليها من آل الهجاري وهو مدفون في الغرفة الشمالية وتتصل به غرفة جنوبية فيها محراب ولها قبة وله ساحة رحبة فيها شجرات من التين لها نوافذ تطل على مدينة نابلس والساحة مبلطة تسيل مياه الامطار منها الى بئر ينزل اليه بدرج والى الشمال منه غرفة كبيرة لاتزال قائمة والى الغرب منها وتمام الساحة ايوان كبير وهذا المكان من أنشط الأماكن ترى منه البواخر في البحر الابيض ولهذا كان آباؤنا في الماضي القريب يصطافون فيه الاسابيع

ويقابل هذا المقام على كتف الجبل الجنوبي (جرزيم) مقام الشيخ محمد السري الذي لم يبق منه إلا غرفة وبئر فيها زاوية وقبر وقد يكون هذا الشيخ قد اتخذه زاوية اذ يقال انه من الصوفيين . والى الشرق من هذا المقام وعلى أعلى قمة من جرزيم مقام الشيخ غانم المقدسي البوريني الاصل وهو غرفتان إحداهما تعلو الاخرى ليس فيهما قبر والى جانبه أنقاض قلعة رومانية استعملها الصليبيون ثم فتحها صلاح الدين حينما أحرق نابلس وهو يستعد لمعركة حطين وقيل انه سلمها للأمير أدهم جد آل السختيان وأولادهم بنابلس الذين لايزالون يحفظون بحجة مكتوبة على جلد ماعز أو غزال وهذا المقام يشرف على نابلس وعلى سهل عسكر وما تحيط به من القرى وليس فيه قبر وليس في ساحته قبور .

ويقابل الشيخ غانم من الشمال مقام آخر يعرف بالشيخ بلال ويظنون خطأ أنه بلال الحبشي والحقيقة أنه مكان اعلام لأن بلالاً الحبشي رجع الى الحجاز ومات فيها . وليس فيه قبر وهو غرفة فيها محراب وفي ساحتها ليوان صغير وخارج الساحة بئر مـــاء . وهو يطل على وادي الباذان وغور الفارغة وترى منه قرى سهل عسكر ومشاريق الجرار كطوباس وطمون وكاوزه وعصيرة وياصيد وموقعه من أهم المواقع .

ويقابل هـــذا في الجهة الغربية وعلى مسافة شاسعة مقام أبي يزيد ويقـال له القبيبات التي قيل ان السلطان صلاح الدين الايوبي كان يصطاف هناك بعد معركة حطين وهو عبارة عن غرفتين ارضيتين متداخلتين تتصلان من الغرب بغرفة ثالثة يدخل اليها من باب ضيق جداً . وأمامها ساحة وبئر واسع وهذا الموقع فوق برقه والى الشرق منها ياصيد ويطل على سيلة الظهر والفندقومية وغيرها .

والى الجنوب من القبيبـــات مقام الشيخ شعلة بين قريتي اجنسنية والناقورة وسبسطية ودير شرف وهو غرفتان قد هدمت احداهمـا ويرى جواره حصن قديم وفيه بئر من نوع الصهريج وكان يسكنه آل كايد شيوخ عشيرة الحفاة ويتحصنون فيه وقد هدمه شيخ آل سيف ووادي الشعير العربي .

والى الشمال من القبيبات يوجد مقام الشيخ حريش وهو يقع بين جبع ومثلون وصانور وغيرها من القرى ويرى من مسافات بعيد وله أوقاف كبيرة أوقف ربع ريعها لإمام جـامع الحنبلي بنابلس . وهذا المقام غرفتان متجاورتان وفي الجنوبية قبر ومحراب والأخرى خالية وله ساحة توجه في شمالهـــا غرفة مهدومة يظهر أنها كانت تستعمل للدواب ، وفي ساحته بئر وآثار الـسوار .

والى الشمال من الشيخ حريش مقام أبو الشعر بين قريتي عنزة والزواية ولم يبق منه سوى شجرة بلوط وأخرى خروب وتوجد كروم وآثار سور .

وفي الجهة الجنوبية من جبل نابلس يوجد مقام ابو الجود شرق فرعته ولم يبق منه إلا غرفة واحدة فيها محراب وليس فيها ولا حولها قبور .

والى الشرق من أبي الجود يوجد مقام الأربعين وهو يشرف على قرى تل وحوارة وعصيرة القبلية ولم يبق منه إلا غرفة واحدة وترى حوله أنقاض وأسس أسوار وغرف .

والى الشرق من الأربعين يوجد مقام الشيخ حامد وهو بين تل وعصيرة القبلية ولم يبق منه إلا انقاض غرفة ومحرابها وحولها انقاض وأساسات مباني وسور .

والى الجنوب منه يوجد مقام الشيخ سلمان ويظهر أنه سلمان الفارسي خطأً لأن هذا مدفون في محلة الطور في القدس وله أوقاف والشيخ سلمان اسم على مسمى وهذا المقام غرفتان إحداهما تعلو الاخرى وحوله أماكن الجند والأسوار ولا تزال جدرانها قائمة قد نبتت فيها أشجار كبيرة من البلوط والبطم الخ ، وهو واقع ومشرف على قرى بورين وحواره وعوريف الخ .

والى الجنوب منه مقام علم الهدى وهو على نفس طراز مقام الشيخ سلمان ويشبهه في كل شيء وهو شمال زيتا وجماعين .

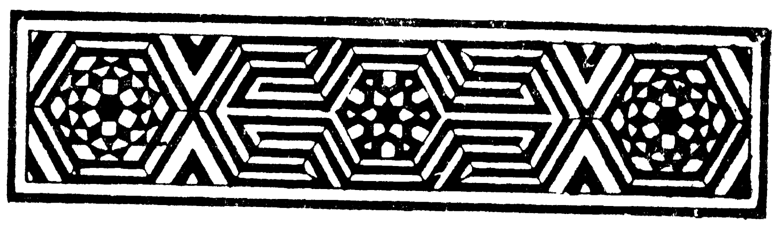
والى الجنوب الشرقي وبين قريتي اسكاكا وياسوف يوجد مقام الشيخ عبد الحميد ابي الزرد (جد عائلة جاموس الشرقي بنابلس) وهو كمقامات الجهة الجنوبية غرفة فوق أخرى والى جانب العلوية إيوان وساحة وحوله انقاض تحصينات وأسوار .

والى الشرق الجنوبي الشيخ محمد القبيصب فوق قرية مردا ولم يبق منه إلا غرفة مهدومة فيها محراب وحوله انقاض وترى منه قرى مردا وزيتا وجماعية وقيره وكفل حارس .

والى الجنوب وفي نهاية حدود جبل نابلس مقام يقال له بن عوف ويقول عنه الشيخ عبد الغني النابلسي انه مقام عمرو بن أمية الضمري وهو فوق اللبهر واعتقد انه استعمل كمكان للاعلام

هذه أماكن الإعلام الباقية في جبل نابلس يجب الإبقاء عليها وصيانتها واشهارها ، وفيها ذكريات لذلك الجهاد المجيد وأرجو ان أوفق لإيجاد من يساعد على المحافظة عليها والله الموفق المعين .

نابلس : احسان النمر



التربية وأهدافها

الأستاذ حمدي رشيد حنبلي

من المعلوم أن التدريس من أشق المهن الإنسانية . وان رسالة المدرس من أقدس الرسالات ، وقديماً كان الرسل يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم . وخلف الرسل أصحاب وتابعون كانوا للناس هداة وموجهين . وكان هؤلاء الناس يعتمدون على علاقاتهم الشخصية وعلى ما يمدهم به الدين من مكانة وعلى ما للدين من أثر في النفوس . كل هذه العوامل متداخلة بعضها مع بعض ، كانت من العوامل التي ساعدتهم على النجاح في مهمتهم هذه . إلا أنه جاء من بعدهم خلف اضاعوا العلم وافتقدوا تلك السمات الاجتماعية في علاقاتهم بالنـــاس ، فأخفق أكثرهم في تأدية رسالتهم وانعكس اثر ذلك على المجتمع إذ تناقص المجهود المبذول تساوقاً والمستوى الحضاري المجتمع ، واستمر المجتمع في التأخر عما كان عليه حتى وصل الحـــال من الركود أشبه ما تكون بسكون المتوفى .

نستطيع أن نميز هذه الحقبة من تاريخ الإنسانية بعصر الانحطاط . وبقيت الحالة هكذا حتى بزغ عصر النهضة (★) فتنبهت الإنسانية من غفوتها وبدأت تراجع حسابها مع نفسها واتجهت الى أمور التربية والتعليم ووطدت نفسها على أن تعيرها جُل اهتمامها ، وأعادت تخطيط مناهجها وعملت على تطوير هام ، ثم رجعت الى المدرسين فزودتهم بالأساليب الحديثة لكي ينجحوا في مهمتهم .

ان من أفضل الأمور التي يستحسن للمعلم أن يهتم بهـــا هو علم النفس بوجه عام والتربية على وجه الخصوص فهما صلاح المدرس في معركته مع الجهل. ونحن هنا نحاول بإيجاز أن نُلمّ بالنقاط الرئيسية المتعلقة بأهداف التربية وتطور هذه الأهداف .

(★) [illegible] ، إن النهضة الإسلامية الشاملة ، سبقت سواها من النهضات .

لا يختلف اثنان في أهمية التربية ولو اجبنا أن نحصي الأقوال التي ذكرت اضاقت المجلدات . ويكفينا أن نستشهد بقولين من حضارتين مختلفتين :

أ – القول الأول للحسن البصري ٢٢ هـ – ١١٠ هـ أحد الأئمة التابعين حيث يقول (لولا العلماء لأصبح الناس مثل البهائم) . ويعلق على هذا القول الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ بقوله (أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الهمجية الى حد الإنسانيـة (أحياء علوم الدين ابو حامد محمد بن محمد الغزالي جـ ١ ص ١١) .

ب القول الثاني لكانط الفيلسوف الألماني ١٧٢٤ – ١٨٠٤ م إذ قال : (ان أعظم سر في بلوغ الطبيعة البشرية درجة الكمال منحصر في التربية) .

– ٢ اننا في أقدامنا على أي عمل من الأعمال تنهج سبلاً معينة فنمر في مراحل مختلفة من ذلك العمل حاملين في أذهاننا الوصول الى نهاية ذات نتيجة معينة نعرفها وندركها .

ولا نأتي أي عمل ساعتئذ إلا إذا كان هذا العمل هو جزءاً من سلسلة أعمال توصلنا في النهاية الى ما نبتغي . وهذه هي سمة الإنسان الراشد في حين أن الطفل يسلك سلوكاً يتفق واشباع حاجاته الفطرية . وإذا ما ألحت إحدى هذه الحاجات في طلب الإشباع فإن الطفل يسرع في طلبه غير متبصر بأمره وكل همه ازالة التوتر الناشيء ، ولذا كان سلوكه في حياته اليومية سلوكاً عشوائياً غير مرتب ، إذ أننا نلحظ عليه عبوديته لرغباته ، فالهدف عنده منساقٌ وراء الرغبة الفطرية ، وبتطور القدرة العقلية عند الإنسان فإنه يعمل على أن يكيف نفسه مع مجتمعه . فيحرص في سلوكه على أن يرضى الجماعة التي يشعر بالحاجة الى الانتماء إليها . فيقدر عواقب السلوك . ويبدل الحاجات الفطرية بحاجات أخرى مشتقة يرضى عنها المجتمع ، وهو في تطوره هذا إنما يقوم بذلك لإسعاد ذاته ولاختصار المجهود المبذول في طلب الإشباع مرجئاً بعض الرغبات في سبيل غاية أخرى أهم لديه .

والإنسان بارجائه لطلب الإشباع السريع إنما يتخذ لنفسه هدفاً مبتغياً القيام بعمل مرتب منظم متدبراً الغاية النهائية المحتملة لهذه السلسلة من العمليات . فاستخدام الأهداف في حرص وعناية هو السبيل الذي يسلكه الإنسان الناجح .

فالهدف إذن نتيجة نهائية يوجه السلوك نحوها بقصد الوصول الى معنى معين . ونحن المربين علينا أن نتدبر قبلُ كيف نربي ، بأن نكون على بينة بالنتيجة التي نعمل الوصول إليها . إذ أن المربي إذا ما عرف الهدف من وراء عمله فإنه سيتكون لديه منظور زمني يزيده فعالية في عمله لأنه يعرف كم قطع من المراحل في كل خطوة من خطاه التعليمية ، إذ أنه يشعر بالانتهاء الى عمل هو عالمٌ بخطواته .

٣ - إرتكزت التربية عند المسيحيين الى عقيدة كانت ترى (١) أننا نولد مغضوباً علينا ، مفطورين على الشر وأن علينا أن نتطهر . فكانت التربية خاضعة لمصلحة الكنيسة ولم يكن هم القائمين عليها صالح المعبد ذاته . إذ جعلوه وسيلة لكي تحقق الكنيسة بها أغراضها . وكان إنقاذ الأرواح من عذاب جهنم أهم عندهم من أي شيء دنيوي صرف .

وجاء في موسوعة المعلمين (٢) :

حتى تنقى الروح وتنجو من عذاب النار ، ووسيلة ذلك الطهارة ، الفقر ، الطاعة التامة لرجال الدين .

ولكي يحققوا أهدافهم هذه أخضعوا الفن للعاطفة وجعلوا الفكر سطحياً وكانوا يعملون على تحويل الطلاب الى أطفال الرحمة والعفو ، فكانت مدارس الجزويت مثلاً تستعين بالضرب المتكرر كي يعجلوا بهذا التحويل .

استمر نفوذ المسيحية حتى مطلع القرن الثامن عشر . وكانت هناك فئات الفرسان الذين كانوا يتمتعون بمستوى رفيع فكانت لهم تربية خاصة بهم ، فاصبح مفهوم التربية (هو تكوين فئة خاصة من الفرسان الشجعان المغامرين ، وكانوا يمجدون الروح

(١) On Education by Bertrand Russel

(٢) The Teachers Ency-Clopedia.by. A. P. laurie

الحربية والعقيدة الصالحة والإيثار ورقة الجانب ولا سيما في معاملة الفارس للجنس الآخر) .

(هذا النظام شبيه بنظام الفتوة في الإسلام ، (كتاب الفتوة والصعلكة في الإسلام - للدكتور أحمد أمين) .

٤ - كانت التربية الإسلامية(١) تهدف الى تحويل الشعوب المختلفة الى أمة واحدة متجانسة لها فكر مشترك . بينها علاقات فعالة (دينمية) ، مجتمعها متكامل قادر على امداد أفراده بالحلول الجاهزة لكل مشكلة تعترضهم في حياتهم اليومية ، ويعمل على تنمية قدرات أفراده لكي يعتمدوا على أنفسهم ولكي يحملوا تلك المبادىء ويدعوا الغير اليها . ويعملوا على المحافظة عليها .

ويجد أفراده شعوراً بالتساوي شائعاً . ومرحلة متطورة الى أحسن في العلاقات الاجتماعية وكانت التربية تنظر الى الأطفال على أنهم وسيلة لنقل هذه التعاليم الى الغير ، كما أنهم في الوقت نفسه غاية ، إذ تتاح لهم الفرصة لتنمية استعداداتهم الفطرية وقدراتهم الذاتية الى أقصى حدود الفعالية اذ أنهم يعملون على وراثة المجتمع وما يسود فيه من عقائد ليورثوه بدورهم الى من بعدهم .

والهدف الأخير للتربية الإسلامية هو امداد الفرد بالإمكانيات التي تساعده على اكتساب رضى الله مكيفاً سلوكه بين مطالب الحياة الدنيا وبين مطالب الحياة الأخرى (٢) .

٥ - هناك رأيان متضاربان حول الهدف العام للتربية أيها أفضل أن تكون أهداف التربية فردية أم جماعية ، يرى روسو أن الهدف الفردي هو الأفضل ، فهو يؤيد الحرية الفردية الى أبعد الحدود في حين أن التربية في اليابان أو البلاد الاشتراكية .. تغمط الفرد حقه ، إذ نرى أن هذه الدول تقدس أهداف الدولة على حساب أهداف الفرد ، في حين أننا نرى أن الفرد يعيش في جماعة وأن الجماعة مكونة من

(١) الجملة : نظرة الإسلام إلى المولود على خلاف ما تقدم ، هـ (كل مولود يولد على الفطرة .) النقية المستعدة لكل خير ...

(٢) ارجع إلى تاريخ التربية الإسلامية للدكتور احمد شبلي ، والتربية الإسلامية لمحمد قطب .

عدد من الأفراد وأن العلاقة بينهما (دينمية) إذ أن كلا منهما يؤثر في الآخر فلا تطغى مصلحة أي منهما على الآخر إذ أن مصلحة الفرد هي مصلحة الجماعة ، وأن مصلحة المجتمع هي مصلحة الأفراد المنتجين لهذا المجتمع .

٦ ـ والنتيجة النهائية التي نصل اليها أن التربية تعمل على تحدي قدرات الفرد لكي ينمي استعداداته الفطرية ويهيؤها بصوره تجعل مصالحه منسجمة ومترادفة مع أهداف الجماعة وتجعل الجماعة تعنى بأهداف الفرد وتقدم له خير منتوجاتها الحضارية حتى يصبح أكثر فعالية في مجتمع حي متطور[١] .

٧ ـ نورد بعض السمات التي يسعى غالبية المربين إليها وإن اختلفت الوسائل التي يسعون إليها إذ أنهم متلاقون بالأهداف :

١ ـ تهدف التربية الى إيجاد الإنسان الصالح النافع المساهم في بناء كيان ذاته المشارك في الزود عن المكارم الخلقية المتشبث بالمبادىء والعقائد التي يؤمن بها المجتمع .

٢ وتهدف التربيـة الى تخطيط تكويني لخلق جيـل قادم يتجمل بالصفات الخلقية المرجوة .

٣ ـ وتهدف التربية الى إيجاد مجتمع من نوع معين

٤ ـ وتهدف التربية الى نشر المحبه والتسامح بين الصغار إذ أن ذلك يعمل على استتباب السلام العالمي

٥ وتهدف التربية الى امداد الفرد بالامكانات التي تجعل قـدرة الذاتية أكثر فعالية في المجتمع[٢] .

٨ ـ وقبل أن نتعرض الى الأهداف التي نسعى لتحقيقها أحب ان أذكركم بأن تأخذوا بعين الاعتبار ان بلدنا بلد عربي إسلامي ليس في عزلة ـ مع ذلك ـ عن الحضارة العامة وهو يستمد قوالبه الفكرية للحياة .

١ من العقيدة التي يؤمن بها شعبه .

---

(١) المجلة : نرى هذا واضحا في التوجيه الإسلامي والمجتمع المعمول به حقا .

(٢) Education for the reeds od life by Eruing Elgar miller P. 74

٢ - من الثقافات العالمية الأخرى[1] .

٣ من التراكم الثقافي الذي ورثه عن أسلافه . معتمداً على اللغة العربية في الدرجة الأولى في بناء ثقافته . ثم يتفرغ من هـذا فكرته عن النظام الاجتماعي وسائر مقدمات الحياة .

وهناك حقيقة أخرى وهي أننا عندمـا نضع فلسفة التربية في العالم العربي ، ليست مهمتنا أن نفرض على الناس فلسفة معينة ، وإنما تنحصر وظيفتنا في تحقيق الفلسفة الخاصة التي يعتنقها أفراد المجتمع . والأهداف التي تتفرع منها وفي ابتداع الوسائل الفنية التي تتحقق بها تلك الفلسفة ، وهذه الأهداف عن طريق النظم التعليمية والخطط والمناهج وما الى ذلك .

وإذ تقررت هاتان الحقيقتان اتضح لنا اننا كأمة مكلومة تقف على خط نار أمام عدو غاشم لئيم متربص بنا الدوائر . فلا بد أن نهدف في تربية أبنائنا الى إيجاد جيل جديد من الشباب الذين يعتزون بعروبتهم واسلامهم ويعملون على احياء حضارتهم وتحرير وطنهم المغصوب (فلسطين) وبقية اجزاء الوطن الجريح وطن العروبة والإسلام .

٩ - ولكي نحقق هذا الهدف الأساسي يجب أن نعمل على ما يلي :

(١) إيقاظ ضمير الفرد . (٢) وتهذيبه . (٣) وتربية شخصيته (٤) وتعزيزها (٥) وتثقيف عقله . (٦) وتنمية جسمه . (٧) واعداده بذلك ليكون إنساناً صالحاً .

١٠ وهذا يستدعي بأن يكون للبنت مدرستها والولد مدرسته ، وفي ذلك تحقيق المزايا التربوية والخلقية التي تتعلق بسلامة تكوين الشخصية وتكاملها .

١١ – ولا بُد أن تشمل هذه التربية الرشيدة كل فرد من أفراد الوطن العربي الإسلامي في مراحل التعليم كلها كل حسب استعداده واجتهاده .

حواره الأردن

صبري حنبلي

أستاذ التربية في دار المعلمين

---

(١) المجلة : ما دامت مابلة للاصم ، فالحكمة الحقة ضالة المؤمن .

كيف نحيي ليلة القدر

الأستاذ محمود مهدي استانبولي

« إنا أنزلناه في ليلة القدر! وما أدراك ماليلة القدر؟! ليلة القدر خير من الف شهر!.»

من المنزل؟

الله جل شأنه.

وما هو الأمـــر العظيم الذي أنزله الإله العظيم؟.

القرآن، أجل القرآن العظيم..

فما أعظم ليلة القدر، وما أكثر بركتها!

في هذه الليلة أنزل الله – سبحانه – قرآنه السماوي لأول مرة في تاريخ العالم ليكون للإنسانية دستورها التشريعي والخلقي الخالد كما انزل منذ بـــدء الخليقة قانونه الطبيعي الخالد أيضاً

وكما ان هـــذه الإنسانية لا تسعد ولا ترقى ولا يتم لهـــا الإفـــادة من الطبيعة إلا إذا خضعت للقوانين الإلهية الكونية، كذلك فإنها لا تسعد ولا ترقى في حياتهـــا الفـــردية والاجتماعيـــة والسيـــاسية إلا إذا خضعت لدستور الله وقوانينه التشريعية!

لقد جرب العرب هذا الدستور الإلهي، فجعل منهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف بغية إشاعة الخير والسلام على الأرض، وينهون عن المنكر بغية محاربة الشر والطغيان، ويؤمنون بالله ويخلعون مايعبدون من دونه من الاحجار

> « ان في الإسلام اثنتين من الذكريات عظيمتين أولاهما ليلة القدر في العشر الأواخر في رمضان، ليلة ميلاد عظمة محمد عليه الصلاة والسلام العظمة الحقيقية، ليلة نزول القرآن دستور الله، وهو أعظم منحة من السماء إلى الأرض. ويوم عرفه يوم نزلت آخر آية منه: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا »
>
> م. م

والأشخاص ، فخلقت في نفوسهم هذه المادىء السامية الوحدة والعزة والتؤدد ، فقضوا بسرعة عجيبة على امبراطوريتين من اعظم امبراطوريات التاريخ القديم بعد ما خضعوا لهما احقاباً طويلة .

كما أجلو اليهودية ، من جزيرتهم العربية ، بعدما كانت كالسرطان يسري في في جسومهم ويفتك في نفوسهم ، ويثير الفتن بين قبائلهم ليبيد بعضهم بعضاً ، ويخلو له الجو في بلادهم ، هـذا رأي خاص في كثير من حروب العرب ، ولعل المؤرخين يتحققون من ذلك بعدما لمسوا المؤامرات اليهودية بعد إسلامهم !

ثم مالبث هؤلاء العرب بعدما احتكموا لدستور القرآن ان انطلقوا في ميادين المعرفة والعظمة حتى غدوا اساتذه العالم في ساحات العلم والاختراع والاكتشاف ، وأيقظوا الإنسانية من سباتهـا العميق منذ مئات القرون ، فأفاقت على ندائهم ، وكانت هذه النهضة الأوربية ثم النهضة العالمية .

ليس هذا ادعاءنا ، إنما هي شهادة تاريخ الإنسانية شهد بها علماء الغرب ، فكان الحكم الإسلامي أعظم وأسعد عصور التاريخ !.

* * *

ثم أتى على الأمة العربية حين من الدهر غفلت عن دستورها السماوي ، فهوت من ذروة المجد والعظمة الى حضيض الذل والهوان ، وتخطفتها دول الغرب واستعمرتها ومزقتها شر ممزق حتى غدت كما وصفها شاعرها :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينـا	إلا بقيـة دمع في مآقينـــا
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت	وفي يمين العلا كنا رياحينـــا
كانت منازلنا بالعز شامخـــة	لا تشرق الشمس إلا في مغانينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا	شذراً وتخدعنا الدنيا وتلهينـــا
حتى غدونا ولا جاه ولا نشب	ولا صديق ولا خلٌ يواسينا

أين هذه المكانة من المكانة الرفيعة التي كنا فيها لما تمسكنا بقرآننا ؟!

فنحن الناس كل النا — س في البر وفي البحر
أخذنا جــزية الخلق — من الصين الى مصر ! .
الى طنجة، بل في كـ — ـل أرض خيلنا تسري ! .
وإن ضاق بنا قطر — نزل عنه الى قطــر
لنا الدنيا بما فيهــا — من الإسلام والكفر ! .
فنصطاف على الثلـج — ونشـــتو بلد التمر ! .

* * *

ان العرب اليوم مدعوون من جديد لدراسة مشـكلاتهم ومفتاح النجاة بأيديهم فإن أخذوا به حكموا وسادوا ، وإن تركوه هلـــكوا وبادوا ! وما أجدرهم بتعظيم ليلة القدر وإحيائها بمدارسة القرآن العظيم وتوطيد العزم على تطبيقه والعــودة إليه اذا كانوا جادين في إعادة مجدهم التالد وعزهم العظيم .

قال العليم طه حسين في كتابه (مرآة الأيام) : اذا كان هنــاك وحدة يحاول العرب أن يعودوا إليها ، ويقيموا عليها أمرهم في الحياة الحديثة كما قامت عليها حياتهم القديمة ، فالقرآن هو أساس هذه الوحدة الجديدة كما كان أساسـاً للوحدة القديمة . ولكن كل هذا غير وارد كما يظهر - ويا للأسف فإن أكثر العرب اليوم سائرون في ركاب الغرب وقوانينه ونظمه القاصرة والمخفقة التي طالما جرت علينــا وعليهم الويلات بسبب عجزها وفوضاها وماديتها الـتي جعلت العالم أتوناً وجحيما لا يطاق ! إنهم متأثرون بأقطاب الاستعمار الذين يحشدون جميع قواهم المادية والمعنوية ظاهرة وباطنة لمحاربة دستور القرآن وإبعاد العرب عن حكمه ليحـولوا بينهم وبين النهوض وفقا لوصية رئيس وزراء بريطانيا السابق غلادستون الذي أعلن أنه ما دام القرآن بأيدي المسلمين فلا قدرة لنا عليهم ، ولا نجــاة لنا منهم ! حتى أن جامعة أكسفورد في انكلترا جعلت كرسيا لابتكار الطرق لمحاربة الإسلام ! وكان آخــر محاولاتهم بالاشتراك مع اسرائيل نشر القرآن على العالم بصورة محرفة ومشوهة !

أين المصلحون ؟

أين العلماء والمبشرون ؟

أين كل هؤلاء لينقذوا القافلة العربية الضالة قبل أن ترتطم بصخرة الهلاك ، بل بصخرة الانتحار !

* * *

غير أنني أرى أن أكثر من ناديت في غفلتهم ساهون ، بل أن فيهم أناساً بدلاً من ان يوقظوا أمتهم ، اخذوا يضللونها حتى انهم جعلوا من ليلة القدر ليلة للرقص على نغمات الناي كأنهم في مرقص لا في مساجد الله ؟ ونسبوا ذلك ظلماً وعدواناً الى الصحابي الجليل ابي بكر الصديق ! وكان الأجدر أن ينسبوه الى الشيطان . كما جعلوا من هذه الليلة فرصة لإشاعة الاساطير والقصص الخرافية الشبيهة بقصص ألف وليلة وخاتم المارد ونوادر المحظوظين !!

حتى هذا القرآن - الدستور السماوي - جعلوا منه في هذه الليلة - وفي سائر الأيام والليالي - بضاعة مأجورة بل مشروطة الهوتى وسوقاً تجارية لابتزاز أموال العامة بطرق متنوعة مع ورود النهي عن ذلك في السنة النبوية الصحيحة وفي كثير من كتب الفقه التي تخالف ما عرفوه وما ألفوه (★) .

أيها المصلحون :

أيها الدعاة :

أيها العلماء :

اجعلوا من ليلة القدر مناسبة عظيمة لتجديد العهد لدراسة القرآن بتدبير وتفكير وبحث لتحقيق هذا الدستور الإلهي وتطبيقه في نفوسنا وفي بيوتنا وفي قضائنا وفي ندوتنا النيابية التي تشاء الصدف أن تكون مجتمعة في هذه الذكرى المباركة ، لتضع دستور البلاد ، والأمة كلها التي انتخبت نوابها على أساس تحقيق دولة الإسلام ، تنظر إليهم وتراقب عملهم ليقدموا لها الحساب بأمانة وصدق واخلاص !

ان القرآن كما الكريم هو « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخير ما بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى

(★) راجع في ص ٦٦١ من مجلد التمدن الإسلامي ٢٧ ما نقلناه عن العلامة ابن عابدين في بطلان الوصية بالبدع

الهدى في غير أهله أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي الى الرشد ، فآمنا به - .

من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي الى صراط مستقيم ، له حلاوة ، وعليه طلاوة ، أعلاه مثمر وأسفله مغدق ، يعلو ولا يعلى عليه ، - لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)٥٠ :٣٧ .

محمود مهدي الاستانبولي

خداع ويقظة

دخل على الخليفة أبي جعفر المنصور رجل بين عينيه أثر السجود ، فطلب إليه أن يوليه قضاء بعض البلاد ، فاستراب المنصور بهيئته ، ولم يفته أنه يتصنّع التقوى والوقار ، لذلك قال له : ما هذا الذي يبدو في جبهتك كأنه ركبة البعير ؟! إن كنت أبورتَ الله بهذا فما ينبغي أن نشغلك عنه ، وإن كنت أردت خداعنا فما ينبغي أن ننخدع لك .. انصرف عنا .

ميثاقنا الذي نريد؛ ولماذا ؟!

بقلم الأستاذ محمد بن كمال الخطيب

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ، وقد امتن على الأمة العربية ان « بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » أخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، وجعل لبلاد الشام حرمة ، وفيها بركة ، وأنزلها من الحق منزلة الكنانة ، تبقى (بروح جهادها) ثابتة على الحق كما ورد في الحديث الشريف : (الشام كنانتي من ارادها بسوء ضربته بسهم منها) .

وقد تجلت هذه النعمة العظمى بمواقف تاريخية حاسمة كانت الأمة فيها متضامنة بسرعة ، وقد تولت قيادتها في أجلّ المواقف السنة الإيمان في المساجد والمنابر ، وتعلقت من ذلك بها الآمال على انتهاء ادوار التجارب الفاشلة التي لا تبني بناء الأمة على اسس العقيدة والأخلاق وما أنزل الله من كتاب فيه هدى ونور ، ولا سيما في مجتمع بناه الله لتكون به خير أمة أخرجت للناس ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » فنحن بذلك اصحاب رسالة سماوية أحق الناس بالمحافظة عليها ، والجهر بها ، والاهتداء بهديها ، ولا سيما في دعمها للأهداف القويمة التي تنشدها الأمة ، وفيها العزة والكرامة ؛ تبدأ خطواتها من اصلاح الفرد ليكون الصلاح شاملا يعم المجتمع ، وقد . قال تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وتعتمد في ذلك على تقدير الأعمال ونياتها الصالحة المصلحة كما قال الرسول الأكرم ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ، وهدفها تثبيت المكارم في الأمة كما قال عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، وترى في ذلك مبدأ ترتكز عليه أو[illegible] دعائم الاقتصاد السليم ، تتفتح به بركات السماء ، « وأن

لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم مـاء غدقـا » ، وتعم به الخيرات في الأرض ، بشكل راسخ ، « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ، وإن الخلق القويم ، والعمل الطيب ، والنفع العميم هي الدعائم الراسخة لكيان الأمة وبناء الحضارة القوية ، وبغير ذلك تضطرب الحياة ، وتتعقد المشكلات ، وتخسر الإنسانية سلامتها وأمنها ، وصدق الله « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا » ، مهما ازدهر الانتاج وتضاعف الدخل ؛ كما هو ثابت في الوضع العالمي الحاضر ، رغم ازدهار حضارته مادياً بعلوم وفنون زاهرة ، وخيرات وافرة !

وإن أمل العرب بوحدتهم الشاملة لا يتحقق باختلاف أهواء الساسة والقادة ، وإنما يتحقق بالمبدأ الجامع لهم ، كما قـال تعالى خطاباً لرسوله الأعظم ﷺ : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » ؛ وبهذه المبادىء نفسها اجتمعت الكلمة مع اختلاف العقيدة أيضا مع أهل الكتاب من الأقليات الدينية على أساس العدل الذي صوره الرسول ﷺ بقوله : (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ؛ وجعلهم مناط الذمة ، يحوطهم الضمير المسلم بالرعاية والعدالة وحسن المعاملة حتى قال ﷺ : (من آذى ذمياً كنت خصمه يوم القيامة) ولهم الحرية الكاملة في العقيدة ورد الخلاف بين الناس الى الله : « إن الله يفصل بينهم يوم القيـامة فيما كانوا فيه يختلفون » . وبمثل هذه الوحدة المتماسكة يستعيد العرب (في هذا الصراع الدولي) من مكانتهم التاريخية المرموقة ، فيطهروا أرضهم من الاستعمار وركائزه في مثل فلسطين والجزائر وعمان والجنوب العربي وسائر المناطق ، وتتحقق لهم العزة مصداقاً لقوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ويسمو الجهاد بروحـه ليكون في سبيل الله ، خالصاً لوجهه ، فيه تضحية « ونبل ليسمو على المطامع السياسية والمنافع المادية ، أن تكون أمة هي أربى من أمة » ، ويتحقق النصر الأكيد بشرطه : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وقد استأثر الله بالنصر يؤتيه من يشاء « وما النصر إلا من عند الله » .

وبمثل هذه الوحدة تتماسك الأمة ، حكاماً ومحكومين ، أغنيـــاء وفقراء ، عاملين وفلاحين وملاكين ورأسماليين ، لا تفرقهم الى طبقات ، ولا تؤرث بينهم الأحقاد ، وهم (كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

وإن اتخاذ مبادىء جديدة بأسماء جديدة لَينتهي بنا إلى الفرقة ، وهذا ما حذر منه تعالى بقوله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ؛ وأول الزيغ انحراف الكلمة ، وتعدد النظرات واختلاف الأفكار والأهواء ؛ فضلًا عن استدراج الأهواء والمطامع بكلمة وشـــعار .

ويسرنا أن تطلعت النفوس الى توحيد الصفوف بعد أن عانت الأمة من العصبية الحزبية ما عانت ، كما يسرنا أَن تقوم النهضة والوحدة وتجتمع الكلمة على (المبادىء الخلقية والقيم الروحية التي تؤمن بها الأمة العربية) .

ولكن هذا المبدأ الذي يردّد لفظاً ، لم يفصل على مقتضى حاجات الوقت الحاضر ، ولم يول العناية التي ينزل بها منزلة الأصل من الفرع ، وكان أسلوب الحـكم وإصلاح التشريع قام على النظر الى العمل والعامل في الصناعة والزراعة وكان الاهتمام بذلك مدار التفصيل كله .

وإن كلمة « الاشتراكية » و « العدالة » قد تلاعبت بموازينها السياسات المختلفة بين الأمم ، كما رأينا من ظلمها الصارخ ، وافسادهما المجرم ، ما جعل نقمة الأمة في سورية العربية عامة تشعر بمطلب جديد للآمال الجديدة .

وقد سبق أن صرح رئيس الحكومة الشيوعية الأولى في العالم (خروشوف) لوفد الجمهورية النيابي في العهد السابق منذ سنة : بأن الاشتراكية هي أول مدارج الشيوعية ، وأنها حرف هجاء الشيوعية الأول . ولهذا فإن مداها التطبيقي فسيح المجالات لتلاعب الأهواء والمبادىء السياسة والحزبية ، ولا يغني في ذلك تقييدها بكلمة « الاشتراكية السليمة » كما لم يغن من قبل ، تسميتها (بالاشتراكية التعاونية والديموقراطية الصحيحة) فكانت التجربة قائمة على تأميم الصحافة ، والالتزام في الدعوة والمبدأ والكلمة بما يرضي الحاكم وحده !!

وكذلك لا يغني في هذا الموطن القول (بالعـــدالة الاجتماعية) مقيدة بحسن توزيع الإنتـــاج ، فالمذاهب الاقتصادية المتباينة من الرأسمالية الى الاشتراكية الى الشيوعية تدور حول أسس الانتاج والتوزيع ، وكل منها يدعي الإحسان في ذلك ، فليس لهذه الأقوال العامة المبهمـة حدود تقف بنا عند حد مرسوم تطمئن إليه النفوس ، ويحوطه المستقبل بالثقة والتفاؤل وعدم التطرف والانتكاس ، ولا سيما اذا وجدنا الى جانب ذلك (حق الحكومة دون تمركز رأس المال) وفي هذا السهم تمتد الطريق الى مثل ما أعلن من قبل هذا العهد الحاضر (بإذابة الفوارق بين الأفراد) ، وهو أقصى الظلم والإفقـــار الذي ينحط بالغني الى دركة الفقر بديل أن يرتفع بالفقـــير الى مرتبة الاستغناء والرضاء ، بل هو أدنى دركات الشيوعية في خطوتها التي تراجعت مخططاتها العملية عنها . إذ لم تجدها عمليا .

كان السير في هذا الطريق إلى الغاية على أنه أساس (لتكافؤ الفرص) بتحطيم رأس المال والاستيلاء عليه ، واضطهاد أهله ، وتلك هي هي الأحقاد الشيوعية . ولعل ما أدرجت عليه البلاد من ذلك لا يسمى « مكاسب » لنحافظ على هذه المكاسب بمثل هذه الكلمة المحببة ! وإنما يبدأ الطريق من غير هذه المدارج، يبدأ بحدود واضحة تلزم الحكومة بخطتها وتقيد سلطتها بالشورى وإقامة العدل بين الناس ، كما أنزل الله على هدى قوله الحكيم : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقـاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » ، وتنصف (العمل) وأهله إنصاف (رأس المال) في مثل الخطة الثلاثية التي تضم ممثلين عن العمال وأصحاب العمل تحت اشراف ممثل عن الحكومة المشورة وإزالة أسبـــاب الخلاف في ضوء العدالة الإسلامية تشريعاً وتنظيما وحلاً لكل خلاف بما يحوط المستقبل ، ويجعل الكسب من توزيع الانتـاج (عادلاً) حقاً حلالاً طيبا كما قال تعالى فيما أوحى الى رسله « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» .

إن حدود السلطة الحاكمة تبدأ من الشورى بمثل الانتخاب والمجلس النيابي وحرية الرأي والنقد بروح النصيحة والتذكرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وإن الحد في الأموال حماية مكاسبه المشروعة التي احلها الله مع رعاية المصالح بهدى المبدأ الفقهي الصريح بمواده الكلية : (المصالح العامة تقدم على المصالح الخاصة) ، و (لا ضرر ولا ضرار) و (دفع المضار أولى من جلب المنافع) ونحو ذلك: « لا تَظلمون ولا تُظلمون » كما هو صريح كتاب الله ، وإن العامل في ذلك أجره بوفاه بغير مطال كما قال عليه السلام : (أعطو الأجير اجره قبل أن يجف عرقه) والعمل تقديره ، بل وإن له حق الحماية من الخسارة في الوطن الذي يستوجب الحماية بمثل الحكم الشرعي بعدم مطالبته بالخسارة في شركات المضاربة القائمة بتعاون متكامل بين العمل (ورأس المال) .

وفي إطار من هذه الحدود تقف السلطة التشريعية والحكومة التنفيذية موقف الأمر والإرشاد والتقنين والتنظيم والوساطة والحكم ، وبذلك ينال العامل والفلاح حقهما بغير إفساد عقيدته وخلقه ، وبغير أن نجعله ينظر الى نفسه ومواطنه نظرة التفرقة بميزان الغنى والفقر ، مدفوعاً بتيارات المذاهب الاقتصادية والسياسة المتنافرة المتعاديه التي تعصف بالأمة وكيان حكمها الراسخ . ولعل دور الحكومة برعاية عمالها ومستخدميها ومؤسساتها ولاسيما في ميادين الحياة الصناعية الكبرى واستخراج المعادن وخيرات الأرض وكنوزها ؛ يكون دور قدوة حسنة ، لما لها من ذلك من حق وولاية وسلطة ؛ وأما الزراعة فحالها أيسر حين نريد بحق أن ننهض بالزراعة والقرية على الأسس الفنية الحديثة ، ويزيد الحكومة في ذلك سلطة أن الأرض اميرية ، فهي رأس المال تملكه الدولة ولها عليه سلطان واسع ، فكيف إذا ساهمت في ذلك بحدود من الخبرة الفنية ، وإعداد الأسباب من الأدوات والمشاتل والبذل والمعونة ، بتنظيم جدي لمصارف الزراعة بشكل يحقق الأهداف ؟ !

لهذا كانت طريقتنا ابداً مستقيمة ، لا تميل مع الرأسمالية ،ولا تهوي في درك الشيوعية ، ولا تزيغ مضطربة مع الاشتراكية ، وهي إذا صدقنا المبدأ والدعوة والخطة تعلن في الأرض حل المشكلة الاقتصادية وتكون للأمم جميعا خير أسوة ، وهي أرقى منزلة ، لا نذل فيها بالتبعية ، ولا ننحاز بها إلى جهات العالم المتصارعة ،ونحتل أرفع مكانة « واجعلنا للمتقين إماما » ، وبهذا تتحقق الأهداف الكريمة بميثاق يدعمه الإيمان بخلقه ، وتنظيم الإسلام بأحكامه« والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » . المحـــامي

محمد بن كمال الخطيب



المطالبة بالعمل بالإسلام... ! (★)

لجماعة من مدرسي التربية الدينية في دمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

قال الله تعالى «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ماأنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

إن شعورنا بالواقع السيء الذي عليه المسلمون في جميع أقطارهم ومنها بلاد الشام ، وإن إدراكنا لما يفرضه الإسلام على جميع المسلمين من وجوب العمل على إعادة الحياة الإسلامية وإقامة سلطان المسلمين على أساس الإسلام في الحكم والاقتصاد والاجتماع وسائر شؤون الحياة ، وان اعتقادنا الراسخ في هذا العصر ـ الذي تتناحر فيه المذاهب المزيفة والمعلنة عن إفلاسها ـ بضرورة جعل السيادة للاسلام وسلطان تطبيقه للمسلمين ، دون اعتبار للظروف والأحوال الدولية وماهي عليه الآن .

وإن كونكم مسلمين ودعاة اليه ،

أولاً تعتقدون مانعتقد وتدركون من أحوال البلاد ماندرك ، وتشعرون بالأسى على الأوضاع كما نشعر ، وإن وجودكم في المجلس النيابي كوسيلة للعمل من أجل تحقيق أماني المسلمين في عودة الإسلام إلى الحكم والتشريع في الشؤون الداخلية والخارجية على السواء وكونكم مظنة القيام بالدور العظيم الذي فرضه الله تعالى عليكم ثانياً . وإناطة الأمة بكم الآمال العظيمة . وما عرضتم له أنفسكم من حمل أمانة العمل له ثالثاً ، يوم رشحتم أنفسكم وأولتكم الأمة ثقتها على أساس الإسلام .

ذلك كله دعانا أن نتقدم اليكم بهذا التذكير والبلاد بانتظار الدستور الإسلامي

(★) كتاب وجه الى السادة النواب .

الكامل . فان حققتم الظن بكم والآمال المعلقة عليكم كان لكم منا ومن المسلمين جميعا الشكر . ومن الله تعالى « وهو ربنا وربكم » عظيم الأجر ، ورضوان من الله اكبر .

١ - لانكتمكم انا أصبنا بخيبة أمل حينما فاجأتنا الإذاعة والصحف بأن : لجنة وضع الدستور - ومنكم اعضاء بها » وافقت بالإجماع على اعتبار دستور سنة (٩٥٠) أساساً للدستور الجديد . ومعلوم أن ذلك الدستور ينص على ان سورية جمهورية ديموقراطية برلمانية . وان الديمقراطية تقوم على فصل الدين عن الحياة وعلى ان الحكم فيها بالشعب للشعب وان الشعب هو مصدر التشريع والسلطة وله وحده سن القوانين .

والديمقراطية مخالفة لنظام الإسلام كذلك ، إذ أن التشريع لله تعالى فهو وحده العالم بمصالح العباد الخبير بأحوالهم وحاجاتهم . والمجرد عن الميل مع الهوى وعن الجهل وسوء التقدير . وحتى في النظم الديمقراطية لايحكم الشعب وإنما يحكم الحاكم ، ولا يضع القوانين الشعب وإنما لجنة قانونية ، ولا يملك السلطة التشريعية وإنما هي للفقهاء والقانونيين .

٢ - ونرى أن مجرد وجود مادة تتضمن ان (دين الدولة الإسلام) لايعني أن الدستور إسلامي حتى من الوجهة النظرية . وإنما يعني إثبات هوية البلاد بأنها إسلامية وأن أهلها مسلمون . ولقد وضعت هذه المادة في بعض الدساتير فلم تؤت أية ثمرة عملية سوى الهاء المسلمين ببعض المسائل الجزئية عن الواجب الحقيقي من جعل الدستور اسلامياً في جميع نواحيه إذ لا يخرج عن الإسلام في شيء ولا يأتي فيه شيء مخالف للإسلام .

٣ ونقدم هنا بعض القواعد العامة أو الخطوط العريضة التي يجب أن يبنى عليها الدستور الإسلامي المنتظر .

أولاً ـ العقيدة الإسلامية أساس الدولة وهي في نفس الوقت أساس الدستور والقوانين من حيث لا يسمح بوجود شيء مما له علاقة بأي منها إلا إذا كان منبثقاً من العقيدة الإسلامية .

ثانياً ـ جميع المسلمين يحملون مسئولية الإسلام حكاماً كانوا أو علماء أو عامة، ولا تتسلط طائفة أو تستأثر بها .

ثالثاً – عمل الدولة الأصلي هو : حمل الدعوة الإسلامية .

رابعاً – الكتاب والسنة والإجماع والقياس هي وحدها الادلة المعتبرة للأحكام والقوانين ، ولا يجوز التشريع من غيرها .

خامساً – نظام الحكم في الإسلام هو نظام وحدة يكون الحكم فيه مركزياً ، والإدارة محلية (لا مركزية) .

سادساً – لا يجوز أن يتولى الحكم أو ما يعد من الحكم كولاية التشريع إلا رجل مسلم عدل كفء .

سابعاً – يحاسب المسلمون الحكام على أعمالهم وما يصدر عنهم فإنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين .

ثامناً – يقوم نظام الحكم في الإسلام على أربع قواعد . ان السيادة للشرع لا للشعب ، وسلطان المراقبة والتولية للأمة ، يجب على المسلمين تعيين رئيس واحد لهم ، ورئيس الدولة هو الذي له حق تبنّي الأحكام الشرعية .

تاسعاً – ويقوم النظام الاجتماعي على أصول منها : الأصل أن ينفصل الرجال عن النساء ولا يجتمعون إلا لحاجة يقرّها الشرع كالبيع، ويقر الاجتماع من أجلها كالحج ، ولا يصح الرجال والنساء القيام بأعمال منافية للأخلاق أو ما فيه فساد للمجتمع . والأصل ان المرأة أم وربة بيت وانها عرض يجب أن يصان .

عاشراً – ويقوم نظام التعليم لغاية هي : إيجاد الشخصية الإسلامية وتزويد الناس بالعلوم والمعارف المتعلقة بشئون الحياة فتجعل طرق التعليم على الوجه الذي يحقق هذه الغاية . وتعلم الثقافة الإسلاميه في جميع مراحل التعليم ويخصص في المرحلة العالية فروع لمختلف المعارف الإسلاميه كما تخصص فروع للطب والهندسة وما شاكلها .

حادي عشر – ويقوم النظام الاقتصادي على أصول :

أ – المال لله وحده وهو الذي استخلف بني الإنسان فيه ،فصار لهم بهذا الاستخلاف العام حق ملكيته وهو الذي أذن للفرد بحيازته فاصبح له بهذا الأذن الخاص ملكيته بالفعل .

ب – تتضمن الدولة إيجاد الأعمال لكل من يحمل التابعية لها .

ج - الموظفون عند الأفراد والشركات كالموظفين عند الدولة في جميع الحقوق والواجبات وكل من يعمل بأجر موظف مهما اختلف نوع العمل أو المعامل .

د - تعمل الدولة على تداول المال بين الرعية وتحول دون تداوله بين فئة خاصة .

ه - يمنع استغلال واستثمار الأموال الأجنبية كما يمنع منح الامتيازات لأي أجنبي ويمنع فتح المصارف منعاً باتاً . ولا يجوز التعامل بالربا . بل يكون المصرف دائرة من دوائر بيت المال يقرض حسب أحكام الشرع ويسهل المعاملات المالية .

ثاني عشر - لهذا الإيجاز المذكور تفصيل يمكن وضعه بين أيديكم في سبيل التعاون على مشروع نظام يصلح دستوراً كاملاً للدولة .

وأخيراً نحن نقدر أن حملة الفكرة الإسلامية في المجلس النيابي عدد محدود وليس بوسعه تطبيق كل ما يطلبه ويدعو إليه ، لكنكم في وضع جيد والحمد لله تتمتعون فيه بالحصانة النيابية وبالمركز المرموق تتخذون من ذلك وسيلة لعرض الإسلام وأحكامه وقواعده على منبر المجلس النيابي وفي اللجان المختلفة والاجتماعات العديدة وفي المناسبات الشعبية ، ويكون بذلك للإسلام الحظ الأوفر بوجودكم وجهادكم في هذه الندوة . وتكون الأمة المسلمة من وراءكم تؤيدكم وتشد من أزركم وتعمل في مجالاتها مثل عملكم في سبيل الرجوع الى الإسلام .

ونرى أنكم بذلك وحده تسقطون عن أنفسكم الإثم وتؤدون الأمانة التي حملتموها بصفتكم مسلمين ودعاة الى الإسلام ، وبصفتكم وكلاء عن الأمة التي اختارتكم لأداء هذه الأمانة .

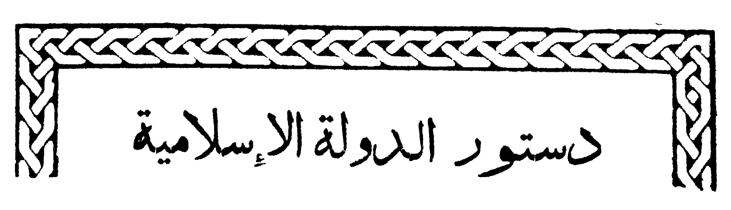
فإن تحققت الآمال على أيديكم فبها ونعمت ، وإلا فمعذرة الى الله تعالى وقياماً بواجب تبليغ الأمانة ، فالمسلم كلف بالسعي ثم الأمر لله تعالى من قبل ومن بعد .

قال الله تعالى « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » .

وفقنا الله تعالى جميعاً للعمل بما فيه رضوانه وعز الإسلام وسعادة المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شريف كركولي واخوانه



دستور الدولة الإسلامية

للأستاذ الشيخ وحيد الجباوي



الإسلام دين الله عز وجل (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فيه صلاح الدنيا والآخرة وليس يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها تقوى الله ورد المظالم والعدة للعدو فإنما ننصر ونرزق بضعفائنا (وكيف يقدس الله أمة لا ينتصر فيها للضعيف) كما في الحديث الشريف . وأنما الجهاد لتقوم في البلاد حكومة إسلامية تبيح نشر الدين ولا تكره عليه فإنه (لا إكراه في الدين) إذ هو لا يورث الا منافقين قد أسلم منهم الظاهر وهم في شك وارتياب يتربصون الدوائر بالمؤمنين ، انما تؤخذ منهم الجزية ليختلطوا بالمسلمين فيدخلوا في دين الله طوعاً لا كرهاً ، وإذا لم تقم حكومة مسلمة لم تأمن على الدعوة بل على المسلمين أن يبقوا أحراراً في دينهم كما وقع في الأندلس إذ اقاموا محاكم التفتيش بعد العهد والمواثقة فقتلوا واحرقوا حتى لم يبق إلا من يعبد الله في خفية فنقّر عنهم كل منقّر حتى انطمس نور الإسلام في تلك الديار . أما جهاد الدفاع فإنه فرض عين يخرج الولد بغير إذن والده والعبد بغير إذن سيده والمرأة بغير إذن زوجها ان أحوج الأمر الى قتال النساء .

والحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والإجماع والقياس وما ذكر في الأصول من القواعد لمن بلغ رتبة الاجتهاد ، فإن لم يبلغ كما هو الغالب اليوم إلا دعوى عريضة يدعيها ـ الا كثرون فإنه يقلد بعض الأئمة شرط الا" يفضي ذلك الى التلفيق إلا لضرورة أو مصلحة ، والامير إذا صادف أمره فصلاً مجتهداً فيه وجب انفاذه وكل أمير يطيع من فوقه ويطيعه من دونه إلا" أن يخالف من فوقه في معصية أو مفسدة .

والإسلام واسطة ما بين الملكية والجمهورية والديموقراطية والديكتاتورية والمركزية واللامركزية والشيوعية والرأسمالية ، فيه من كل نظام أحسنه لا أسوؤه ، ثم هو من بعد شرعة الله عز وجل فهو خلافي شورى زكوي له استقرار الملك وعدم اشتراط الارث وأن يكون الخليفة اللاحق من قرابة الخليفة السابق بل أفضل العصر في الديانة والسياسة كما ولي الخلفاء الراشدون من قبل فإن في تجديد الرياسة كل فترة رضا واهتماماً باسترداد ما دفع وتحقيقاً لمطالب الناخبين فإن فسق عزله من ولاه ، وهم العلماء أولو الرأي . وليس فيه استبداد الرأي ولا بطء المجلس النيابي بكثرة العرض على اللجان ثم يكون صوت العالم والأعرابي في ذلك على سواء والله تعالى يقول : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) انما يعرض الأمر على العلماء أولي الرأي بمن جمع الديانة والسياسة والاختصاص فإن خالفهم الخليفة فلهم خلافه إن كان في الأمر معصية أو مفسدة فإنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) والمفسدة من المعصية فذلك أسرع في البت وأنضج في الرأي واحالة على أهل التقوى والاختصاص .

والمرء حر فيما جناه بجده أو جد أبيه وجده إنما تؤخذ منه الزكاة لا تكاد تنقص من مال الغني شيئاً ثم هي تمنع الفقر أن يشيع كما حدث في زمن عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه كان يطاف بالزكاة فلا يقبلها أحد ، فلقد استغنى الناس بالزكوات السابقة عن الزكوات اللاحقة فإن اضطر الخليفة لحاجة أو ضرورة ولم تكف الزكاة والعشر والجزية والخراج جاز فرض المال بقسطاس قدر الضرورة لا سلباً ونهباً يفقر الفقير ولا يصل من ذلك الى الفقير الا النذر اليسير ، فأرادت الشيوعية بزعمها أن تسوي بين الناس فسلبتهم المال والدين والخلق (وكاد الفقر أن يكون كفراً) لا يستريح عامل إلا بتقرير طبي أو شيخوخة أو عطلة سنوية لا ترفهاً أو انصرافاً لبعض الشأن ليعود أنشط من بعد والله تعالى جعل الكون بين غني وفقير (ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً) ففريق للعمل وفريق للمال ، وليعطف الغني على الفقير فيحب الفقير للغني ، وما أسعد الامة اذا ساد بينها التعاطف والتحاب

ولقد قرأت في نفح الطيب للمقري ان أمير إفريقية كان يعين عامله على الأندلس وربما بعث به الخليفة فكان يضيق من سلطان الوالي أو يوسع حسب المصلحة (والشاهد يرى ما لا يراه الغائب) وهي اليوم في دول اتحادية على اتفاق في الخارجية والدفاع لتكون لنا أصواتاً في هيئة الأمم فإنما تخطب ودنا الدول بما لدينا من كثرة الأصوات والوفاق .

والخليفة أفضل قريش وأقدرهم على الحكم بالبيعة والعهد والانتقاء والإلزام كما كانت بيعة الخلفاء الراشدين وتصح سلطنة متغلب للضرورة فإن فسق أو خرج الى المفسدة عزل وإنما يعزله من ولاه . وأولو الحل والعقد هم العلماء أولو الرأي ممن جمع الدين الى السياسة ولم يفهم الدين فهم الأعراب لئلا يغلو في دينه غير الحق ولا سيما في الحدود فيتاح الظلم وتجاوز شرعة الله عز وجل والتنفير منها وسوء الأحدوثة ولا سيما بين قوم كافرين لا يمنعه الدفاع عن الحرمات والمقدسات أن ينصر المظلوم ويأخذ بيده ويدفع عنه الظلم أينما كان ما قدر على ذلك بنفسه أو جماعته لا كما يتقاعس أهل هذا الزمان وقد قال الله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا .. إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بماتعملون). لا تحمله مداراة الناس أن يتساهل في دين الله عز وجل وما اجمع عليه السلف والخلف من بعد يفهم روح النص والمواضع التي تراعى فيها الضرورة والمصلحة لئلا يتسع البثق كبعض ما يقضي به التطور القومي كتبادل الأسرى ما دامت المصلحة ليست في الاسترقاق ولا في القتل بعد هذه الاتفاقات الدولية ليقع الرفق بين المتحاربين وإنما كان الإمام فيهم مخيراً حسب المصلحة يقدم في مواضع الاقدام ويحجم في مواضع الإحجام أولئك هم العلماء أولو الرأي الذين ينبغي أن يكونوا سادة الأمة ويستمع لهم وسائر الأمة من بعد لهم تبع .

وتدرأ الحدود بالشبهات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل أحد حين الفعل وبعد ، للحاكم شرط العلم والرفق من غير تجسس لئلا يقع الفساد في الأرض ويشارك

الله عز وجل في علمه وتورع مخافة الناس دون مخافة الله الى آخر ما له من المفاسد التي فيها ارهاق البلاد والعباد فلم يحل إلا في أمن الدولة المسلمة لئلا تؤتى من قبل العدو ، وفي حقوق العباد إذا بدرت البوادر وإلا فهو قرين النفاق إذ يقول رسول ﷺ (يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته) وقصة عمر رضي عنه في ذلك مشهورة إذ ترك بسببه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو القطب الأعظم من الدين (فإن لنا الظواهر والله يتولى السرائر) .

والناس أحرار فيما يأتون ويذرون إلا أن تكون معصية ظاهرة أو عدوان بعضهم على بعض والقاضي المجتهد يقضي بما أدى إليه اجتهاده وإلا قلد من الأئمة ويتقيد القضاء بالدعوى والزمان والمكان . والعربية لغة الإسلام لمكانها من الكتاب الكريم وان لم نتعصب على الاعجميين . ولا مدخل للنساء في أمور الدولة فإنهن إنما بنين على العاطفة وأمور الدولة تساس بالتفكير وانهن مشغولات ... [1] ولذلك قال رسول الله ﷺ (كيف يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) .

وان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ولا تقولوا أن عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم بذنوبهم من هو شر منهم كما سلط على بني امرائيل كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ، كذلك كتب العمران الى امراء الأجناد .

فقد جمعت الشريعة خير الدنيا و الآخرة وثبتت حيث ينبغي الثبات وتطورت حيث ينبغي التطور بعقل لا يلعب به الهوى بل ينظر الى قواعد الشرع (ولا ينكر اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان) والحمد لله رب العالمين .

وحيد الجباوي

---

(١) عليهن واجبات التربية المنزلية وشؤونها الكثيرة الخطيرة .

غارة المستعمرين والمبشرين على العالم الإسلامي

مقدمة قصة تمثيلية خطيرة : إخراج وحوار

محمود مهدي استانبولي

بين يدي القصة

معرفة العدو ، ومعرفة خططه ومؤامراته التي يحيكها للقضاء على الإسلام والمسلمين ، من أهم واجبات المسلم ؛ وقد كان الرسول ﷺ يستطلع أخبار عدوه من قبل أن يفاجئه ويستعد له ، « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » وفي ذلك منتهى الحيطة والحذر كما أمر تعالى بقوله : « خذوا حذركم » .

ولم تعد خطط العدو ومؤامراته لتقتصر على الجيوش العسكرية والعدد الحربية فحسب ، بل راح يحشد لنا قوى خفية ، في ظاهرها الرحمة ، وفي باطنها العذاب .

ومن أهم ذلك رياض الأطفال بالمدارس ، والجامعات والمستوصفات والمستشفيات ، والمرضات والبعثات والمعونات ، والأحزاب ؛ والمؤسسات الخيرية والمنظمات الدولية .

فمن يصدق أن هـــذه المشروعات الأجنبية تخفي السموم الفتاكة وأقبح الأسلحة القتالة ؟ !

المصدقون قليلون :

إن لم يكونوا نادرين !

ومن هنا يشتد الخطر ويستفحل الداء نتيجة الغباوة والغفلة !

إن هذه الأسلحة والسموم تعمل عملها في الأمة الإسلامية منذ مئات السنين ، حتى كادت تقضي على البقية الباقية من امتنا وبلادنا وأجيالنا ...

وباتت هذه المدارس والمعاهد الأجنبية تضيق بأبنائنا وبناتنا من أجل تكفيرهم وجعلهم حرباً علينا وعلى تقاليدنا .

وقد نجحوا الى ذلك الى حد بعيد حتى اصبحنا كما قال الشاعر :

قد تكره العين ضوء الشمس من رمد ويكره الفم طعم المـاء من سقم

لقد صاح المصلحون وكتب الباحثون ونشروا وانذروا .ولكن ما من مجيب ! !

النـاس في غفلاتهم ورحى المنيـة تطحن

إنها رحى الاستعمار والتبشير التي تطحن في كياننا وتهدم بنياننا ونحن غافلون .

لقد نشر منذ أكثر من ثلاثين عاماً الأستاذان محب الدين الخطيب ومساعد الباقي كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » وهو ملخص لجهود المبشرين ومؤامراتهم على الإسلام والمسلمين .

ونشر منذ أكثر من عشرة أعوام الاستـاذ عبد العزيز فهمي « الاستعمار عدو الشعوب » .

كما نشر أيضاً العليم عمر فروخ والعليم سامح الخالدي كتاب « التبشير والاستعمار » وهو كتاب عظيم الفائدة غزير المادة .

وجميع هذه الكتب فتحت عيوننا وقرعت آذاننا ووضعت بين أيدينا بصورة ملموسة أخطـــار المؤسسات الأجنبية من علمية وغيرها ، وكلها تصيح وتستغيث للمسارعة إلى إخماد الشر وإيقاف الخطر . ولكن ما من مجيب ! !

نحن لاننكر أن بعض حكوماتنا في الأدوار السابقة شعرت بعض الشيء بضرر التبشير ، فوضعت له بعض القيود ، وحاولت منع خطره ولكن كان ينقصها الحزم والأيدي المخلصة .

إن هؤلاء المبشرين — عليهم من الله مايستحقون — يزعمون أنهم أتوا هـذه البلاد لتعليم طوائفهم من النصارى فلماذا لانسارع بإجبارهم على تعليم هذه الطوائف فحسب وغنعهم من قبول أبناء المسلمين وبناتهم ؟ !

إن هذا التدبير وحده معقول ومنطقي وتحتمه سيادة الدولة .

وهو كفيل بإفلاس المدارس الأجنبية والتبشيرية وإغلاق أبوابها لو كان قومي يعلمون.

وبعد، فقد رأيت من واجبي أن أدلي دلوي بين الدلاء مع الدعـاة والمصلحين الذين كتبوا وألفوا في أخطار الاستعمار والتبشير، وخاصة بصفتي مربياً أحمل عبء التعليم منذ أكثر من ثلاثين عاماً وقد أدركت بصوره ملموسة مؤامرات المبشرين ودسائسهم!.

وإنني أحببت أن أبسط هذا الموضوع وأجعل دراسته مشوقة في متناول الجميع فسارعت إلى كتاب التبشير والاستعمار وهو من أعظم وأحسن وأوعى ما ألف في هذا الموضوع، فلخصت بعض موضوعاته وجعلته في اسلوب حواري تسهيلاً لفهمه وتحقيقاً لرغبة المولعين بالقصة والرواية.

وإنني لم أزد عليه من الأفكار إلا ما رأيته مفيداً لوضوح الفكرة، ومن متطلبات الحوار.

وجميع ما جاء في هذه الرسالة من حوادث واخبار ليس من صنـع الخيال كما قد يظنه بعض القراء، بل هو من اعترافات المستعمرين والمبشرين ومؤلفـاتهم، وليراجع مصادرها من شاء من الكتاب المشار اليه الذي اقتبست منه هذه القصة التي أضعها بين أيدي القراء من مسلمين ونصارى آملاً أن تفتح عيونهم على أعمال المبشرين والمبشرات الإجراميـــة الذين يعملون من أجل صالح الاستعمار فقط، ويتخذون المسيحية (وهم الكافرون بهـا) ستاراً لإثارة الطـائفية، وبذور النزاع لبلبلة الأفكار وإيجاد لخصومات بين المواطنين، ليتسنى لهم الاستيلاء على بلادنا فوق جسر من ضحايا المسلمين والنصارى على السـواء!!

ولعل في هذه القصة عبرة أليمة، ودرساً قاسياً لأولياء الطلاب المسلمين الذين يرسلون أولادهم إلى المدارس التبشيرية والأجنبية لينفروهم من دينهم ويكفروهم بإسلامهم، تمهيداً لتنصيرهم أو تجنيسهم وإلحادهم. والوزر في ذلك يرجع في الدرجة الأولى إلى هؤلاء الآباء الضالين المضلين، فعليهم تقع المسؤولية الكبرى، وقد قال عليه الصلاة والسلام «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه!!» (★)

فالحذر الحذر والوعي الوعي

(★) سننشر الحوار في باب القصص إن شاء الله.



سر انتفاع الأمم بالإسلام

للأستاذ محمد الغزالي

لقد استقبلت الإنسانية الإسلام منذ أربعة عشر قرناً كما يستقبل المدلج المجهود مطالع الصبح الباسم، يرى فيه الهداية والرشد .. أو كما يستقبل الرقيق المغلول المكدود بشائر الحرية والعدالة، فهو يطفىء فيها ظمأ روحه إلى السيادة والسعادة .

فإذا تركت المقياس الأدبي في تقويم الإسلام كدين يحدد العلاقة بين الإنسان وربه على خير وجه ويدفع هذه العلاقة في طريق مستقيم . ونظرت إلى الإسلام بالمقياس المادي المجرد - على ضوء انتفاع الناس منه - لكان ذلك كافياً في فهم انتشار الإسلام وإقبال الأمم المختلفة على اعتناقه . « وقيل للذين اتّقوْا : ماذا أنْزلَ ربُّكمْ قالوا : خيراً . للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ . ولدارُ الآخرةِ خيرٌ » .

لو كان هذا الدين « بضاعة » تصدر من الجزيرة - قديماً لا حديثاً - لأرسل أهل فارس والشام ومصر يسعون إلى جلبها والإفادة منها في هدم السلطات التي عبثت طويلا بمصالحهم وبنت كيانها على أنقاض كيانهم . إذ كان المفهوم أن الإسلام ديمقراطية سياسية واجتماعية واقتصادية تؤاخي بين الناس فيما لهم وما عليهم . ومن ثم قامت حول الإسلام الأول أجيال تتعصب له تعصب الخبراء الفاهمين لا تعصب الحمقى الجاحدين، أما الآن فأنت ترى وتلمس مبلغ فساد التطبيق العملي بل الفقه العلمي للإسلام . ومبلغ إفادة الأمم الأخرى من الأنظمة التي تسودها ... ثم نشأ عن ذلك أن الرأسمالية الغربية قامت في بيئة تفهمها وتهضمها وتدفع عنها . وأن الشيوعية لها كذلك دولة تتعصب لها وتبشر بها . أما الإسلام الذي يجب أن يكون جبهة جديدة لا شرقية

ولا غربية ، فإن أحوال أهله خليط من ديمقراطية واستبداد ، ومن رجعية وتقدمية ، ومن رأسمالية وإقطاعية ، وهذه الأسماء كلها رموز لأشكال من الحكم ليس وراءها إلا الانهيار المعنوي والتبلد النفسي .

وعندما يكون بين جوهر الأمة وشكل الحكم فيها منطقة فراغ فإن أمورها لاتؤذن بخير أبداً .. !!

وإذا كانت الشيوعية على ما بها من عورات وسوءات قد استطاعت تكوين قوم يتعصبون لها فكيف حالنا إذا اصطدمنا بها من غير أن نكون الجيل الذي يتعصب لنظمنا الخاصة ، وأنى نقدر على ذلك إذا لم يحس أفراد الشعب جميعاً باطمئنان وارتياح إلى هذه النظم ؟

إليك صورتين من صور التعصب للمبدأ ، إحداهما من روسيا ، والأخرى من أمريكا ولعل المستقبل يجذب الشرق الإسلامي العثار فيؤدي واجبه نحو تقاليده وأبنائه . . . فنقدم له صورة ثالثة أصدق وأصح .

من وراء الحدود :

أما الصورة الأولى فللكاتب الروسي « إيليا اهر نبورج » .

ولقد رشح « اهرنبورج » لعضوية المجلس السوفيتي الأعلى . وهو يقول في مقاله الذي أذاعه راديو موسكو : « إن شعبنا لن يعيش مؤتمراً بأمر الغير . وعبثاً يحاول الرئيس ترومان أن يخدعنا ، كعبث محاولة السناتور « ماكاهون » أن يعضنا بنواجذه ، إننا في غير حاجة الى إرشاد الجبناء من ملاك العبيد في « كارولينا » ، كما أننا نخشى بائعي « الخردوات » في المدن الواقعة على المحيط الأطلسي ولو كان هؤلاء يوزعون القنابل بدلاً من « الدنتللا » ، ونحن مقتنعون بأن الاشتراكية أجدى من الرأسمالية ، وأن الأخوة أسمى من قانون الغابة ، وأن صداقة الشعوب أولى من كراهية الأجناس » .

ثم تابع القول : « على أننا لا نقترح تعليمهم وإرشادهم بل نترك أمرهم ليحكم عليهم التاريخ غير أننا نقول لهم في بساطة : إذا كنتم تظنون أنه لا يوجد ما هو أحسن من نظامكم الاقتصادي ، ومن غلاء المعيشة ومن كساد الأسواق ، ومن تقلبات الحالة المالية ، ومن الإفلاسات ، فلكم أن تحتفظوا بها وأن تسيروا سيرتكم التي ارتضيتموها » .

« بل يمكنكم أن تنظموا الإنتاج وفق طريقتكم ، وتعلموا أطفالكم وفق أهوائكم ،

وتكتبوا القصص الإجرامية ، وتصنعوا أفلاما سخيفة ، بل لكم أن تضعوا أقدامكم على الموائد بشرط أن تكون موائدكم التي تملكونها » .

« إننا نعتقد اعتقاداً ثابتاً في عدالة مبادئنا ، وليست لدينا أية نية في تدعيم هذه المبادىء بالقنابل . وقد دافعنا عن السلم منذ الأيام الأولى لنشأة جمهوريتنا ، وسنظل ندافع عنه دائماً » .

ثم عاد يتحدث عن أمريكا فقال : إن الدولار أصبح معبوداً في أمريكا . وقال : إنه حينما كان يقيم في أمريكا سمع شاباً يغازل آنسة بقوله « إنك تبدين لي كمليون دولار » ، أي « ما أجملك » « ولو أن مثل هذا القول وجه الى آنسه سوفيتية لغضبت ولها الحق كل الحق في غضبها » .

والصورة الثانية تكشف عن وجهة النظر الأميركية في هذا التفكير الشيوعي الثائر . وأهل الولايات المتحدة مخلصون لحياتهم راضون عن أسلوبها وليسوا مأجورين للدعاية ضد روسيا ، وقد نشر مستر « ليونارد شابيرو » الصحفي المعروف مقالاً هاماً عن روسيا ، وهو من علماء القانون وقد درس أنظمة الاتحاد السوفييتي بدقة ، قال :

« إن هناك فرقاً كبيراً بين الوعود والعهود التي كانت الشيوعية المتطلعة الى امتلاك ناصية الأمر في روسيا تقطعها على نفسها وبين الأعمال التي تحنث فيها البلشفية المنتصرة بوعودها السابقة ، فقد وعد الشيوعيون سكان روسيا في سنة ١٩١٧ « بالسلام والخبز والأرض » وإلغاء عقوبة الإعدام ، ولكن بدلاً من ذلك استمرت الحرب الأهلية سنتين ، وبدلاً من الخبز ما زال الجنود الروس يذهلون لمستوى المعيشة في شرق ألمانيا برغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً على تأسيس النظام الشيوعي في روسيا ، وأما الأرض فقد أخذها الفلاحون لكي تنتزع منهم مرة أخرى بواسطة نظام المزارع الجماعية الذي انتهى بخمسة ملايين الى معسكرات السخرة لمعارضتهم له ، وأما عقوبة الإعدام فقد عادت الى روسيا بعد أشهر قلائل من إلغائها . »

ومن رأي هذا الكاتب أنه لا أمل في عقد أي اتفاق أو أي تفاهم مع ساسة الكرملين .

وتحدث الكاتب عن الوعود التي وعد بها الشيوعيون الشعب الروسي بشأن مصيره السياسي ، وقولهم له إن دكتاتورية الدولة ستزول من روسيا ويخلفها نظام يكفل حرية الفرد الكاملة ، ولكن حركات التطهير استمرت من عام ١٩٢٨ الى اليوم ، وأعلن استالين أنه لا بد أن تبقى الدولة وأن يشتد ساعدها ما كانت الرأسمالية موجودة في أي مكان في العالم ، ولم يكن من المصادفات أن أعدم « بوخارين » في إحدى

حركات التطهير المتابعة ، فقد كان أعظم مفكري الحزب الشيوعي الرومي بعد لينين ، ومن أقوى دعاة اختفاء دكتاتورية الدولة لتوفير الحرية للفرد ! !

بعض ما عندنا ! .

ولعل هذا الاستعراض المبادىء السائدة وعواطف المتعلقين بها يدل على مبلغ ما أصاب حياتنا النفسية والعقلية من اضطراب في ظلال الأحوال الاقتصادية التي نعيش فيها .

لقد سمعت رجلا يشكو من جودة هضمه ويتساءل ما ذا يفعل ليجيب صيحات معدته التي تعلو بين الحين والحين وهو لا يجد القوت ؟ وقرأت أخيراً نبأ العثور على جثة محترقة بالاسكندرية . فلما عرف صاحبها وانتقل المحققون الى مسكنه وجدوه يعيش مع امرأته في غرفة حقيرة ، كل ما فيها لحاف قديم مهلهل قذر ، كان الزوجان يتغطيان به ويضعان رأسيهما على قطعة صغيرة من قضبان السكك الحديد !.

وذكرت الزوجة أن رجلها كان دائم الشكوى من الفقر . . فلما وجه المحقق إليها السؤال التقليدي : هل لزوجها أعداء ؟ أجابت المرأة نعم ؟ وأشارت الى بطنها صارخة : المعدة يا بك ! عدونا الأول والأخير وهي أكبر عدو . . هذا القتيل في الحقيقة صريع الفوضى الاقتصادية وخواء المجتمع من حقيقة الدين والعدالة والنظام .

وإذا كانت روسيا ستجند المتعصبين لها لكي يقاتلوا معها ، وأمريكا ستحشد المؤمنين بنظامها حتى يستميتوا من أجلها ، فهل الذين تقتلهم نظمنا الاقتصادية البائدة هم الذين يدافعون عنها دفاع المتعصب المستقتل ؟

إننا نوجه القول الى حكام الشرع الإسلامي المسكين :

لقد أفسدتم دينكم وأضعتم دنيانا ، ويبقى لكم من الدنيا ما تحرصون عليه ، ويبقى لنا من الدين ما نتمسك به .

وهذه البقايا المتهافتة توشك أن تزول ، فأمامنا الاستعمار الرأسمالي الغربي يتربص ، والاستعمار الشيوعي الشرقي يتهدد ، والصهيونية العادية الفاجرة تتلمظ .

وما هكذا تقتنص المصالح أو تساس الشعوب :

أنا النذير لكم مني مجاهرة	كي لا ألام على نهي وإنذار
فإن عصيتم مقالي اليوم فانتظروا	أن سوف تلقون خزياً ظاهر العار
وتصبحون أحاديثاً ملعّنة	يلهو المقيم بها والمدلج الساري (★)

(★) عن الإسلام والأوضاع الاقتصادية للأستاذ محمد الغزالي .

في رياض الشعر

من وحي رمضان

للأستاذ بديع المعلم

رمضان ما هذا العبير الممتعُ   ما النفحة المثراج ما المتضوّعُ ؟ !
ما الموجة البيضاء وما ذا يسطع   هل ذاك فجر بالأشعة يقبع ؟ !
أم ذا هلالك ، بالبشائر يرجع ؟ !

ذكرتني عهداً تقضى وانقضى   هل كان إلا البرق ثمة أو مضا ؟ !
هل كان كالسراب تقيصا ؟ !   ومضى ، فليت اليوم يرجع ما مضى
أشجيت روحي بالفراق فما ارتضى ؟ !

ذكرتني رمضان يا روح الحنان   عهدالطفولة ، والزمان لنا زمان...
ذكرتني أمي .. وأيام الحسان   وظلال ذكرى كل ما فيها افتتان
لم أروها إلا وفاضت دمعتان ...

ما زال صوتك خافقاً في مسمعي   رمضان يا سحر الربيع الممتع ...
لي فيك روض مثله لم يونع   ورحيق عطر مثله لم ينبع ...
أسمعتني رمضان ما لم أسمع ...

بوركت من شهر تنوّر مونعا   بوركت من ليل يبارك مطلعا
رمضان ما أحلى شذاك وأمتعا   طوبى لشهرك ما أجل وأرفعا .
هل كنت إلا الحلم يخفق مسرعا ،

كم رحت أحصيها الليالي الماضية   يدنو هواك فأستعيد أغانيه
لأرى هلالك قد اطل أماميه   لأطل من فوق الجنان العاليه
ياشهرنا مني عليك سلاميه

لي موعد مع فجرك المتألق ... والزهر بين مزرّر ومشقق
كم رحت أحسو من شذاك وأستقي رمضان أية فكرة لم تورق
بالورد .. بالريحان .. أو بالزنبق

قرآنك الوضّاء هذا يسحرُ روض؟ وما الروض البهيج المزهر ؟!
نور ؟ وما الصبح الأغر المسفر حلو؟ ثري ما الشهد أو ما السكر ؟!
هو مسكر ببيانه هو مسكر ...

« الله أكبر » كل ثغر رددا .. حتى ترى في كل بيت مسجدا
رمضان شعت فيك أنوار الهدى وزها الزمان مفرداً ومرددا :
طوبى لمن تبع الرسول محمدا

الله أكبر في المساء ، وفي السحر في مطلع الشمس المنيرة ، والقمرْ
في كل سجع حمامة فوق الشجر في كل لثمة نسمة ثغر الزهر
الله أكبر ، فهي نور مستمر

الله أكبر ما ترن وتسجع إلا معانيها بدت تتوسعُ
ما الشهب ما تلك النجوم اللمع ما الكون ، ما هذا الفضاء الأوسع
في ظلها المحدود إلا أصبع

فارشف من القرآن من نفحاته واسكب عبير النور من آياته
كل الضياء يموج من هالاته فمع الملاك اسجدْ على سجداته
يضفي عليك الله من رحماته

شهر تناغمت القلوب المؤمنه صنفين إسراراً ، وأخرى معلنه
فترى هنا الفردوس حدد موطنه وترى الثريا في رواق المئذنه
فتغيب عن دنيا الشرور المحزنة

لي أنجم في كل ليل مسبل هي كالعرائس بالأهلة تنجلي
فيلوح صبح في دجاي فأجتلي غر الكواكب في الكتاب المنزل
فأطل للدنيا البعيدة من عل ...

من فرقد أرنو لأكرم فرقد نشوان من نور النبي محمد
أتلو فتأتلق الجواهر في يدي في أفقهـــا لمعت نجوم السؤدد
سيظل في عيناي نورك في غدي

رمضان لن أنسى صداك المسكرا رمضان لن أنسى دجاك المقمرا
أبداً ، ولن أنسى الجميل المزهرا أترى ستذكر روعة الماضي ترى ؟!
هو مدنف ذكر المدى .. فتذكرا ...

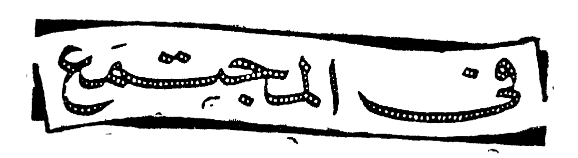
هلاّ لياليك الحميدة ترجع أو هل سواجعك الحبيبة تسجع ؟!
أو هل ترى كبداً لعمرك تنقع أم هل شذاك المزدهي يتضوع ؟!
ويعود عز المسلمين الأرفع ؟!

رمضان يا شهر المحبة مرحبـــا ما كان أشهى «الذكر» فيك وأطيبا ...!!
أأراك والنعمى تطوّق يعربـــا أأراك والدنيا تظلل موكبا ...!!
أأراك والإسلام هز المغربا ... !!

أأراك . والعهد النضير يعود ويعود مجد خالد وتليد ؟!
أأراك واشوقي إليك يزيد أيام نودي ، والزمان يعيد !!
ختام للإسلام يشرق عيد !!

ادلب : بديع المعلم





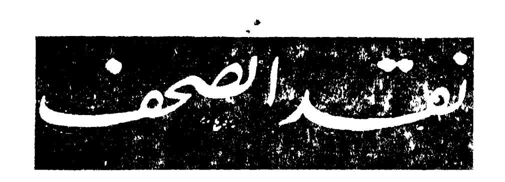
في المجتمع

- قدمت جمعية التمدن الإسلامي الأجزاء ٢٥ – ٢٨ من هذه المجلة الى جميع السادة النواب بمناسبة مافي الأجزاء المذكورة حول مزايا التشريع الإسلامي ودستوره. وقدمت عرائض وافرة الى المجلس تطالب بالنص على أن دين الدولة الرسمي الإسلام ، واستمداد تشريعنا من التشريع الإسلامي .

- قدم الأستاذ الطبيب محمد سعيد السيوطي الى كل من السيد رئيس الجمهورية والسيد رئيس المجلس النيابي والسيد رئيس الوزراء والسادة أعضاء لجنة الدستور كلمة ذكّر فيها بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من الحكم بأحكام الإسلام ، ثم أشار إلى ما كان عليه العرب في جاهليتهم وما صاروا اليه من مجد رفيع بعد إسلامهم والعمل بدينهم العظيم ، ثم أشار إلى عهود ضعف الاتجاه الإسلامي ولا سيما أيام غلاة الاتراك كجمعية الاتحاد والترقي اليهودية الأصل في (سلانيك) مقرّ اليهود المتظاهرين بالإسلام ، والمتفقة مع الدولة الاستعمارية للاستيلاء على الامبراطورية العثمانية وتقسيمها ، فأعلنت الحرية المطلقة وثبتت ماثبتت من القوانين الفرنسية وأثارت بنتنتها وعصبيتها العمياء العرب . . . وسببت كثيراً من المشكلات حتى انقرضت الامبراطورية العثمانية وتقاسمتها دول الاستعمار كما أرادت .

وظلت سورية جامدة على القوانين الوضعية الفرنسية الأثيمة والحكم بغير ماأنزل الله .. ثم بيّن أن الأوان قد آن للعودة إلى حكم الله العظيم ، وفي زمن عزنا وتقدمنا ومجدنا وسعادتنا . ثم طالب بالنص في دستورنا على أن دين الدولة الإسلام واستمداد أحكام الدستور من الشرع الإسلامي .

- يتوقّع إعلان استقلال الجزائر الأبية المجاهدة قريباً إن شاء الله



● مجلة الاذاعة والتلفزيون (دمشق) عدد ٦ شباط (٢ – ص ٢٥ : (أضع بين يديك ياسيدتي هذه التسريحات المختلفة لتختاري ما يناسب وجهك منها ولتكوني دوماً أنيقة مشرقة جذابة) .

يا هذا الذي تريد أن تكون سيدتك دائماً أنيقة مشرقة جذابة ، إن الطريق ليس موضع جذب المرأة للرجل ، وان مجلة رسمية كهذه المجلة لا تجعل من صفحاتها موضعاً للاغراء بالصور والأحاديث المسمومة .

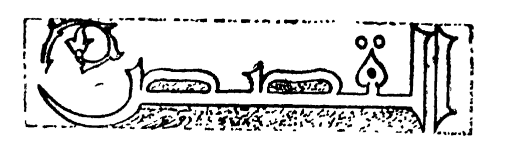
● لخصت صحيفة (صوت العرب) كلمة للآنسة نبيلة الحسيني ـ كلية الآداب ـ (هاجمت فيها القصص الجنسي والمشرفين على توزيع جائزة « نوبل » الأدبية و « غونكور » لأنها تمنحان كل عام لرواية جنسية مكشوفة ، ومضت تصوب سهامها نحو الكتاب الذين يغرقون الأسواق بقصصهم الجنسية مثل « إحسان عبد القدوس » ويوسف السباعي ونبيل خوري ومليم نصار .

ثم قالت أن مجلة الحسناء » اللبنانية لا تعبر عن واقع المرأة في شيء .)

هذه باكورة وعي نسائي تصدر عن فتاة جامعيه انتبهت إلى خطر هذا القصص الجنسي ولو قدّره الذين في قلوبهم مرض . (قلم المجلة)

● اجتاحت شمالي أوربا عواصف هوجاء بلغت سرعتها أحياناً ١٩٠ ميلاً في الساعة جرفت في طريقها آلاف المنازل ، مر بعضها ببريطانيا ، وألمانيا ، ولاهاي وهامبورغ . .

● استنكرت مظاهرات كبيرة — من مختلف أنحاء الولايات المتحدة أمام البيت الأبيض و (الكونغرس) الأمريكي والسفارة السوفيتية — التجارب النووية وطالبوا الرئيس الأمريكي العدول عن استئنافها . (قلم المجلة)



حوار ... (★)

للأستاذ محمود مهدي الاستانبولي

اجتماع يضم مندوبين عن الدول الاستعمارية يتداولون
فيما فعلوه وما يعدونه المستقبل لمحاربة الإسلام

المندوب الانكليزي : تعلمون مبلغ الصدمة التي لاقيناها والقصة التى صادفناها في حروبنا الصليبية ، بسبب وجود صخرة الإسلام الصلدة التي تجعل من المسلمين قوة لا تقهر .

وقديماً قال رئيس وزرائنا كلادستوك « ما دام القرآن بيد المسلمين ، فإننا لا نستطيع التغلب عليهم ، ولا أن نأمن خطرهم ! » .

ولما كان الاستعمار كلا لا يتجزأ وكنا شركاء متعاونين في القضاء على الإسلام ، فقد دعينا اليوم لتقديم الحساب عما قمنا به من جهود لابعاد المسلمين عن هذا الدين الخطير ، وليصبحوا لقمة سائغة هينة لينة فنستطيع ابتلاعهم بسرعة .

المندوب الفرنسي : حقاً إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي ، ولهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف ، بل هو دائماً في ازدياد واتساع ، ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب ، بل ان من أركانه الجهاد ولم يتفق أن فرداً دخل الإسلام ثم عاد نصرانيا . وان ما من دولة حاولت التغلب على المسلمين واتفق ان ظفرت إلا خسرت أضعاف ما خسر المسلمون في ذلك الكفاح .

المندوب الايطالي : لا شك أن التبشير بالنصرانية هو الوسيلة العظمى التي تفيدنا فوائد متعددة نقابل بها دعوة دينية بدعوة دينية ، وتنفث روح التعصب في نصارى

(★) هذا القسم تابع لبحث غارة المستعمرين والمبشرين المنشور في ص ٦٧٨ من هذا العدد .

المشرق ، فيكونون بذلك اعواناً لنا ينفرون من مواطنيهم المسلمين ، زد على ذلك أن من فوائد التبشير بين المسلمين تشكيكهم بدينهم وبيان عظمة النصرانية ، وتعظيم حضارتنا ، لبث الاعجاب بها ، وحب التقليد لنا .

المندوب الداغركي : (مازحاً) يظهر أنك شديد الحماسة لدينك وعبادة المسيح ؟!

المندوب الايطالي : دع عنك هذا أيها الأخ الصديق ، نحن قوم نعبد الحديد والذهب !

المندوب الافرنسي : بل والخمر !

المندوب الأميركي : (ضاحكاً) والبترول أيضا !

المندوب الايطالي : نعم صدقت ، ولو كنا نعبد إله النصرانية لما ناصبنا الكنيسة العداء من بلادنا وحجزنا على البابا في الفاتيكان « نقبل قدميه ونكبل يديه » .

المندوب الفرنسي : وان فرانسا تنهج منهج إيطاليا ، فإنها دولة علمانية في بلادها وقد طردنا الرهبان من أرضنا ولكنها في خارج فرنسا تحمل اسم حماية المسيحية في الشرق ليكون لنا وسيلة للتدخل والاستعمار فنحشد رجال التبشير ونساءه في الخارج ونغدق عليهم الأموال ، ليحققوا لنا شهواتنا الاستعمارية .

المندوب الأمريكي : أن دولتي أحق ما ينبغي أن يطلق عليها اسم الدولة التي تعبد الحديد والذهب والبترول ، ولكن ذلك لا يمنعها من أن تغطي نصف الأرض بمشرين يزعمون أنهم دعاة الى حياة روحية وسلام ديني !!

المندوب الفرنسي : وحتى روسيا التي تدعو الى الالحاد ومحاربة الأديان ، سعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تحقق لنفوذها توسعاً اقليمياً وسياسيا . وقد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت الى مجمع مسكوني في موسكو وحملت إليه المؤتمرين في طائراتها ، ثم شرف استالين نفسه اولئك المؤتمرين بمقابلته ؟!

ولإدراك مبلغ اهتمام المستعمرين بالتبشير ينبغي أن تعلموا أن المعسكرين بصورة خاصة يجبروننا على بث المبشرين في العالم ، علماً منهم أن هذا التبشير تمهيد جميل ومفيد لدخول الاستعمار .

المندوب الانكليزي : هذا – وينبغي أن نقول بصراحة أن الحكومة العثمانية لما مانعتنا من التبشير في بلادها في بادىء الأمر ، سعينا أن نخلق فيها أسباباً تقودها الى الحرب ، لان الحرب تضعف هذه الدولة فيضعف سلطانها على رعاياها فيجد المبشرون حينئذ منفذاً الى التبشير بين المسلمين .

المندوب الفرنسي : وقد كانت حروب أوربا التي شنتها من قبل على الحكومات الإسلامية دينية في أساسها كالحروب الصليبية وذلك لكسب عطف شعوبنا لمساعدتنا في تجنيد ابنائهم لحروبنا الاستعمارية حتى كان من دعاء بعض المغفلين من أبناء قومنـــا :

« اللهم – أيها الأب الرحيم – اضرب المسلمين بسيف قدرتك الجبارة ! » .

ولما دخل الجنرال غورو دمشق ركل قبر صلاح الدين الأيوبي وقال له ساخراً !

« يا صلاح الدين اليوم انتهت الحروب الصليبية ! » .

المندوب الاميركي : وانني لا أذيع سراً ان من أبرز الأمور المتعلقة بدخول حكومتي الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى التدخل في سياسة الشرق ومساعدة مبشريها في القيام بمهامهم في بلاد المسلمين .

المندوب الفرنسي : والحق أن مبشرينا – وأكثرهم من السلك العسكري او الدبلوماسي المتشرين بالزي الديني ، قد قاموا بكثير من الأعمال المفيدة لخدمة الاستعمار ، فقد اتخذوا مراكز حساسة « ستراتيجية ... » في العالم الإسلامي ، واستطاعوا في أثناء الثورات والحروب والاضطرابات أن يتابعوا عملهم بهدوء وثبات لاثارة الفتن والطائفية بين المسلمين والنصارى !!

حقاً لقد كان من أعظم النجاحات التي لا قيناها في انتصاراتنا ان المصلحة بين السياسيين وبين المبشرين كانت وثيقة على الدوام . فيجب الاكثار من رشوة هؤلاء المبشرين واستغلالهم ليصبحوا بيدنا آلة طيعة للوصول الى أهدافنا السياسية والاقتصادية .

المندوب الاميركي : ينبغي أن يضع العلماء مناهج مركزة لاعداد الأشخاص من الذين يريدون أن يعملوا في التبشير ، مناهج مخططة تعين على تفهيمهم روح الشرق وتصوره

بحالة من التأخر والسوء تحمل طالب التبشير على الاندفاع في مهمته اندفاعا أعمى . ولقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد في رومية وباريس وفي طلبطلة باسبانية أضافت الى مناهجها تدريباً عسكرياً للتبشير بالقوة !

المندوب الانكليزي: يجب أن نغدق الأموال بسماء على المبشرين ، فإن كل قرش ندفعه في هذا السبيل يدر الخيرات الكثيرة علينا ويفتح لنا أبواب الاستعمار على مصراعيه !

المندوب الإيطالي: وأهم ما أحب ان ألفت انظاركم إليه ، أن الاستعمار السافر قد تفتح عليه الأبصار في ساعة فيصير اثره الى الزوال ، إذا لم نسارع الى استعمار قلوب الطبقات الراقية في كل قطر واحتلال عقولهم بالثقافة الأجنبية والفلسفة الاجنبية وكل ما من شأنه احتقار الدين وابعاده عن الحياة حتى يشبوا على حرب مع الإسلام وتغلي قلوبهم حقداً منه ثم ليحكموا بلادهم بدلاً عنا . وينفذوا مناهجنا ، وذلك يكون بتأسيس المدارس الاجنبية والتبشيرية وتسهيل البعثات للمتخرجين منها ، فهم سيكون المدرسون والمحامون والاطباء والصحفيون والوجهون والحكام أيضا ، فيصبحون عبيدنا بصورة أحرار ، واذنابنا في سمت الاسياد الوطنيين !

المستعمر الإيطالي : انني أريد أن اذكر بخطر لا يقل عن خطر الإسلام ، وقد اغفلتموه .

المستعمر الفرنسي : انني أوصيكم يا زملائي المستعمرين من أجل النجاح في مهمتكم أوصيكم بمؤامرة مبيتة ضد الإسلام ، وخطة منظمة ضد أجياله القادمة ، وإلا ما هي إطفاء الجمرة الإيمانية في بلاد العرب من الحمية الدينية ...

المستعمر الفرنسي : ان هذا الحديث أثار في نفسي ذكرى الحروب الصليبية ، فهل يتحقق الحلم الذهبي من جديد لإقامة دولة نصرانية في قلب العالم الإسلامي فنرفع راية المسيح بدل راية محمد ؟!

المندوب الانكليزي : هل أنت جاد أم مازح يا أخي فيما تقول ؟ !

إن الحروب الصليبية لم تكن غايتها ما تقول . ! إنما كانت ترمي الى تدمير الإسلام والسيطرة على المسلمين وسلب أموالهم .

المندوب الفرنسي : وهذا ما اقصده من كلامي من إقامة دولة مسيحية ، فالغاية لم تتغير وهي تحقيق مطامعنا السياسية ومآربنا الاقتصادية .

المندوب الإيطالي : صحيح أن الغاية لم تتغير ، إنما تغيرت الوسائل ففي الحروب الصليبية الأولى كانت وسائلنا الجيوش العسكرية ، والآن أصبحت هذه الوسائل المدارس والمستشفيات والبعثات والأحزاب .

المندوب الانكليزي : وأهم ما أحب أن الفت أنتباهكم إليه ان تقاوموا خطر الوحدة الإسلامية فان المسلمين اذا اتحدوا كانوا خطراً علينا أما إذا بقوا متفرقين فانهم يظلون بلا تأثير !

المندوب الاميركي : هذا هو صحيح ، فينبغي أن نقاوم هذه الوحدة ببذر بذور الفتن بين الحكومات الإسلامية ، وتصوير استحالة هذه الوحدة بمختلف الحيل والافتراءات للشباب المسلم .

المندوب الدانمركي : وقبل ختام هذا البحث أود أن ألفت نظركم إنا نحن الدول الاستعمارية لم نعمد الى التبشير حتى نختلف على نتائجه ، إننا جئنا للسيطرة السياسية ، واتخذنا التبشير وسيلة الى هذه الغاية ، فليس من الحكمة إذن أن ننسى غايتنا الأساسية .

واني اقترح من أجل ذلك الا يكون ثمة نعوت مثل هذه : اميركي ، انكليزي اسكوتلندي أو الماني تنعت أعمالنا التي نقوم بها في سبيل المسيح ، ان الخصم المشترك ، وهو الإسلام متحد في مقاومتنا ، فليكن اسمنا « نصارى » .

وعلى هذا الاساس من التفاهم يجب تقسيم مناطق النفوذ في الشرق ثم نقذف فيها بمبشرينا من العملاء ليشقوا لنا الطرق الى الاستعمار .

« يفاجأ المستعمرون بهاتف فيستمعون إليه مذعورين مضطربين !! »

الهاتف : أيها المستعمرون !

أيها المدامون !

إنني صوت الضمير الإنساني جئت اقلق مضاجعكم واعذب افئدتكم !!

الى متى تفسدون في الأرض وتزعمون أنكم تصلحون ؟ !!

الا تذكرون أن الإنسانية نسب واحد ، فما هذه الجرائم التي تقترفونها ضد أخيكم الإنسان ؟ ! وخاصة ضد هؤلاء المسلمين ، وهم من نسل أساتذتكم الأولين الذين علموكم الحياة ، وفتحوا أمامكم طريق الحضارة وأحسنوا إليكم في مختلف الميادين !!

الى متى أنتم سائرون في طريق الاستعمار والفساد في الأرض ؟!

الى متى تسفكون دماء الابرياء والضعفاء بالأسلحة الفتاكة من اجل مطامعكم التي لا تنتهي ! ؟

لقد ضجت الدنيا من جرائمكم !

إنكم تحجبون نور الإسلام عن الإنسانية . أما علمتكم أن في هذا الدين سعادتكم وسعادة العالم ؟ وفي مخالفتكم له وابتعادكم عنه الخطر كل الخطر !

لقد كان من نتيجة انصرافكم عن الإسلام سيركم في هذا الطريق المادي المظلم الشائك الذي سينتهي بكم الى هوة سحيقة من الهلاك !

وقبل ذلك ستتفطر نفوسكم وأفئدتكم بداء القلق والذعر من جراء تزاحمكم المسلح وتنافسكم في ميادين الاستعمار وتحويلكم الدنيا الى خمارة وماخور ونادي قمار ، وابتعادكم عن الله في جميع شؤونكم !

انتظروا ساعة الخطر !

انتظرا ساعة الهلال والفناء من جراء تعذيبكم للشعوب الضعيفة ونتيجة ابتعادكم عن الإسلام اسمعوا قول الله تعالى في القرآن الكريم « ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟!

قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ! »

عهد

للأستاذ سعيد كامل الكوسا

نشأ على الصلاح والتقوى ، وسلكا سبيل الهدى والحق ، وأقسما (والشباب لا يزال بكراً في دمائهما والحياة تفتح لهما يديها مرحبة مهللة ، بابتسامتها العريضة الصافية) أن يحب كل منهما الآخر حب الصفاء ، حب الأرض العطشى للماء ، حب السجين للحرية . بل وأكثر من ذلك أن يحب الله في رفيقه حبا يسمو ويسمو ، حتى لا تطاله العواطف ولا تتنازعه الأهواء ولا تقترب منه الآثام والشبهات . أقسما هذا القسم منذ اكتمال حيوية الشباب في عروقهما الفتية ، منذ أطلاّ بأعينهما المبصرة على هذا العالم الذي يموج ويضطرب ، هذا العالم الذي أخذ الناس فيه يرتفعون وينحدرون ، يسمون ويسفُّون ، هذا العالم الذي يضم هذه الحفنات من الكتل البشرية المتباينة في المشرب والمختلفة في الأمزجة ، والمتلونة بكل ما في العواطف والاتجاهات والأحاسيس من أطياف وألوان ...

لقد وجدا أنهما نشآ في بيئة واحدة ، في بيئة « محافظة » تقدس المثل ، وتعتد بالتقاليد ، وتقيم الأخلاق والمروءات ، وصفات الشهامة ونكران الذات ، هيكلاً تلتقي عنده في كل يوم لتجدد البيعة أمامه ، ولتشهده على تحقيق الرسالة .

وشدا على يديهما بالقسم المحرج ، وتعاهدا أن يرعى كل منهما الآخر ، ويحفظ الحضور والغياب ، وأن يحسنا إلى كل إنسان ما وسعتهما الطاقة الجسدية ، وماوفرته لهما القدرة المالية .

ولم يعد يراهما الرائي إلا حيث يدعوهما الواجب ، أو تقتضيه مصلحة الفقير أو تستلزمه حياة اليتيم ، أو تفرضه أنة البائس ، حتى كأن العطف ولمسات الأيدي

الطاهرة النقية أصبحت جزءاً من كيانها ، بشكل ركنا أساسيا في حياتها ، يستهدفانه ولا يرغبان عنه ، وغدا كر الأيام والليالي يؤكد فيها هذه الصفات ، ويتحقق من ثبوت وجودها في كل المناسبات .

قد يشوق المستمع أن يعرف من هما هذين الإنسانين الخيرين الذين ترفعا عن الدنايا وجعلا خدمة الناس (في قضاء مصالحهم والحدب عليهم) سلوتها الوحيدة ، وشغلها الشاغل .. ومن حق المستمع أن يتشوق الى معرفتها ، وقد غدت الصفات التي ذكرت نادرة ، ندرة الكبريت الأحمر أو الحاكي (الفونوغراف) الذي يمتد عبر أنابيب الى أذني من يود السماع ..

وما تعودت أن أطيل ، أو أن أجعل الشوق وحده هو الذي يدفع المستمع الى الاستزادة من الحوادث ، أو أن أدس العقدة تلو الأخرى في هيكل القصة لاجتذاب المستمع إليّ وأصرفه عن كل ما حوله ..

فقد كان أبو أحمد ورفيقه أبو رشيد من الأشخاص الصالحين ، الذين جعلوا الآخرة وما فيها خير من الدنيا وما فيها ، كانا من الأشخاص الذين غضوا البصر وعقلوا الرجل ، وعصوا النفس ، وعفوا اللسان ، وصانوا اليد ، فلم يسلكا سبيل الحرام ، ولم يقترفا المعاصي والآثام ... وجدير بمن كان كذلك أن تقبل عليه الدنيا .

وقد أقبلت الدنيا عليها فوهبتها البنين والبنات ، وأغدقت عليها المال والخيرات فلم يقترا ولم يسرفا ، وكان الانفاق بين ذلك قواما ..

وقضيا سحابة الشباب على هدىً وتقوى .. حتى إذا وصلت بهما قافلة العمر إلى محطة المحطات التي تنتهي عندها كل قافلة ، وأدركا أنه لم يعد بعد هذه المحطة محطة أخرى ، وأنه لا سبيل الى عودة المسافر بعد أن أنهكه التعب ، وقعدت به سنون الشيخوخة عن السير ومتابعة السفر - جلسا جلسة الارتياح - ورفعا عن كاهليهما عبء سبعين سنة من حياة الجد والكفاح ، وتحدثا إلى بعضهما بعضاً حديثا لم يتحدث به قبلهما إنسان - حديثاً ملؤه الصفاء - ملؤه الإخاء - فيه شفافية الأرواح التي تنفصل عن الأجساد - فيه راحة الفكر وهدوء البال - .

فقد قال ابو احمد لأبي رشيد :

يا أخي في الله . . . يا أخي في حب الله . . إني لأستشعر الموت يدنو فيّ . . إني لأحسه ملء حياتي ملء وجودي ـ وقد تعاهدنا شبابا على خير وتقوى . . . وأظننا بررنا ما تعاهدنا عليه . . . فليكن عهد اليوم عهداً جديداً .

ـ فقال ابو رشيد وأي عهد تقصد يا أخي ؟

ـ رويدك ياأبا رشيد . . إن العهد الذي أقصده : عهد الموت بعد عهد الحياة

ـ عهد الموت ؟ !

ـ نعم عهد الموت بعد عهد الحياة

ـ وكيف ذلك ؟

ـ سأموت أنا قبلك . . أو تموت أنت قبلي . . . هل في ذلك ريب ؟

ـ لا ريب في ذلك ؟

ـ سيحدث ذلك أم لا ؟

ـ سيحدث .

ـ إذن اسمع يا أبا رشيد مـا أقوله لك . . إذا مت أنا قبلك فسأروي لك قصة موتي ، ولقـاء آخرتي ، وما سيحدث لي ؟ وإذا مت أنت قبلي فعليك عهد الله كما هو علي أن تروي لي ما أنت صائر اليه . . وتضاحكا . . وشط بهما الحديث ، والحديث شجون ، الى أحاديث أخرى تتعلق بالأسرة والحياة والمجتمع ، وفي هذه المحطة بالذات أقعد المرض أبا احمد وألزمه الفراش . . ولم يعد يقوى على المسير أو أن يبرح غرفته ، فكان يزوره ابو رشيد في جملة من يزورونه .

وتنافس أولاد أبي احمد في رعاية والدهم والحدب عليه بتقديم خدمـاتهم عن نفوس طيبة لاتتقزز ولا تتأفف ، بل تصنع ما تصنع في إقبال وانشراح ، وكل غايتهم رضاه الله . . وايفاؤه بعض الحق الذي طوق به أعناقهم . . حتى إذا زادت به العلة وثقلت عليه الوطأة ، عرضوا عليه أن يأتوه بالنطاسيين من الأطباء ، علهم يصفون له من الدواء مايبريء علته ويشفي مرضه .

ولكن أبا احمد لم يقبل ، وطلب من أولاده أن لايأتوه بأحد ، و (بإباء الصالح المؤمن) كف عن تناول أية جرعة من دواء أو أية حبة من علاج ، وترك أمره إلى الله . . يفعل به مايشاء .

وتدور الأيام ... وينقطع ابو رشيد عن زيارة صديقه المريض حتى يجتمعا في ذات يوم ، ويكون بينهما حديث ، ويكون عتاب .

فيقول ابو رشيد : لقد شغلت فكري يا أبا احمد .

لا عليك يا أبا رشيد ، لقد شفيت بإذن الله .

شفيت . . . ؟ !

نعم شفيت – واصبحت معافى أتمتع بالصحة والقوة .

وكيف عوفيت يا أبا أحمد . . . . ؟!

لقد اتاني طبيبان يبدو عليهما الفهم والتمكن من المداواة ، فحصا جسمي بهدوء وروية – واستوعبا ألمي ، وخبرا علتي ، فركنت إليهما واستأنست بوجودهما ، وقبلت أن يعالجاني ، وقد ذكرت لهما أن المرض بدأ من أسفل رجلي ، ثم سرى الى أنحاء جسمي ، فهونا علي الأمر ؛ وكأن السحر والمعجزات نبعت من بين أيديهما حين مسا رجلي ، فلم أعد أشعر بأي ألم ، وباسم الله زال الذي كنت أحسه ، وعاد البرء الذي افتقدته ، ودبت القوة في ساقي وفخذي ، وانتصبت في لمح البصر على قدمي . . .

– عجيب ! !

– لا تعجب يا أبا رشيد ، إن ذلك حدث بالفعل .. ودليل ذلك أنني واقف بين يديك .

– ولم يعد بك أي ألم أو علة ؟ !

– على رسلك ، أنا لا اخفى عنك . . . لقد شعرت عندما وقفت بانقباض في صدري وقد ذكرت ذلك لهما ، فابتسما في وجهي ، ولم يرتبكا . . وبهذا السحر بالذات أزالا الانقباض ولكن بعد أن غبت عن وجودي ، وكأنني أصبت بدوار شمل رأسي وكياني ؛ فلما صحوت منه قليلا . . . تراءى لي شخص آخر . . كأنني هو ، ممدد في فراشي ، فاستغربت ، واعترتني دهشة شديدة لم اخفها عن طبيبي اللذين اخذا يتساران بحديث لم أسمع منه شيئا ...

وفي هذه اللحظة بالذات دخلت الغرفة زوجتي وأولادي . . . وإذا بهم يتجهون الى الفراش ، نحو شبيهي وكأنهم لم يروني . . . فتواريت خلف الطبيبين حتى لا يلمحوني، لأنظر بأم عيني ماذا سيفعلون . . وإذا بهم - ويا ليتهم لم يدخلوا الغرفة - يصيحون ويعولون - يبكون ويندبون - فلم أر بداً من الظهور ، وخرجت من خلف الطبيبين ، وقلت لزوجتي وأولادي :

كفى صياحاً وعويلاً - ها أنا ذا صحيح معافى لا اشكو علة ولا أقاسي ألما . . ولكنهم لم يستمعوا لي ولم يتجهوا نحوي ، فرفعت صوتي ورفعته فلم يجد ذلك نفعا . . وكأنهم لم ينتبهو لي أبداً ، . ولما يئست منهم قلت في نفسي : دعهم وشأنهم يفعلون ما يريدون ، ووقفت وقفة المتفرج من هذه المأساة الضاحكة الباكية . . فأنا ابو أحمد بالذات الذي تعرفني ليس بي شيء . . وشبيهي مسجى في الفراش يندبونه ويبكونه . . أليس في ذلك ما يدهش ... ؟

- إنه مدهش حقا !

- لا تدهش فقد مررت بأكثر من ذلك ...

- أكثر من أن لا يروك ولا يسمعوك :

- نعم مررت بأكثر من ذلك ..

- لقد قلت لك : إنني رضيت أن اقف موقف المتفرج ...

- نعم قلت ذلك :

ولذا فإنهم بعد أن ملأوا الجو بكاء وصياحا ، دخل رجال آخرون في ثياب بيض ، وهيئات جميلة ، وأنا وطبيباي لم نبرح المكان ، فحملوا شبيهي من فراشه وسجوه على طاولة بعد أن نزعوا عنه ثيابه . . ثم أخذوا يسكبون عليه الماء برفق وحنان ، حتى إذا قدموا بنظافته لفوه بملاءة من القماش الأبيض ثم سلكوه في صندوق طويل ، وحملوه على الاكتاف ، وخرجت الناس خلفه محوقلة مهللة مكبرة ، فلم أر بداً من اللحاق به . . ولحقت به فإذا بهم يدخلون به الى مسجد الحي ويصلون عليه.. وكنت لا أزال متوضئاً فوقفت خلف النعش بين المصلين وصليت عليه ....

حتى إذا فرغوا من الصلاة اتجهوا نحو المقبرة ، فاتجهت معهم ، ولما وقفوا أمام القبر - دفعني الفضول الى رؤية الحفرة التي أعدوها له - واقتربت نحوهـا ، ولكن

الرجال الذين شيعوا شيبهي الى هذا القبر اختطفوني ونزلوا بي الى داخل الحفرة ....

– أنزلوك الى الحفرة ؟! ولم تخف ؟!

– لا اخفيك لقد ارتعشت قليلا . . ولكنني حينما نزلت إليها لم اجد حفرة ...

– وما وجدتها إذن . . ؟ !

– أتصدقني إذا قلت . . ؟

– وهل كذبتك في يوم يا أبا أحمد ؟!

– إذن اسمع : لقد وجدتها بستاناً فسيحاً دونه غوطة دمشق – أرضه خضراء – متمتعة بالزهور والورود ، تحفه الأشجار المثمرة بأطيب الثمار من كل حدب وصوب .. وفي منتهاه قصر جميل منيف – وعلى مقربة مني فسقية فسيحة واسعة يفيض منها الماء الزلال ، وتتطاير على الماء والأشجار طيور ملونة بأبهى الألوان تصدح بأحلى الأنغام ، وفي روعة هذه المشاهد . . نسيت الرجال الذين نزلوا بي الى هذا المكان وقد صاح في أذني (وأنا مأخوذ بروعة ما أنا فيه) صوت أذان العصر ....

ولا أكتم عنك جمال المكان وبهاء المنظر وحلاوة الأذان التي أثارت في نفسي رغبة في الوضوء من هذا الماء الفياض ، فشمرت عن ساعدي ، وهممت فإذا بصبية حسناء في مثل إشراقة البدر تخرج من خلف جذع شجرة معمرة وتتقدم نحوي فأدرت بصري ، وقلت لها : يا أمة الله استري نفسك واعتصمي بحجابك ، فضحكت من قولي بقهقهة عالية وقالت (وهي تتحداني وتتقدم نحوي) : أنا لك ياحبيبي .

– حبيبك . . ؟ أستغفر الله من هذا القول .

– لا عليك يا أبا أحمد .. أنا لك – أنا مؤنستك في هذه الروضة ، وقد جئتك خصيصا لأكشف لك عن محاسني ومحاسن هذا المكان . . هنا جمال وحسان . . هنا من كل فاكهة زوجان . . هنا كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . . تعال معي لنتنزه بين هذه الخمائل الوارفة ، وعلى ضفاف الأنهار الحالمة ؛ تعال نستمع إلى حفيف الشجر ، وصداح الطير ، وصوت القيان ، تعال تعال . .

وأخذتني برفق من ساعدي وراحت تتجه بي إلى القصر الذي أعد لي .. وهنا أدركت يا أبا رشيد أن الموت حق .. والأخوة حق . وفراق الدنيا غير مخيف ...

وانتبه أبو رشيد من نومه يشهد على بر صديقه بوعده وتمنى ساعة اللقاء .

سعيد كامل الكوسا

من الشرق .. ومن الغرب

- قال النبي ﷺ : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (الـم) حرف ، ولكنْ ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف .

- إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان (ابو بكر الصديق)

- اعلم أنك جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير ، وإن جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال ، وان جاوزتها في تكلّف رضى الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المُحسر [1] المضيّع .

واعلم أن بعض العطية لؤم ، وبعض السلاطة [2] غمّ ، وبعض البيان عيّ ، وبعض الحلم جهل ، فإن استطعت ألاّ يكون عطاؤك جورا ، ولا بيانك هَذَرا [3] ، ولا علمك وبالاً فافعل . (عبد الله بن المقفّع)

- إذا فرغت من حلّ جميع أسرار الحيـــاة تتوق الى الموت لأنـه سرّ من أسرار الحياة . (جبران)

- لا توجد في العالم وسادة انعم من حضن الأم ، ولا وردة أجمل من ثغرها . (شكسبير)

- أن الفتاة الاستقراطية النظيفة تقوم بالأعمال الإنسانية وهي لا تقوم بهـــا إيماناً بالأهداف الإنسانية ، بل تقوم بها فقط حباً في المظاهر والشهرة ... وهذه فتاة منافقة . دجالة .. مرائية . (بوناردشو)

(قلم المجلة)

---

(١) من التحسير وهو الإيقاع في الحسرة .

(٢) حدة اللسان وشدته .

(٣) الهذر : سقط الكلام .

كل شيء

● أخرج احمد وابو حاتم وابن ماجه عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله ﷺ قال : مانفعني مال قط مانفعني مال أبي بكر[1] فبكر ابو بكر وقال : ما أنا ومالي إلا لك، وفي رواية للإمام احمد أن ابا بكر قال : وهل نفعني الله إلا بك (كررها ثلاثا) .

● عن حنظلة الأسيدي أنه مرّ بأبي بكر رضي الله عنه وهو يبكي ، فقال مالك ياحنظلة ؟ قال نافق حنظلة ياأبا بكر ، نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ، ونسينا كثيراً ، قال : فوالله إنا كذلك ، انطلق بنا الى رسول الله ﷺ فانطلقنا فلما رآه رسول الله ﷺ قال : مالك ياحنظلة ؟ (فأجابه بما أجاب أبو بكر) فقال النبي ﷺ : لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم ، وفي طرقكم ، وعلى فرشكم ، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة . في أسد الغابة : رواه الترمذي وابو داود ـ

● في (الآداب الكبرى) لابن مفلح : قال في (شرح مسلم) لابن هبيرة ، في قوله ﷺ : (ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) . قال : والستر المندوب اليه هنا ؛ فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ، ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد ، وأما المعروف بذلك ، فيجب ألا يستر عليه ، بل ترفع قصته الى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة ، لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات ، وجسارة غيره على مثل فعله ، وهذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت ، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها ؛ فتجب المبادرة بإنكارها عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك ، ولا يحل تأخيرها ، فإن عجز لزمه رفعها لولي الامر إذا لم يترتب على من قدر على ذلك مفسدة ، وأما جرح الرواة ، والشهود ، والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم ؛ فيجب جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم مايقدح في أهليتهم ، وليس هذا من الغيبة المحرمة ، بل من النصيحة الواجبة ، وهذا مجمع عليه .

(قلم المجلة)

---

(١) اخرج ابو حاتم ان عائشة رضي الله عنها قالت : انفق ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا .

روح عن نفسك

بروى

- جرت في يوم الخامس من شبـاط (حيث توقع بعض الأمريكيين والمنجمين الهنود احتمال كارثة كونية) حوادث من أعمال الناس تدل على مبلغ تصورهم وسائل السلامة من القيامة كأن القيامة - التي لاتأتي الا بغتة ، وقد استأثر الله تعالى بعلمها - كأن من الممكن النجاة من أهوالها التي لا دافع لها :
- في روما بنيت سفن باسم (سفن نوح) لنقل الراغبين في الحياة عبر البحـار وحدّد ثمن البطاقة بخمسين ليرة وارتفع ثمنها بعد الازدحام عليها فبلغ ١٥٠ ليرة.
- وفي سان فرانسيسكو سألت امرأة الشرطي عمـا يجب أن تفعله عند قدوم أمواج المدّ ، فأجابها : لديك مجال للغرق في الأمواج بقدر مجال الهلاك من جراء سقوط نيزك .

وبعد مضي ساعة سألته : كيف أحمي نفسي من النيزك !؟

- بيعت في بانكوك (الهند) حجارة قيل إنها قدمت من الفضـاء الخارجي ؛ تتميز بزعم بائعيها بالقدرة على حماية أصحابها من الأخطار الناجمة عن التنبؤات .
- وفي بورما حضر رئيس الوزراء صلاة هندوسية ، واشترك مع مصليها في قذف البخور في النار المطهرة . وأطلق يومئذ ٦٠٢ من أنواع الحيـوانات رمزاً لإنقاذ الحياة ...
- اكتشف الشرطة في مكسيكوسيتي شخصاً حاول أن يبيع زوجته معللاً ذلك بأنه ضاق ذرعاً بالحياة الزوجية وبأنه كان في حاجة إلى نقود !

وتبين أن الزوج سافر مع زوجته إلى جهة نائية لتسليمها للمشتري الجديد دون أن تدري بالصفقة التي عقدها ، فلما أراد المشتري الجديد استلامهـا ، صرخت واستنجدت بالشرطة ولكن الزوج كان قد هرب ، وتبحث عنه الشرطة الآن !

(قلم المجلة)

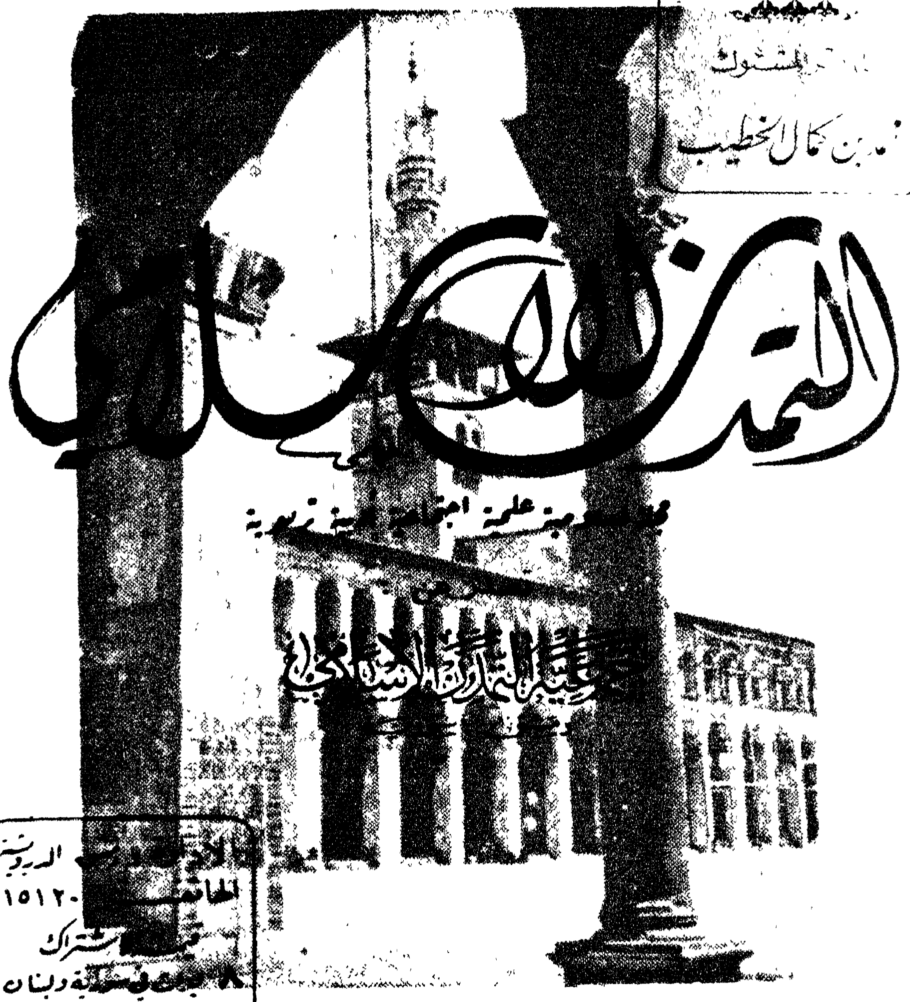
ئيس التحرير

مظهر العظمة

المسئول

بن كمال الخطيب

الأجزاء ٣٧ — ٤٠ من المجلد ٢٨



التمدن الإسلامي

جمعية التمدن الإسلامي

الدريشة

١٥١٢٠

ستراك

٨ ... لبنان

جنيه أو دينار خارجهما

٢٥ ليرة سورية للدوائر الرسمية في سورية

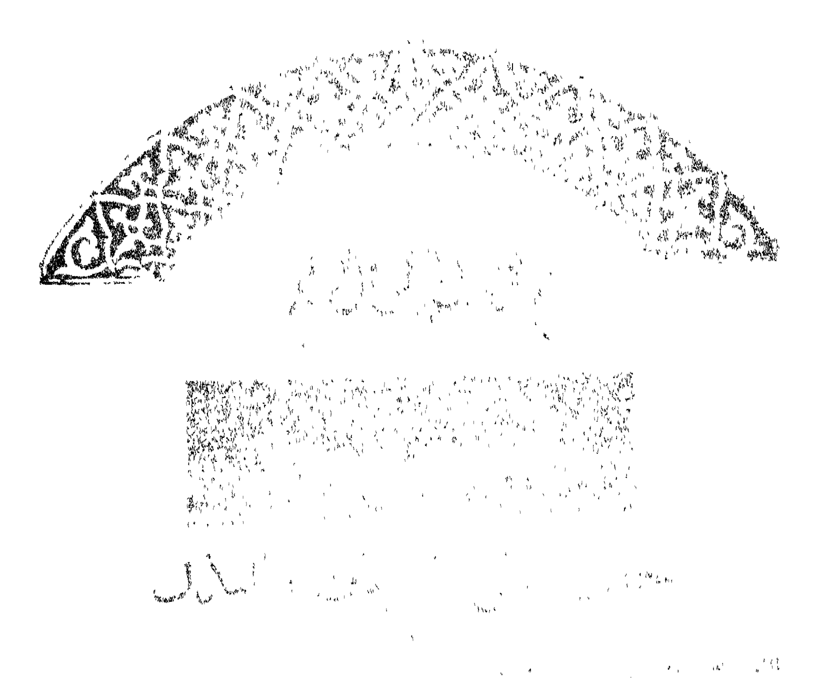
٥٠ لسواها

سنة المجلة ٤٠ جزءا

الإعلانات يتفق عليها

١٣٨١هـ — ١٩٦٢م

— صدرت في نهاية ذي الحجة وجعل معها الجزء الرابع من (حديث الثلاثاء) هدية، وبذلك ينتهي العام ٢٨



﴿ آمنوا باللهِ ورسولهِ وأنفقوا مما جعلكم مُستخلَفينَ (١) فيه ، فالذينَ آمنوا منكمْ وأنفقوا لهمْ أجرٌ كبيرٌ * ومالكمْ لا تؤمنونَ باللهِ والرسولُ يدعوكمْ لتؤمنوا بربّكمْ وقدْ أخذَ ميثاقكمْ إنْ كنتمْ مؤمنينَ * هوَ الذي يُنزّلُ على عبده آياتٍ بيناتٍ ليخرجكمْ منَ الظلماتِ إلى النورِ ، وإنَّ اللهَ بكمْ لرءوفٌ رحيمٌ * ومالكمْ ألاّ تنفقوا في سبيلِ اللهِ وللهِ ميراثُ السمٰواتِ والأرضِ ، لا يستوي منكمْ منْ أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتل ، أولئكَ أعظمُ درجةً منَ الذينَ أنفقوا منْ بعدُ وقاتلوا ، وكلاً وعدَ اللهُ الحسنى ، واللهُ بما تعملونَ خبيرٌ * منْ ذا الذي يُقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفهُ لهُ ولهُ أجرٌ كريم * يومَ ترى المؤمنينَ والمؤمناتِ يسعى نورُهُم بينَ أيديهمْ وبأيمانهمْ بُشراكمُ اليومَ جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ، ذلك هو الفوزُ العظيم * ﴾

الآيات ٧ — ١٢

---

(١) خلفاء الله تصرفاً أو خلفاء من تقدمكم في التصرف بذلك المال .

كانت الآيات الكريمة القوية التي تقدمت هذه الآيات تمهيداً بحقائقهـــا الإيمانية الكبرى لهذه الدعوة الإلهية هنا ، فكل من كان داعياً هناك يغدو مستجيباً هنا :

١ - « آمنوا بالله ورسوله » أيها الناس ، أيها المؤمنون ، فقد بدت لكم موجبات هذا الإيمان القوي المنشود وعلى وجهه الأكمل القوي الثابت :

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » انفقوا في الطاعات مما لديكم من المال ، وما هو ملككم في الحقيقة ، ولكنه ملك الله الذي له ملك السموات والأرض كما علمتم ، جعلكم خلفاءه فيه تصرفاً .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول : (ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟) ورواه مسلم من حديث شعبة ؛ وزاد : وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس . ثم عقّب المولى سبحانه على هذين الركنين العظيمين الإيمان ، والإنفاق اللذين هما دعامتا نهوض الأفراد والأمم :

التعقيب الأول : « فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير . »

وذلك من الحق المنتظر المصرّح به ترغيباً في الإيمان والإنفاق .

٢ و ٣ - « وما لكم لا تؤمنون بالله والرسولُ يدعوكم لتؤمنوا بربكم » ؟ ! وجاء هذا التعقيب على الدعامة الأولى دعامة الإيمان ، فلا عذر لكم إن لم تؤمنوا بالله هذا الإيمان ، حال كون الرسول فيكم ، يدعوكم لتؤمنوا بربكم ، فهو رسول حق وصدق ، منكم ، يبلغكم عن الله ، والموضوع موضوع حقيقة كبرى جليّة كالشمس وهي الإيمان بالرب كما يجب .

« وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين » أخذ ميثاقكم على هذا الإيمان الكامل بالغيب بما أودع في فِطركم وجعل في استعدادكم ، وأقام لكم من الأدلة ، وجعلكم تقرون وتعترفون .. كما قال سبحانه وتعالى « وإذ أخذ ربك من بني

آدم من ظهورهم ذريّاتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألستُ بربكم ، قالو بلى » ٧ : ١٧١
وقال سبحانه : « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا » ٥ : ٨ .

وفي تفسير ابن كثير : وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : أي المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ قالوا الملائكة ، قال وما لهم لا يؤمنون وعندهم ربهم ؟ قالوا : فالأنبياء ، قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم ، قالوا فنحن ، قال وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ، ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها .

« هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم » . وهو سبحانه وتعالى ينزل على عبده ـ رسوله الذي يدعوكم للايمان ـ حججاً واضحات ليخرجكم من الظلمات الى النور ، ظلمات الضلالة والجهالة الى نور الهداية واليقين ، بإنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس وإزالة سحب الكفر والشك ـ وإن الله لرؤوف رحيم بكم وبغيركم ، ولا شك أن تفضله بما أنزل وأرسل دال على رأفة بالغة ورحمة غامرة .

٤ ـ (آ) « وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض ؟! » هذا التعقيب على الدعامة الثانية دعامة الإنفاق ، فهو يرث كل شيء فيها ، والمعنى المقصود كما قال الإمام ابن كثير : (أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالا ، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض وبيده مقاليدهما ، وعنده خزائنها ، وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » وقال : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فمن توكل على الله انفق ولم يخش من ذي العرش إقلالا ، وعلم أن الله سيخلفه عليه .)

ونقل العلامة القاسمي في محاسن التأويل عن الشهاب قال : (هذا من أبلغ ما يكون في الحث على الإنفاق ، لأنه قرنه بالإيمان أولاً لما أمرهم به ، ثم وبخهم على

ترك الإيمان مع سطوع براهينه ، وعلى ترك الإنفاق في سبيل من أعطاه لهم ، مع أنهم على شرف الموت ، وعدم بقائه لهم إن لم ينفقوه . وسبيل الله كل خير يوصلهم إليه ، أعم من الجهاد وغيره . وقصر بعضهم إياه على الجهاد ، لأنه فرده الأكمل ، وجزاؤه الأفضل ، من باب قصر العام على أهم أفراده وأشملها ، لا سيما وسبب النزول كان لذلك) .. [1]

(ب) ثم قال سبحانه : « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح [2] وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاً وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير » .

اتماماً لهذا التعقيب حثاً وحضاً ، بين سبحانه في إيضاح فضل المجاهدين بالأموال والأنفس أن المنفقين والمقاتلين لا يستوون ، فالمنفقون والمقاتلون قبل ان يعز الله الاسلام بفتح مكة ودخول الناس أفواجاً في دين الله هم أعظم درجة من الذين انفقوا وقاتلوا بعد ذلك الفتح ، أولئك المجاهدون المتقدمون - بالأموال والنفوس — أعظم درجة من المتأخرين فيه ، وكلاً من هؤلاء وهؤلاء وعدهم الله سبحانه المثوبة الحسنى وهي الجنة فهي مثواهم ، وفيها تفاوت تفاضل في الجزاء ، والله خبير بما تعملون فلا تخفى عليه خافيه من نية أو قول أو عمل .

وشبيه بهذا قوله سبحانه « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار» التوبة : ١٠٠

وفي الإكليل في استنباط التنزيل للإمام السيوطي قال : يدل على أن فضيلة العمل على قدر رجوع منفعته الى الإسلام والمسلمين .

وقال ابن العربي : إنما نفى المساواة لأن حاجه الناس كانت قبل الفتح أكثر لضعف الإسلام ، وكان فعل ذلك على المنافقين حينئذ أشق ، والأجر على قدر النصب ، قال : وفيه دليل على أن الصحابة مراتب ، وان الفضل للسابق ، وعلى تنزيل الناس منازلهم [3] .

---

(١) محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٦٧٨

(٢) قال ابن كثير : الجمهور على أن المراد بالفتح ها هنا فتح مكة ، وعن الشعبي وغيره أن المراد به ها هنا صلح الحديبية .

(٣) الإكليل ص ٢٠٤ .

وفي صحيح مسلم : لا تسبوا أصحابي ، فلو أنفق أحدكم مثل احد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نَصِيفه .

(ج) : ثم قال سبحانه « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم » .

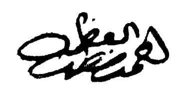
جعل سبحانه الإنفاق في سبيل الله بنية خالصة لله سبحانه كأنه إقراض حسن لله ، ومن يسمع هذا التشبيه من المؤمنين ثم يُمسك عن الإقراض ، يمسك عن الإنفاق في الخيرات ؟ بل من لا يبادر ويطير الى البذل طيرانا ؟ والثواب ما ذا ؟ « فيضاعفه له » ثواباً « وله أجر كريم » أيضا ، كرم من الله استحقه المنفق بإيمانه وإخلاصه وسخائه

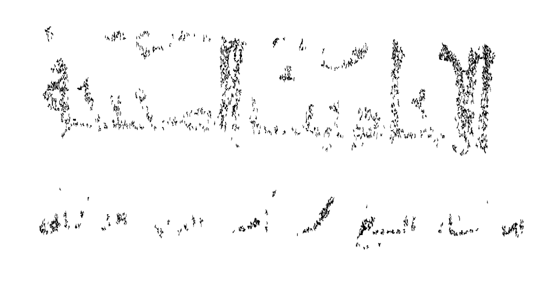
(د) « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم » وما أحوج المؤمنين الى أن يتقدمهم في ذلك اليوم نورُهم فيسعى بين أيديهم هذا الدليل النوراني ! إن ذلك السعي سيكون لأولئك المنفقين في سبيل الله ، فطوبى لهم بهذا الشعاع الهادي يوم الحاجة إليه ، لقد آمنوا بنور الإسلام في الدنيا ، فجعل الله تعالى لهم ثواباً هذا النور وما وراءه في النعيم المقيم .

« وبأيمانهم بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم » . ويؤتى أولئك المؤمنون كتبهم في أيمانهم كما قال تعالى « فمن أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حساباً يسيرا » ٨٤ : ٧و٨ .

يقول لهم الملائكة الذين يبلغونهم هذه المقالة الحلوة الغالية : بشراكم اليوم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم .

وإنها لبشرى تتطلع إليها القلوب المؤمنة والنفوس المطمئنة . نسأل الله تعالى أن نحظى بذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وما ذا بعد هذا الشرف الذي لا يبارى والمنزلة التي لا تجارى ؟





١٤٨ ﴿ إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد رفت رجلاه الأرض وعنقه منثنٍ تحت العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ، فيرد عليه : ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا ﴾ .

رواه الطبراني في « الأوسط » (١/١٥٦/١) ، حدثنا محمد بن العباس بن الأخرم ثنا الفضل بن سهل الأعرج ثنا اسحاق بن منصور نا إسرائيل عن معاوية بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة مرفوعاً وقال :

« لم يروه عن معاوية إلا إسرائيل تفرد به اسحاق » .

قلت : وهو ثقة من رجال الشيخين وكذا سائر الرواة ثقات أيضاً من رجال البخاري غير ابن الاخرم وهو من الفقهاء الحفاظ المتقنين كما في « لسان الميزان » فالحديث صحيح الاسناد . وقال الهيثمي في « المجمع » (٤/١٨٠/ - ١٨١) :

« رواه الطبراني في « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح » .

وفي هذا الاطلاق نظر لا يخفى لا سيما وقد قال في مكان آخر (٨/١٣٤) :

« رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا أن شيخ الطبراني محمد ابن العباس عن الفضل بن سهيل الأعرج لم اعرفه » .

ثم ان في قول الطبراني : « تفرد به اسحاق » نظراً ، فقد تابعه عبيد الله ابن موسى أنبأ اسرائيل به .

أخرجه الحاكم (٤/٢٩٧) وقال :
« صحيح الاسناد » . ووافقه الذهبي .
ووقع في « المستدرك » « عبد الله » مكبراً وهو خطأ طبعي .
والحديث قال المنذري (٣/٤٧) :
« رواه الطبراني بأسناد صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد » .

١٤٩ - « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة » .

رواه أبو داود (٤٧٢٧) والطبراني في « الأوسط » كما في المنتقى منه للذهبي (٢/٦) وفي « حديثه عن النسائي » (٢/٣١٧) وابن شاهين في « الفوائد » (٢/١١٣) وابن عساكر في المجلس (١٣٩) من الأمالي (١/٥٠) وفي « التاريخ » (١/٢٣٢/١٢) عن ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا . وهو في « مشيخة ابن طهمان » (٢/٢٣٨) وقال الطبراني .
« لم يروه عن موسى بن عقبة إلا ابراهيم بن طهمان » .
قلت : وهو ثقة كما في « التقريب » وقد تابعه صدقة بن عبد الله القرشي بلفظ آخر فانظر أن لله ملائكة وبقية رجال الاسناد ثقات فهو صحيح . ثم رأيت الذهبي قال في « العلو » (ص ٥٨ طبعة الأنصار) .
« اسناده صحيح » . ثم ساق له شاهداً من حديث محمد بن اسحاق عن الفضل ابن عيسى عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً وقال :
« اسناده واه » .
وقال الهيثمي في الطريق الأولى (١/٨٠) :
« رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح » .
قلت : وقد رواه بعض الضعفاء عن موسى بن عقبة به بلفظ :
« إن لله ملائكة وهم الكروبيون ، من شحمة أذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه »
وقد سقت اسناده وتكلمت عليه في المكانة العاشرة من « الأحاديث الضعيفة » .

متى يرث المولود :

١٥٠ - « لا يرث الصبي حتى يستهل صارخاً ، واستهلاله أن يصيح أو يعطس أو يبكي » .

رواه ابن ماجه (٢٧٥١) والطبراني في « الأوسط » (١/١٥٣/٢) عن العباس ابن الوليد الخلال الدمشقي ثنا مروان بن محمد الطاطري ثنا سليمان بن بلال عن يحيى ابن سعيد على سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله والمسور بن مخرمة مرفوعاً وقال الطبراني :

« لم يروه عن يحيى إلا سليمان تفرد به مروان » .

قلت : وهو ثقة وكذلك سائر الرواة فالحديث صحيح . وأما قول الهيثمي (٤/٢٢٥) :

« رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه العباس بن الوليد الخلال وثقه أبو مسهر ومروان بن محمد وقال أبو داود ، لا احدث عنه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

ففيه نظر من وجهين :

أولاً أن مروان ليس من رجال الصحيح .

الثاني : ان قول أبي داود فيه لم يذكره عنه الحافظ في « التهذيب » وإنما نقل عنه من رواية الآجري انه قال : « كتبت عنه وكان عالماً بالرجال والأخبار » ولذلك قال فيه في « تقريب التهذيب » صدوق ، فلا أدري أذلك وهم من الهيثمي أم قصور من الحافظ حيث لم يذكره .

ثم إن إيراد الهيثمي لهذا الحديث في كتابه ليس خلاف شرطه ، لإخراج ابن ماجه إياه ، فلعله لم يستحضر ذلك عندما أورده .

والحديث شاهد بلفظ :

١٥١ - « إذا استهل المولود ورث »

رواه أبو داود . (٢٩٢٠) عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة مرفوعا . وعن أبي داود رواه البيهقي (٢٥٧/٦) وذكر أن ابن خزيمة أخرجه من هذا الوجه .

قلت : ورجاله ثقات ، إلا أن ابن اسحاق مدلس ، وقد عنعنه . لكن له شاهد من حديث جابر . رواه ابن ماجه (٢٧٥٠) عن الربيع بن بدر ثنا أبو الزبير عنه .

قلت : والربيع بن بدر متروك ، لكن تابعه المغيرة بن مسلم وسفيان عن أبي الزبير به .

أخرجه الحاكم (٣٤٨/٤ و ٣٤٩) وقال :

« صحيح على شرط « الشيخين » . ووافقه الذهبي » .

قلت : بل على شرط مسلم فقط ، على أن أبا الزبير مدلس وقد عنعن .

وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعا ...

أخرجه ابن عدي (ق ١/١٩٣) من طريق شريك عن أبي إسحاق عن عطاء عنه .

قلت : وهذا سند لا بأس به في الشواهد ، فان شريكاً وهو ابن عبد الله القاضي ثقة إلا أنه سيء الحفظ ، ومثله أبو اسحاق وهو السبيعي فإنه كان اختلط .

(فائدة) في حديث جابر والمسور المتقدم تفسير استهلال الصبي بقوله : « إن يصيح أو يعطس أو يبكي » . وهو حديث صحيح كما تقدم ، يغتر بقول الصنعاني في « سبل السلام » (١٣٣/٣) :

« والاستهلال روي في تفسيره حديث مرفوع ضعيف : « الاستهلال العطاس » . أخرجه البزار » .

فإن الذي أخرجه البزار . إنما هو من حديث ابن عمر باللفظ الذي ذكره الصنعاني ، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن السيلماني وهو ضعيف . كما في « المجمع » ، فهذا غير حديث جابر والمسور فتنبه .

(يتبع) محمد ناصر الدين الألباني

٤٩٧ - « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلًّا على الناس »

موضوع، أخرجه ابو بكر الأزدي في « حديثه » (١/٥) وابو محمد الضراب في « ذم الرياء » (١/٢٩٣) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/٢٢١) عن نعيم بن سالم بن قنبر عن انس بن مالك مرفوعا.

وهذا اسناد موضوع، نعيم بن سالم أورده هكذا في « اللسان » وقال قال ابن القطان : لايعرف، قلت : تصحف عليه اسمه وإلا فهو معروف مشهور بالضعف متروك الحديث، وأول اسمه ياء مثناة من تحت، ثم غين ثم نون وسيأتي : ثم قال هناك.

وقال ابو حاتم : ضعيف، وقال ابن حبان : كان يضع على انس، وقال ابن يونس : حدث عن انس فكذب.

ومن طريقه رواه الديلمي أيضاً كما في « الحاوي » (٢/٢٠٢) للسيوطي وفيض القدير للمناوي.

وقد روي الحديث باسناد آخر موضوع عن انس وهو الذي قبله.

٤٩٨ - ﴿ كفى بالموت واعظا ، و كفى باليقين غنى ، و كفى بالعبادة شغلا ﴾

ضعيف جداً ، رواه ابو سعيد بن الاعرابي في معجمه (١\٩٧) وابن بشر ان في مجلس يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة سنة ٤١٢ من الأمالي ، وورقة ٢٠٨/٢ من مجموع الظاهرية رقم ٨٧ وابو الفتح الأزدي في « المواعظ » (١/٧) والقاسم بن عساكر في « تقوية المسلم » (٢\٢١٦/٢) وكذا ابو نعيم من « حديث الكديمي » وغيره (٢\٣٥) من طريق الربيع بن بدر عن موسى بن عبيد عن الحسن عن عمار مرفوعا .

قلت : وهذا اسناد ضعيف جداً الربيع بن بدر متروك . ثم أنه روي موقوفاً فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في « كتاب اليقين » (رقم ٣١) بسند صحيح عن جعفر بن سليمان عن يونس قال : حدثني من سمع عمار بن ياسر يقول : فذكره موقوفاً غير مرفوع . وهو الصواب إن شاء الله تعالى .

٤٩٩ - ﴿ من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة - لقي الله عز وجل : مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ﴾

ضعيف ، أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٤) والعقيلي في « الضعفاء » (٤٥٧) والبيهقي (٨/٢٢) من طريق يزيد بن زياد الشامي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً . وقال العقيلي : « يزيد هذا قال البخاري : منكر الحديث » قال : « ولا يتابعه إلا من هو نحوه » . وقال البيهقي : « ويزيد منكر الحديث » قلت : وأفاد البخاري أنه لاتحل الرواية عنه فهو متهم كما تقدم قبل حديثين . وذكر الذهبي في ترجمته عن أبي حاتم أنه قال : « هذا الحديث باطل موضوع » وأقره الذهبي . وأورده ابن الجوزي في « الموضوعات » من حديث أبي هريرة وعمر وأبي سعيد واعلها كلها ثم قال ، قال احمد : « ليس هذا الحديث بصحيح وقال ابن حبان : هذا حديث موضوع لا أصل له من حديث الثقات » .

وتعقبه السيوطي في « اللآلي » (٢/٧ ١ ١٨٨) بشواهد أوردها تقتضي أن الحديث ضعيف لا موضوع .

قلت : ومن شواهد ما أخرجه ابن لؤلؤ في « الفوائد المنتقاة » (٢/٢١٨) عن الأحوص عن أبي عون المري عن عروة بن الزبير مرفوعا . وهذا مع ارساله ضعيف فإن الأحوص هو ابن حكيم وهو ضعيف الحفظ .

ومنها ماعند أبي نعيم في « اخبار اصبهان » (١٥٢/١ ، ٢٦٤) من طريق داود بن المحبر عن ضمر بن جوير به عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . وان المحبر كذاب ، لكن رواه ابن عساكر (٢/٣٨٢/٢) وكذا البيهقي في « الشعب » كما في « اللآلي » من طريقين عن عبد الله بن حفص (وفي اللآلي : عبيد الله بن حفص بن مروان) عن سلمة [بن] العيار الفزاري عن الأوزاعي عن نافع به . ورجاله ثقات غير ابن حفص هذا فلم أجد له ترجمة .

٥٠٠ ـ « نعم الطعام الزبيب يشد العصب ، ويذهب بالوصب ، ويطفيء الغضب ، ويطيب النكهة ، ويذهب بالبلغمة ، ويصفي اللون . وذكر خصالا تمام العشرة لم يحفظها الراوي » .

موضوع ، أبو نعيم في الطب (١/٩ نسخة الشيخ السفرجلاني) والخطيب في « التلخيص » (٢/٣٦ ، وابن عساكر (٧/ ١/١١٥) من طريق سعيد بن زياد بن فائد بن زياد بن أبي هند قال : حدثني أبي زياد بن فائد عن أبيه فائد بن زياد عن أبيه عن ابي هند الداري قال : أهدي الى رسول الله ﷺ طبق من زبيب مغطى فكشف عنه رسول الله ﷺ ثم قال : كلوا بسم الله ، نعم ...

قلت : وهذا موضوع . سعيد هذا قال الأزدي : « متروك » وساق له بن حبان في « الضعفاء » هذا الحديث وقال : « لا ادري البلية ممن هي أمنه أو من أبيه أو جده » .

وساق له الذهبي حديثاً آخر وهو :

٥٠١ - « قال الله تبارك وتعالى : من لم يرض بقضائي ، ويصبر على بلائي فليلتمس رباً سوائي » .

ضعيف جداً ، رواه الطبراني في الكبير وأبو بكر الكلاباذي في « مفتاح المعاني » (١/٢٧٦) والخطيب في « التلخيص » (٢/٣٩) وابن عساكر . (١/١١٥/٧) و ١٢/ ١/٢٦٧ و ١/٣٠٤/١٥) من طريق سعيد بن زياد باسناده المذكور في الحديث الذي قبله . وقال الهيثمي في « المجمع » (٢٠٧/٧) : « وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك » وعزاه العراقي لابن حبان أيضاً في « الضعفاء » ثم قال (٣|٢٩٦) :

« وأسناده ضعيف » وهذا قصور وتساهل لله نقل المناوي عنه أنه قال : « ضعيف جداً » وهذا أقرب .

وقد روي الحديث بإسناد آخر خير من هذا وهو :

٥٠٢ - « من لم يرضى بقضاء الله ، ويؤمن بقدر الله فليلتمس إلهاً غير الله » .

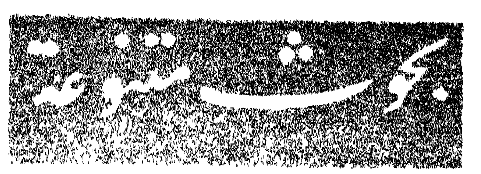
ضعيف جداً ، أخرجه الطبراني في « الصغير » (ص ١٨٧) وكذا في «الأوسط» ومن طريقه أبو نعيم في « اخبار اصبهان » (٢/٢٢٨) والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/٢٢٧) من طريق سهيل ابن عبد الله عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس ابن مالك مرفوعا . وقال الطبراني : « لم يروه عن خالد إلا سهيل » .

قلت : وهو ضعيف عند الجمهور ، وقال ابن حبان :

« يتفرد سهيل عن الثقات بما لا يشبه حديث الاثبات » .

والحديث طريق أخرى تقدم قبله ، وثالث لعله يأتي إن شاء الله .

(يتبع) محمد ناصر الدين الألباني



التأميم والمصارف

استهدف « التأميم » نقل ملكية شيء إلى الأمـــة ، وذلك بإشراف الحكومة وتوليها إدارته نيابة عن الأمة ؛ والحكومة بحكم ولايتها العامة وقيامها على المصالح العامة هي التي تنتزع هذه الملكية وتنقلها لاسم الأمة ، وربما كان لقاء تعويض عادل وبالشروط التي تراها موافقة لقدرتها ومصلحتها الحكومية .

والملكية (بنظرة الفطرة والإسلام) نتيجة طبيعية لغريزة تدعمهـــا الحاجة الشخصية فضلاً عما وراءهـــا ممن تتحـــس بأحاسيسهم ، وتتولى إعالتهم ، والقيام بشؤونهم ، قيام الأب بإعالة أسرته .

وقد بلينا دهراً بالاستعمار ، وتحكم الأعداء وأعوانهم بثروة أمة . . بحكم سلطانهم وسعة ثقافتهم وازدهار حضارتهم .

وهكذا بدأنا ننتزع منهم بسلطة « التأميم » ماسيطروا عليه ، وتحكموا فيه . . مثل شركة الجر والتنوير في دمشق ، والمصرف الذي سمي مصرف سوريا ولبنـان في يوم عابث عهد الانتداب الذميم .

فكان « التأميم » بذلك من آيات الوطنية وكفاح الاستعمار وانتزاع الحق من براثنه .

وكانت الفرحة الكبرى (للعالم العربي كله ولإخوانه وأنصاره) يوم تأميم قناة السويس .

وقد كشر الاستعمار يومئذ عن أنيابه ، وأعلن حربه ، وهزمه الله ورده على أعقابه ، وأنقذ مصر من تجديد احتلالها ؛ وصفقنا (للتأميم بحدوده هذه) تصفيقاً للنصر بهزيمة الاستعمار وجيوشه الصليبية المتصهينة (الفرنسية والانجليزية والاسرائيلية) .

وكانت للحياة الاقتصادية في مصر أوضاع منكرة تمكن منها أخطبوط الاستعمار وبلغ حد التجارة باللقمة حتى في أقصى القرى النائية ..

وكانت خطة جديدة موفقة في مصر (عربت المصارف) الأجنبية ، وحفظت للوطن مصالحه ومنافع شعبه ، بالمساهمة والادارة والاشراف ، كما حفظت حرمة لغته العربية في البلد العربي نفسه .

وكان لسورية الى جانب ذلك أوضاع تتناسب مع هذه الخطة إلى حد مقبول .

ولكن انصراف الخطة (السائدة) عن كفاح الاستعمار وتجميع القلوب ، وتحطيم الحدود وتعزيز الوحدة العربية ، إلى ماتوهمت فيه إصلاح الوضع الداخلي وترسمها خططاً يسارية قد جعل « التأميم » ينتقل بأوسع حدوده وأثقل قيوده ، إلى أن يكبل نشاط أمة ، ويزعزع الثقة ويقتل الطموح ويحاسب الافراد ، على الأنفاس في أعمالهم ومواردهم وأرزاق عيشهم ، فخيم اليأس وانتشر العسر ، وتحطمت الآمال حتى هبت من جديد ، فاسترجعت السلطة ممن مكر بها ، وأعلنت حق الأمة بالحرية والحياة الكريمة والنشاط الحر ، والمبادهة الفردية والرزق الحلال والمكاسب المشروعة ، ومازلنا في فترة لا تكفي لإعطاء الحكم

الجازم ، ولا نزال في مراحل من التقليد والتجربة ومحاولة البحث لاختيار ما يناسب أوضاعنا العامة .

وها نحن اليوم نقف على أبواب الفصل بالنظر في « قانون تأميم المصارف » ، وأراني أقف وقفة قصيرة حيـال ذلك ، تعلن حق الفرد والشركة بالحرية في النشـاط الاقتصادي وصيانة الملكية والمكاسب المشروعة ، وإن كانت لا تستنكر « التأميم » في مثل تحرير الوضع الاقتصادي العام وحماية المصلحة العامة ، بل مـا أسلفت من الثناء على الخطوات الاولى التي حررت مصر إلى حد بعيد ، وأجدني في موقف التساؤل : هل تعتبر قضية « المصارف » قضية حرية فرد وشركة وصيانة للملكية والمكاسب المشروعة والنشاط الحر والمبادهة الفردية ؟ أم أنها تمس الوضع الاقتصادي العـام وترتبط بالمصلحة العامة ارتباطاً مباشراً ؟ !

وهل المصلحة الخاصة فيها واجبة الصيانة ؟ أم أن المصلحة العامة توجب تقييدها أو تأميمها ؟ !

إن « المصارف » تتولى تجميع الأموال المدخرة بالاستيداع والاستقراض لتعطيها بالاقراض لقاء « الفائدة » .

و « الفائدة » في شرعتنا الاسلامية محرمة ، قليلها وكثيرهـا على حد سواء « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون » ، وليس هنا مجال تبيان العلة والأحكام في ذلك مسهبة ، وإنما حسبنا من النظر أن نعلم بأن الأموال التي تستقرض بفائدة قد تذوب مع الفائدة بمشروع خاسر ، فكيف نضمن « الربح » ونحفظ « رأس المال » لصاحبه ، في مثل هذه المشاريع التي خسرت ، فضاع ذلك كله مع ما ضاع معه من (١) جهد الإدارة (٢) مجهود العمل (٣) ما استخدم من مواد الطبيعة ؟ وهي العناصر المتفاعلة في الحقل الإقتصادي أبدا ، وعنها يتولد « الإنتاج » الذي تتقاسم نصيبها منه كل من هذه العناصر المنتجة ؟ !

وإن سهولة الاستقراض ــ (بهذا الاستدراج من التيسير) مع طموح الآمال بالربح أضعافاً كثيرة ، والإستئثار به ، قد يرفع درجة حرارة الحركة الاقتصادية (بمشاريع) وأعمال فردية أو لشركات ، فإذا بهـــا كدرجة حرارة الحمى تنتهي بآلام من الخسار والأزمات التي لا يحتملها الكيـــان الاقتصادي ، فيفسد هذا النشاط القائم على الأساس الواهن ، ولا يصلـــح وضع الأمة به حتى ينتكس وينتهي دائماً « بالأزمة الاقتصادية » العامة بل والسياسية والاجتماعية ، ولعل معظم الافلاسات تبدأ من هذه النقطة . . .

وبالمقابل يستدرج المستقرض صاحب المال (ويرهن) لديه ما يرغب هذا المقرض بالإقراض ، ويضيع المستقرض حكمة التجربة التي تقول : (بع ما تريد أن ترهنه) ، لأنك تأخذ ثمن المبيع عدلاً كاملًا ما دمت (بالرهن غالباً) صائراً إلى فقدان ما رهنته ؛ وبدل الرهن لا يعدل عادة الثمن الحقيقي لما يرهن .

وقد حرم الإسلام على المرء أن يستقرض ما لا قدرة له على وفائه ، واستنكر في ذلك الطمع المفسد والأثرة ، وفتح للتعاون بين العمل ورؤوس الأموال والعقول المدبرة ، طريق التعاون ، وعدالة الشركات بميزان يتكافؤ فيه المغنم والمغرم في حالتي الربح والخسار ، كأساس مبدئي تصاحبه الإرادة الحرة بنشاط إقتصادي متكامل متعاون متحابب عادل متراحم .

ولو نظرنا حقيقة إلى معظم المعاملات الاقتصادية التي تستفيد بالإستقراض (ولو بطرق ملتوية بمثل خصم الأسناد أحيانا مثلا) ، وكشفنا عنها حقيقتها ، لوجدناها في نظر القانون من ضروب « الاحتيال » طمعاً وإفساداً ، وليست من المعـــاملات القانونية . . . لذلك كانت خطة الاقراض والفائدة مع المصارف خطة فاسدة شرعياً بل وقانونياً واقتصاديا .

وكان لزاماً على المصارف التي تجمع الأموال بمن لا يرغب أو لا يحسن استثمارها بنفسه ، أن تتولى عنه ذلك ، فيكون عمل المصارف عمل الشركات التجارية والصناعية

والزراعية ، كما فعل « بنك مصر » بمشاريعه ، بديل عمل الإقراض والاستقراض والربا المحرم ، لتظل للمصارف غايتها المشروعة وحريتها المنشودة .

وهناك أعمال أخرى للمصارف كفتح الاعتمادات التجارية (وهي من ضروب الكفالة) ، بل وخصم الاسناد (الحقيقية) (وهي من ضروب الجباية والكفالة والاقراض) ، فإن أعمالها يمكن أن تتسع مع تنظيم عمل الصيرفة بحدود مشروعة تتفق والمقاصد الشرعية الاقتصادية ، ومقتضيات الحرية الفردية وعمل المبادهة ، والبعد عن الأعمال الرسمية الحكومية (بما تتميز به هذه الأعمال من الاهمال والخطط العـــامة الرتيبة البطيئة (الروتين) ، فضلاً عما يرافق ذلك من مفاسد سوء استعمال السلطة أحيانا كثيرة بما يعم ضررها أكثر من (الاحتكار ومفاسد الأعمال الحرة) .

وإن المصارف وهي ضمن هذه (الحدود) معوان لنشاط الأفراد والشركات ، تنسجم حريتها مع حريتهم ، غير أن اعمال المصارف بشكلها الحر المطلق ، واتصالها بسياسات حكوماتها حين تكون أجنبية ، تتجاوز دائماً الحد الفردي بحريته ، إلى المصلحة العامة ، مصلحة الوطن بوضعه الاقتصادي العام ، ومن هنا كان « التأميم » لهذه أقرب إلى حماية المصلحة العامة . ولا شك بأن نظرة الاسلام أن « تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة » عند هذا التعارض ، وخاصة إذا عرفنا أن المصارف الربوية (حين تتجنب العمل التجاري والصناعي والزراعي) إنما تتجر بالنقد ، والنقد هو ميزان الحياة الاقتصادية كلها ، فكأنها تتجر بثروة الأمة بل والحكومة وموازنتها بصورة غير مباشرة ، وبذلك تتلاعب بالمصلحة العامة .

يضاف الى ذلك أننا أجزنا « الاستملاك للعقارات » والفناء ، ولا فرق بينه وبين استملاك آخر حين تكون المصلحة العامة واضحة فيه غالبة ، وليست هوى ولا خطة تبدأ الطريق من أوله بحرمان الفرد من حريته وحمـــاية ملكيته ومكاسبه المشروعة لمجرد الحسد « على ما آتاهم الله من فضله » لأهواء يسارية .

وبذلك قد نلتقي إسلامياً في خطوات بنظرات بعض المذاهب الاقتصادية لمنازعها اليسارية ، ولكن مع الفوارق البعيدة بين نظرة ونظرة ، وحدٍ نقف عنده وغاية نستهدفها وهي غير الغاية للنظرات الأخرى وبواعثها الخلقية وحدودها المتطرفة .

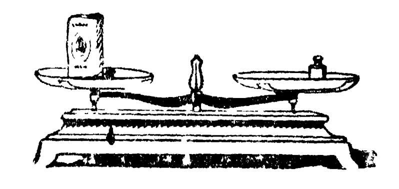
ان المصارف (وخاصة بحكم استخدام العملة الورقية ، ونظام المصرف المركزي الذي تهيمن به الحكومة على التخطيط الاقتصادي العام ومعاملات الأمة) ، قد أصبحت حكما بمنزلة الفرع من هذا الأصل « المصرف المركزي » المهيمن ، فلتكن لذلك المصارف مؤممة ، عدا ما ينصرف منها إلى الأعمال التي تستلزم بالأصل الحرية : حرية الافراد والشركات من الاعمال التجارية والصناعية والزراعية ، على أن لا تستلب هذه المصارف المالية استلابا بما يشبه المصادرة ، بل توفى حقها بعدالة حقه ، وفي ذلك ضمان المستقبل ، ونحن خاصة في اول طريق الحياة المصرفية ، وحكومتنا وشعبنا هو المول الاول ولا يعدل رأسمال المصرف خمس ما يموله شعبنا والحكومة .

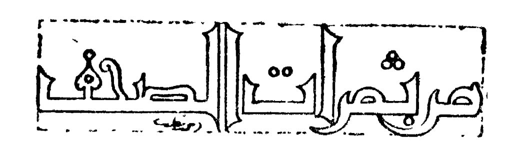
وإن الحكومة بتوليها شؤون المصارف فعلياً بمصارفها الرسمية ، قد انسجمت الى حد بعيد مع مقتضيات النشاط الحر .. تجاريا وصناعياً وزراعياً فلتمض على اسم الله هذه الخطوة المتممة ، ولتسترشد بنظر الشريعة المطهرة في تفاصيل الأمر ، تصبح بعد ذلك بين الدول العربية والإسلامية في العالم كله خير قدوة .

وهذا ما أراه وأرجو أن أكون أصبت وأخلصت النصيحة .

المحامي

محمد بن كمال الخطيب





اخترنا الإسلام دينا

نشر الأستاذ حلمي ابو زيد في صحيفة البلاد ـ السعودية ـ الزاهرة من سلسلة له ، الكلمة التالية :

في العدد الصادر في تموز (يوليو) من عام ١٩٣٤ من مجلة الإسلام « إسلامك رفيو » كتب جون فشر ـ وهو انجليزي اعتنق الإسلام يقول ماترجمته :

« إن تعصب النصرانية كان السبب الأول الذي أيقظ اهتمامي بالإسلام .. فعندما كنت صبياً استمعت الى محاضرة القاها أحد المبشرين النصارى ، كان يصف فيها المسلمين بمصاصي الدماء .. ومضت بضع سنوات عندما أتاح لي الحظ الحسن ان أستمع لمحاضرة القاها أحد المبشرين المسلمين . لقد كان الفرق شاسعاً بين الاثنين لقد أعجبني في المحاضر المسلم قوة احتماله وسعة صدره وهو يرد بسماحة على عشرات الأسئلة التي كان يوجهها له النصارى الذين تركوا الكنيسة خصيصاً لمضايقته أثناء القاء المحاضرة .. لقد أثرت في نفسي كلماته الهادئة واجاباته المفحمة وحطمت إيماني بالنصرانية ..

« في كثير من المناسبات . قبل ان أعتنق الإسلام ـ كنت كلما وجهت سؤالاً في الدين لأحد القسس كانت الاجابة لاتخرج عن حد قوله : « لا أستطيع ان أجيبك .. يجب ان تؤمن دون ان توجه أسئلة .. هذا هو الإيمان الصحيح » أين هذا من الإسلام الذي تتلقى فيه الجواب على أي سؤال ؟

« لقد قالها الألماني العظيم « جوته » بعد ان قرأ القرآن الكريم .. قال جوته « إذا كان هذا هو الإسلام فان كل رجل مفكر يعتبر ـ في الواقع ـ مسلماً . »

ويختم جون فشر كلمته بقوله : « إن الكنائس ليست صالحة للارتفاع الى مستوى الأحداث في العصر الحديث . . إن الإسلام وحده هو الذي يستطيع ان يقدم أي حل لأية مشكلة . . »

ومن الولايات المتحدة الامريكية كتب الكولونيل دونالد ركويل يقول :

لقد جذبني الإسلام بطرق كثيرة . . جذبني ببساطته وبالجو المهيب المهيأ للعبادة في المساجد وبالحماس الذي يدفع ملايين المسلمين في جميع انحاء العالم الى الخمسة نداءات للصلاة اليومية لكنني بعد ان قررت اعتناق الاسلام ، وجدت أسباباً أعمق تؤيد قراري . .

النظرة الناضجة الى الحياة . الحض على الإحسان والرحمة . . الإنسانية العريضة حق المرء في الملكية . . كل هذه وغيرها من سنن الاسلام وتشريعات نبيه كانت من ضمن العوامل التي جعلتني اؤمن بأن الإسلام دين عملي . . وقد أعجبني حديث قرأته لمحمد عليه الصلاة والسلام . . الحديث يقول ، كما اذكر : « اعقل وتوكل » لقد اعطانا نظاماً دينياً لتصرف طبيعي ولم يطلب منا الإيمان الاعمى بقوة تحمينا من اهمالنا . . انه يقول ببساطة : اعملوا كل شيء على خير وجه وابذلوا اقصى جهودكم واتركوا الباقي لمشيئة الله .

التسامح العريض الذي يظهر جلياً في الإسلام بالنسبة للأديان الاخرى يجعله مقبولاً لدى كل المحبين للحرية . . لقد حض محمد عليه الصلاة والسلام المسلمين على حسن معاملة المؤمنين بالاديان السماوية الاخرى . . ولم يطلب الله من المسلمين ان لايؤمنوا بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . . وهذا مالا نجده في الاديان الاخرى التي لاتعترف إلا بأنبيائها . . كما نجد ان التحرر الكامل من الوثنية دليل واضح على قوة ونقاء الإسلام .

إن القرآن يعني بحل مشاكل عصرنا الحديث كما كان معنيا بحل مشاكل العصر الذي ظهر فيه أيام فساد الجاهلية . . والنظافة ؟ . . انه يحض المسلمين على النظافة التامة والصوم شهراً كل عام .

والواقع انني أشعر بالخشوع وانا أقوم بالصلاة في المساجد لما يتوافر فيها من الجو الديني . . لقد صليت في مساجد كثيرة في بلدان مختلفة : في استنبول .. في القاهرة . . في دمشق . . في الجزائر . . في طنجة . . وفي مدن آخرى . . إن الصلاة تقام في جو مهيب يوحي بالإخلاص في العبادة . . انها لاتتم بمساعدة الموسيقى او التماثيل او الصور او الزخارف .

وديمقراطية الإسلام من العوامل التي حببت إلى الإسلام . . ان الفقير والغني والحاكم والمحكوم لهم نفس الحقوق التي لأحدهم . . كلهم يسجدون لله في تواضع حقيقي . . لاتوجد كراسي للايجار ، ولا تحجز مقاعد معينة لبعض الأشخاص كما يحدث في الكنائس .

إن المسلم لايقبل وسيطاً بينه وبين الله . . إنه يتوجه الى الله مباشرة دون الاعتماد على واحد يدعي القوة على تخليصه من الذنوب .

ومن الصعب علي أن أعدد كل العوامل التي حولتني الى الإسلام . . لكن من أهم هذه العوامل الاخوة الجامعة للاسلام بغض النظر عن الجنس او اللون او الوطن او اللون السياسي .

أما « جيوتايلر » فيقول :

« لما كنت غير راض عن كثير من معتقدات الدين النصراني فقد درست القرآن الكريم . . ان الإسلام دين نظيف . . طبيعي . . إنه يضع عبء النجاة من الذنوب على عاتق الإنسان نفسه وليس اعتماداً على تضحية « ابن الله » .

أما الأستاذ عبد الأحد داود وهو ايراني كان يعمل قسيساً ، فيقول :

« إن تحولي للاسلام لايمكن أن يرجع لأي سبب سوى هداية الله القدير . . انه بدون هذه الهداية الالهية قد يؤدي البحث عن الحقيقة بواسطة القراءة والمجهودات الأخرى ـ إلى الضلال . . ومن اللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله وأنا أبذل قصارى جهدي لأسير على هدى الشريعة وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومن اسكتلنده ، كتب داود عمر يقول :

لقد وجدت في الإسلام كل العناصر التي تحقق الاستقرار . . بساطته . . اباحته للعلوم والمعارف والاشكال السياسية للحكومات .

عدم تحيزه لجنس معين أو طبقة معينة . . وتحرره من الألغاز والأسرار . . وامكانياته للمستقبل أعرض بكثير من قدرات أي دين آخر . . لقد وجدت فيه مثلي العليا في الدين والسياسة والمجتمع .

ويقول ب . أ . هانباك : « لقد درست معظم الديانات لكن الدين الوحيد الذي ترك أثراً في نفسي هو الإسلام . . انه يقول ان أي انسان لايمكن أن يصل الى عظمة الله ، في الوقت الذي نجد أن بعض الأديان تصنع من رجال من لحم ودم قديسين يعبدهم الأتباع ويصلون لهم .

« كما ان الإنجيل قد تغير اكثر من مرة ليتلاءم مع الكنيسة الرومانية حتى أنه من الصعب على الانسان أن يؤمن بصدقه . . »

ومن الفليبين كتب حبيب الرحمن جومالون يقول :

« لقد قرأت القرآن الكريم في بادىء الأمر بدافع من الفضول . . لكني بعد أن أسلمت لا أستطيع عن أعبر عن سعادتي . . إنني لا أستطيع تصور هذه القوة الخارقة التي قادتني لدراسة هذا الدين البسيط . . دين الحق والسلام . . ولولا ذلك لكنت ما أزال غارقاً في الظلام والجهل .

إن الإسلام يتفوق على كل الديانات القائمة . . لقد كنت كاثوليكياً ، لكني لم أكن أعير الأمور الدينية أي اهتمام . . والواقع إنني لم أكن – قبل اعتناقي الإسلام – متديناً . . بل انني أعترف أنني كنت أميل إلى الإلحاد . . كان الإسلام نوراً أضاء روحي وقضى على كآبتي . . إنني أشعر بهذا النور في كل تصرفاتي .

« إنني لم أشعر أبداً بالحب والسلام قبل ان أتعلم – عن طريق القرآن الكريم والأحاديث النبوية – واجباتي الحقيقية تجاه خالقي وإخواني . . » ؟

من ثمرات الكتب (★)

المطويات بيمينه

الشيخ - والآن ياحيران بأي آيات الله في مخلوقاته نبدأ ؟

حيران - الخيار لك يا مولاي ، فمخلوقات الله في السماء والأرض أكثر من أن تحصى ، فهل الى ذكرها كلها من سبيل ؟

الشيخ - ليس الخيار لي ولكني سأتبع نهج القرآن الكريم ، واختار ما اختاره فيه العليم الحكيم . فالقرآن يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) ويقسّم هذه النظرة الشاملة الكاملة حين يقول (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ويختار من آياته ، في الآفاق وفي أنفسنا ، أشياء يخصها بالذكر ؛ فمن الخير لنا أن نتبع نفس التقسيم والترتيب ، ولكن لاسبيل لنا ، كما قلتَ ياحيران ، لتفصيل الكلام عن كل شيء من آيات الله ، فلا بد أن نحصر الكلام في نطاق ماخصه القرآن بالذكر ، لنتخذ منه ، كما أراد لنا العليم الحكيم ، منطلقا للنظرة الشاملة الكاملة .

حيران - إذاً نبدأ بآيات الله في الآفاق .

الشيخ - نعم في الآفاق .

حيران - ونبدأ بالسماء .

(★) سبق أن قرظنا على عجل في الأجزاء ٣٣ - ٣٦ (قصة إيمان) للعلامة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي ونقلنا كلمة عنه ، وهذه كلمة ثانية من هذا الكتاب العلمي العميق ..

الشيخ - نعم نبدأ بالسماء ياحيران انرى ، على ضوء القرآن والعلم ، ماهو حظ المصادفة في هذا الخلق العظيم .

يقول الخلاق العظيم في كتابه الكريم :

- (والسماءَ بنيناها بأيْدٍ وإنّا لموسعون) .

- (أوَلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء).

- (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها ومالها من فُروج ٠)

- (الله الذي رفع السموات بغير عَمَدٍ ترَوْنها) .

- (وجَعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) .

- (الذي خلق سبع سموات طباقاً ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارْجعِ البصر هل ترى من فُطور) .

- (أأنتم أشد خَلْقاً أم السماء بناها رفع سَمْكها فسوّاها) .

- (إنّ الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا) .

- (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) .

- (والشمسُ تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمرَ قدرناه منازل حتى عاد كالعُرْجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون) .

- (فلا أقسِم بمواقع النجوم وإنه لقَسَمٌ لو تعلمون عظيم) .

فتعال ياحيران ننظر ، كما أمرنا الله ، وعلى ضوء العلم ، إلى مافي هذه السماء من شيء مخلوق بلا تفاوت ، وبنيان مشيد بلا عَمَد ، وسقف محفوظ بلا فطور ، وسَمْك مرفوع بلا فُروج ، وإلى ماهي عليه هذه السماء من سعة تستحق أن يقول عنها خالقها بكل جبروت الألوهية : (والسماءَ بنيناها بأيد وإنّا لموسعون) ، والى مافي بنائها من نجوم لاتعد ولا تحصى ، وما لهذه النجوم من (مواقع) تستحق أن تكون محلاً للقسم العظيم يُقسمه الخلاق العظيم .

بماذا أحدثك عن سعة السماء ياحيران ..؟ إن السعة التي عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذي نزل به القرآن .

أنت تعلم أن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ الف ميل (أو ٣٠٠ الف كيلو متر) أي أنه يقطع في الدقيقة (١١ مليون و ١٦٠ الف ميل) ، وفي السنة الواحدة من سنينا يقطع (ستة ملايين مليون ميل أو ستة آلاف مليار ميل تقريباً) . وهذه المسافه هي التي اصطلحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليعبّروا بها عن ابعاد السماء الهائلة ؟ فمتى قيل لنا إن نجماً يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل .

فالقمر ، ياحيران ، وهو أقرب الاجرام السماوية الى الأرض ، يصل نوره الينا في أقل من ثانيتين لأن بعده عن الأرض ٢٤٠ الف ميل تقريباً . أما الشمس فيصل نورها الينا في نحو ٨ دقائق لأن بعدها عن الأرض ٩٣ مليون ميل تقريباً فهل تدري ياحيران كم يبعد عنا أقرب نجم الينا بعد الشمس ؟

حيران أذكر اني تعلمت في المدرسة ان نور الشمس يصل الينا في ٨ دقائق ولا أذكر ماقيل لنا عن القمر والنجوم .

الشيخ ـ إن أقرب نجم إلى الأرض يبعد عنها أربع سنوات ضوئية تقريباً ، ومعنى ذلك أنه يبعد عنا ٢٣ مليون ميل تقريباً .

حيران ـ هذا شيء هائل .

الشيخ ـ هذا شيء تافه ياحيران ، فوراء ذلك (النسر الطائر) الذي يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية ، و (النسر الواقع) الذي يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية ، و (السماك الرامح) الذي يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية أي (٢٩٤ مليون مليون ميل) تقريباً .

حيران ـ حقاً ان ذاك شيء تافه ، فهذا هو الهائل .

الشيخ ـ وهذا أيضاً تافه ياحيران ، فوراء ذلك نجوم تبعد عنا الف سنة

ضوئية ، ووراء مجرتنا هذه سدم منها سديم (المرأة المسلسلة) الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية ، ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء . فهل يكفيك هذا ياحيران لتدرك معنى ذلك التوكيد المضاعف الذي عبّر به الخلاق العظيم عن سعة السماء بقوله (والسماءَ بنيناها بأيْدٍ وإنّا لموسعون) .

حيران ـ سبحان الخلاق العظيم ... سبحانه .

الشيخ هذا في سعة السماء ، أما عدد النجوم فبماذا أحدثك عنه ...؟ انهم في الماضي كانوا يعدون النجوم بالألوف ، ثم صاروا يعدونها بالملايين ، ثم وصلوا الى مليارين . أما اليوم فانهم يقدرّون عدد النجوم في المجرة التي نحن من عالمها بثلاثين ملياراً .

حيران ـ ثلاثون ملياراً في مجرتنا وحدها ؟

الشيخ ـ نعم ثلاثون ملياراً في مجرتنا هذه التي تسمى عندنا (دَرْب التبّان) وتسمى عند الافرنج (الدوب اللّبنية) . وهذه المجرة ، التي يقع نظامنا الشمسي كله في طرفها ، يوجد وراءها عالم السدم ومن جملته سديم المرأة المسلسلة ، بل عوالم السدم التي رأوا منها حتى اليوم بآلات التصوير (٥٠٠) الف سديم ثم قالوا لو تقدمت هذه الآلات وازدادت اتقاناً لرأينا أكثر من مليون سديم .

حيران ـ ياللهول . سبحان الخلاق العظيم .

الشيخ ـ وعن مواقع النجوم بماذا احدثك يا حيران ...؟ لقد رأى العلماء أن لهذه النجوم مواقع لا تتبدل ولا تتغير ، فظنوها ثابتة ، وسموها (الثوابت) ، ومنها شمسنا . وما هي بثوابت ، كما حقق العلماء في هذا العصر ، بل كلها تدور وتجري ، لمستقرٍّ لها ، في مجريين مختلفين ، متداخل احدهما في الآخر ، كأنها فوجان من النحل مختلطان . ولكن هذا الجرْي يتم ويستمر في مواقع ومدارات لا تتبدل ولا تتغير بنسبة بعضها الى بعض على كر الدهور بذلك النظام العجيب الذي كان محل القسَم العظيم .

حيران ـ والشمس تجري معها أيضاً ؟

الشيخ ـ كيف لا والشمس نجم من جملة نجوم هذه المجرة . انها تجري مثلها ومعها أيضا ساحبة ً ورائها موكبها من السيارات ومن جملتها الأرض .

حيوان ـ فرّج الله عنك يا مولاي كما فرجت عني . فقد كان العلم يؤكد أن النجوم ثوابت ، وان الشمس ثابتة ، وكنت أجادل مشايخي في معنى قوله تعالى (والشمسُ تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (وكلٌ في فلكٍ يسبحون) .

الشيخ ـ ألم تتعلم يا حيوان ، من كل ما قررته لك ، ان حقائق العلم لا يمكن أن تتنافى مع حقائق الدين الحق . ان النجوم كلها تدور وتجري والشمس معها تدور وتجري . انهم عرفوا ، من قبل ، انها تدور على محورها مرة في مدة ٢٦ يوماً ، ولكنهم كانوا يحسبونها ثابتة لا تنتقل ولا تجري ؛ أما اليوم فقد ثبت لهم ، ثبوتا لا ريب فيه ، انها تجري ، وإن النظام الشمسي كلّه يجري في السماء كما تجري كل النجوم في مجرتنا وفيما ورائهـا جريا عجيباً لمستقرّ لها كما قال القرآن .

ومن مواقع النجوم عرف العلم ان لها أقداراً ثابتة مقدّرة بحسب نورهـا وعددها : عدّوا منهـا في الماضي البعيد ستة اقدار ووقفوا ؛ ثم ما زال العلم يكشف الجديد حتى وصلوا الى القدر العشرين ، ثم الى القدر الحادي والعشرين . والعجيب في هذه الأقدار انها تسير مترقية أو متدنية بحسب عدد النجوم تارة ، وبحسب قوة نورها أخرى ، في نسب مدهشة تطّرد في عدد النجوم فتزداد تباعا من قدر الى قدر ، فيكون عدد نجوم القدر الأول ١٤ نجما ثم لا يزال يزداد حتى يبلغ في القدر العشرين ٧٦ مليون نجم ، ويبلغ في القدر الحادي والعشرين ملياري نجم . أما في قوة النور فالعجيب أن قوة النور في تلك الاقدار تزداد باطراد من القدر الاول الى القدر العاشر ، فكلما زاد عدد نجوم القدر زادت قوة نور نجومه ؛ وأما بعد القدر العاشر فتنعكس الآية وتأخذ قوة النور في التضاؤل .

وترى مثل هذا "التناسب" بين الابعاد في عالم الشمس . فأنت تعلم أن في المجموعة الشمسية ثمانية كواكب غير منيرة تدور حول الشمس : أصغرها عطارد ثم المريخ ثم الزهرة ، فالأرض فأورانوس فنبتون فزحل فالمشتري ، ثم بلوتو الذي كشفوه منذ ثلاثين سنة (وهو كوكب شاذ في صغر حجمه وفي بعده عن الشمس فلا يصلح أن يكون سببا قاطعا لإبطال النسبة العجيبة التي سأذكرها لك عن بعد الكواكب من الشمس) .

هذا في ترتيب أحجامها ، وأما بعدها عن الشمس فالكواكب تأتي على ترتيب آخر : فأقربها عطارد الذي يبلغ متوسط بعده عن الشمس ٣٦ مليون ميل ، ثم الزهرة ومتوسط بعدها ٦٧ مليونا ، فالأرض ومتوسط بعدها ٩٣ مليونا ، فالمريخ وبعده ١٤٢ مليونا ، فالمشتري وبعده ٤٨٤ مليونا ، فزحل وبعده ٨٨٧ مليونا ، فأورانوس وبعده ١٧٨٢ مليونا ، ونبتون ومتوسط بعده عن الشمس ٢٧٩٢ مليونا من الأميال .

وما ذكرتُ لك هذه الأحجام والابعاد لاعرفك بشيء أنت تعرفه ، أو تستطيع أن تعثر عليه في أبسط كتب الفلك ، وإنما ذكرتها لاعرفك بما تنطوي عليه هذه الابعاد من نِسب مقدّرة تدهش العقول : فقد كشف العلماء أن أبعاد هذه السيارات عن الشمس جارية على نسب مقدرة ومطردة تسير وفق (٩) منازل : أولها) الصفر) ثم تليه ثمانية أعداد تبدأ بالعدد (٣) ثم تتدرج متضاعفة هكذا : (٣ - ٦ - ١٢ - ٢٤ - ٤٨ - ٩٦ - ١٩٢ - ٣٨٤) . فإذا أضيف الى كل واحد منها العدد (٤) ثم ضُرب حاصل الجمع بتسعة ملايين ميل ، ظهر مقدار بعد السيارة ، التي في منزلة العدد ، عن الشمس . أي انه بإضافة (٤) الى كل منزلة تصبح المنازل التسع هكذا : (٤ - ٧ - ١٠ - ١٦ - ٢٨ - ٥٢ - ١٠٠ - ١٩٦ - ٣٨٨) . فإذا أخذنا اعداد المنازل هذه وضربنا كل عدد منها بتسعة ملايين يظهر لنا بعد السيارة التي هي في منزلة ذلك العدد عن الشمس . فعطارد مثلًا يبلغ متوسط بعده عن الشمس (٣٦) مليون ميل كما سبق القول .

وبما أن منزلته في البعد هي الاولى فيكون رقمها (٤) . فإذا ضربنا ٤ × ٩ ملايين يكون حاصل الضرب (٣٦) مليون ميل . وهكذا تسير النسبة في بعد كل سيار عن الشمس مع فروق مختلفة قليلة .

ولكنهم حاروا كيف تكون المنازل التي اكتشفوها في تفاوت الابعاد تسع منازل في حين أن الكواكب المعروفة ثمانية . فقد وجدوا أن منزلة العدد (٢٨) ليس فيها كوكب ، بل يأتي ، بعد المريخ صاحبِ العدد (١٦) ، كوكبُ المشتري الذي هو صاحب العدد (٥٢) . فما هو السر في هذا الفراغ ؟ إمّا أن تكون النسبة التي اكتشفوها غير مطردة ، وإما أن يكون هنالك كوكب غير منظور في مرتبة العدد (٢٨) على بعد ٢٥٢ مليون ميل عن الشمس ، أي بين المريخ والمشتري .

ومن عجائب النظام الباهر انهم وجدوا اخيراً في هذا الفراغ الشيء الذي قدّروا انه لابد من وجوده . ولكنهم لم يجدوه كوكباً كبيراً بل وجدوا كويكبات صغيرة كثيرة تدور كلها في الفراغ المذكور الذي بين المريخ والمشتري ، اي في نفس المنزلة التي حسبوها من قبل فارغة .

فهل هذا التناسب في مواقع النجوم وأقدارها ، ومواقع الكواكب وإبعادها ، كله أثر من آثار المصادفة العمياء يا حيران ؟

حيران - زدني يا مولاي من هذه العجائب زدني .

الشيخ - ماذا أزيدك ، خذ لك كتابا من كتب الفلك واقرأه تزدد إيمانا وخشوعاً يا حيران . بماذا أحدثك ؟ أأحدثك عن أحجام النجوم والشموس التي تبهر العقول ؟ أأحدثك عن الأضواء التي تبهر الابصار . . . ؟ وما قولي تبهر كأني أحدثك عن شمسنا .

حيران - إذاً هنالك نجوم أبهر نوراً من شمسنا وأكبر .

الشيخ - وما هي شمسنا هذه يا حيران في نورها وحجمها بالنسبة للنجوم الكبرى ؟ إن نور شمسنا يبلغ بتقدير العلماء (ثلاثة آلاف مليون مليون مليون

مليون شمعة) ؟ ولكن ما قولك اذا عرفتَ ان نور النجم المسمّى (الشّعرى اليمانية) أقوى من نور شمسنا بـ ٢٦ مرة ... وإن هنالك ، في النجوم البعيدة ، شموساً نورها أقوى من نور شمسنا بمئة مرة ...

حيران – يا للهول !

الشيخ وما قولك اذا عرفت ان العلم اكتشف اليوم ان هنالك نجوما نورها أقوى من نور شمسنا بـ ٥٠٠ ألف مرة ... ؟

حيران – يا للهول الهائل !

الشيخ – الهول الهائل في أحجام النجوم الكبرى وأوزانها يا حيران .

فحجم أرضنا هو أكثر من مليرن مليون كيلو متر مكعب . والشمس في حجمها أكبر من أرضنا (بمليون و ٣٠٠ الف مرة) . لأن متوسط قطر الأرض هو (١٢٧٥٦) كيلو متراً في حين أن متوسط قطر الشمس هو (مليون و ٣٩٠ الف) كيلو متر . فتكون نسبة قطر الأرض الى قطر الشمس كنسبة (واحد إلى ١٠٩) . ومن المعلوم أن أحجام الكرات تتناسب وكعوب أقطارها . فيكون حجم الشمس (١٠٩ مكعبةً) أي (مليون و ٣٠٠ الف مره) أكثر من حجم الارض .

وأرضنا هذه وزنها (خمسة آلاف مليون مليون مليون) طنّ . أما الشمس فلا أستطيع أن أقول لك كم وزنها ، ولكن أقول لك ان كتلة الشمس (masse) أي وزنها أكبر من كتلة الارض بمقدار (٣٣٢ الف) مرة . فاضرب وزن الارض بـ (٣٣٢ الف مرة) وانظر هل تستطيع أن تقرأ حاصل الضرب ؟

والآن بعد أن عرفت حجم الشمس وقطرها وزنها بالنسبة إلى الارض فإني مخبركَ ان قطر النجم المسمى (منكب الجوزاء) هو أطول بـ ٤٦ مرة من قطر الشمس فيكون حجمه إذاً أعظم من حجم الشمس (بمئة مليون مرة) تقريبا .

حيران – يا للهول الهائل !

الشيخ – وهذا أيضاً ضئيل وتافه بالنسبة إلى حجم (سديم المرأة المسلسلة) الذي يضرب العلماء مثلا ، ليعرفوك بالفرق العظيم بين حجمه وحجم الشمس ،

فيقولون لك : (هذه الهباءة من الغبار التي تراها في شعاع الشمس النازل من الكوّة إلى أرض غرفتكَ كم هو حجمها ووزنها تلك الهباءة ، بالقياس إلى حجم الأرض ؟ هكذا حجم شمسنا ووزنها بالقياس إلى سديم المرأة المسلسلة . وحقّ لهم أن يضربوا هذا المثل ، فأن كتلة سديم المرأة المسلسلة أي وزنه يفوق قدر كتلة الشمس بنحو (الف مليون مرة) . أمـا حجمه ، يا حيران ، فأعظم بكثير . . . فلكي تعرف مـا هو حجم سديم المرأة المسلسلة بالنسبة الى حجم الشمس يجب أن تعرف مقدار قطره بالنسبة لقطر الشمس الذي سبق معك أن طوله مليون و ٣٩٠ الف كيلو متر . فهل تدري كم هو طول قطر سديم المرأة المسلسلة ؟ إنه يبلغ نحو ٣٠. الف سنة نورية . . . أي ان حجم هذا السديم يبلغ قدر حجم الشمس (مليون مليون مليون مليون مليون مرة (أو الف مليار مليار مليار مرة .)

حيران – يا للهول الهـائل . . . سبحان الله العظيم . . . كيف تقف هذه الأحجام والاوزان الهائلة في الفضاء بهذا التوازن العجيب ؟

الشيخ – يجيبك القرآن عن هذا فيقول لك (اللهُ الذي رفـع السموات بغير عَمَدٍ ترونها) ويقول لك (ان الله يُمْسِكُ السموات والارضَ أنْ تزولا) . أما العلم فيقول ان هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية ، التي شاهد العلماء آثارها ، وأحصوا أطوارها ، ومسّوا سطوحها ولم يسبروا أغوارها ، وعرفوا قوانينهـا ونواميسها ولم يعرفوا ، بعدُ ، أسرارها . . .

ولعمري أنه الحق ما قالوا . فالجاذبية حق ، وقوانينهـا المحسوبة المتزنة المتناسبة المُحكمة الدقيقة حق . ولكن هل يكون القانون الدقيق المحكم أثراً من آثار المصادفة العمياء يا حيران . . . ؟

(وما قَدَروا اللهَ حقّ قدْره والارضُ جميعاً قبضتُه يوم القيامة والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) .

****

في رياض الشعر



أفراح الجلاء (★)

للأستاذ بديع المعلم

ألا كم تغنى باسمك السمح ملهم ... وكم رقصت في يوم عيدك أنجم

تجر بنات النور أذيال شهبها ... لعينيك سوريا ، وللبغي مأتم

فما طأطأت تلك الجبال بهامها ... وما قرّ للباغي حماك المحرم

وما رقدت تلك الجفون على القذى ... وما هزها إلا الفخار المكرم ...

لك المجد والعلياء يا مشرق السنا ... فما منك غير « البيت » أغلى وأكرم

رياضك جنات تسيل عيونهـا ... وإن داسك الباغي الكنود جهنم

حنانيك سوريا فباسمك كم شدا ... عميد . وكم ناجـاك صب متيم

وإن ينس لا ينس الشبول عرينهم ... إذا ما تقضى ضيغم هب ضيغم

ولو أنصف العرب الأباة لنضدوا ... لك التاج مرفوعاً من الدر ينظم

بلوت الليالي وهي نكباء ، فارتمت ... عياء وعود الشام أقوى وأقوم

لك التضحيات البكر في كل جولة ... فمـا جولة إلا وبأسك أعظم

وما زلت أنت الأم تحضن وُلْدَها ... ولا فخر أن كانت بأيديك تدطم

سهرت وهذا الشرق في المهد راقد ... ولولاك ما هبت رقود ، ونوم

صمدت إلى الباغي بكل كتيبة ... لها من جنود الحق جيش عرمرم

بكل فتى شاكي السلاح وأعزل ... على حده المشـآر صلوا ، وسلموا

(★) المجلة : نظمت بتكليف المركز الثقافي بادلب وألقيت في حفلة أقامها .

حملت لواء الحق يحدوه بارق | يخط سبيل المجد زهواً ، ويرسم
فلقنته درساً فلم ينس عهده | وعلمت وحش الغاب! ما ليس يعلم
فعادت فلول البغي تستر عارها | بنود أهينت بل فخار محطم
أيبهظك الوغد الأثيم ملاوة | أبا لسوط ، والمهماز والنار يحكم ؟
ألا فاركلي الطاغي، وثلّي عروشه | سيُظلَمُ حتماً كل من ليس يَظلم
ألا واصفعي بالقيد هامة رأسه | فما يعرف الحق المقدس مجرم
هنا عرس سوريا أقيم ، فهللي | غلا المهر سوريا لعمري - هو الدم
شفيتِ غليل الثأر من كيد غاصب | وما الحق مهما حاول البغي-يهضم
سلي البغي: هل هذي الديار عرفتَها | فماذا ترى بعد الحقيقة يزعم
فيا أمة العرب الأباة شهادةً | فما عرف التاريخ غيرك يرحم
وبوركتِ سوريا هدمتِ قلاعهم | وعلمت ظفر الذئب كيف يقلم
وأسفرت عن وجه أعز من الضحى | وسار كلص وجهه متلثم
هو الغدر لايهوى النهار ، وإنما ... | ليعمل - كالخفاش - والليل مظلم
إذا كان صوت الحق يندى فصاحة | فلا ريب أن البغي أبكم أعجم
خدعنا « بأوربا » وزيف دعاتها | فإن لديها الحق والغي توءم
وما عاد يجديهم ضجيج طبولهم | أيدعو إلى التشييد من راح يهدم
لحنا النيوب الزرق خلف قناعهم | وليس يخاف كل من يتلثم ...
لقد هتفوا باسم السلام تبجحاً | وما أحد من حربهم راح يسلم

★ ★ ★

ألا في سبيل المجد كل مجندل | له في سجل الخلد ذكر معظم
فما عرف التاريخ أسمى بطولة | ولم تعرف الهيجاء أبسل منهم
لهم في ضمير الغيب عرس مخلد | وفي كل عيد مهرجان يُكرَمِ ...
تضيء بطون الكتب من قبساتهم | حتى تكاد من المهابة تلثم . . .
فو الله ما ضاعت هباء دماؤهم | فهم شهبٌ يومَ الجهاد ، وأنجم ...

وليس الجهاد الحق شأن بضاعة يزخرفها من باسمها يتكلم . . .
فلو لا همو ما لاح فجر منور ولا افتر ثغر باسم يترنم

★ ★ ★

مرابع سوريا الحبيبة إنني على كل نجم في سماك أسلم
لك الغد وضاء الطلائع مشرقاً لك الصدر دوماً والمحل المكرم
فبشراك إنا قد بنينا فخارنا وإنا بنو المجد الذين همو همو
مشينا على تلك القيود ، وهذه بقايا قيود المعتدي تتحطم . . .
جزائرنا عادت لنا عربية وعاد قويا ركنها المتهدم . . .
نهوضاً إلى العلياء من بعد رقدة فقد ضيع الأمجاد من راح يحلم
رجوعاً إلى التاريخ في كل موقف هو الام الأجيال وهو المعلم
شيد كما شادوا ونبني كما بنوا فمجدهمو أقوى وأسمى وأعظم
رجوعاً إلى التاريخ ما شئت سمه فيا رب رجعي هو المتقدم . . .
إذ ضيع الأوقات باللهو زارع فعند حصاد القمح لا شك يندم

ادلب : بديع المعلم



« أصلوا »





● استعمال الخلايا الشمسية في الآلات الحاسبة الكهربائية وفي دراسة أمور الفضاء

تقوم شركة أمريكية باستخدام ضوء صناعي في قراءة البطاقات المثقوبة بسرعة عالية جداً وذلك في النوع الجديد من الآلات الحاسبة الالكترونية التي قامت بصنعها تلك الشركة .

وتعمل الآلة بواسطة خلايا شمسية دقيقة جدا ، لا تزيد مساحتها على ١-٨ البوصة المربعة ، تقوم بامتصاص ضوء صادر عن مصابيح صغيرة ثم تحول هذا الضوء الى تيار كهربائي .

وهنا تمرر البطاقة المثقوبة بين المصابيح والخلايا الشمسية في وحدة القراءة في الآلات الحاسبة ، فيقوم الضوء المار خلايا الثقوب الموجودة في مرافق حفظ البطاقات بتنشيط إحدى الخلايا الشمسية المستقلة فترسل التيار الكهربائي اللازم للقيام بعملية قراءة البطاقات المثقوبة .

على نطاق واسع

هذا ، وقد استخدمت الخلايا الشمسية على نطاق واسع في برنامج دراسة أمور الفضاء كمصدر للطاقة الشمسية وذلك في إعادة تعبئة البطاريات الخاصة بالصواريخ .

ان طريقة استخدام الخلايا الشمسية في قراءة البطاقات المثقوبة في النوع الجديد من الآلات الحاسبة طريقها يعتمد كلياً حتى في حالات السرعة العالية للجهاز القارئ والتي تصل أحياناً الى ٨٠٠ بطاقة في الدقيقة الواحدة .

● (الهرمونات) .. في خدمة الزراعة أيضاً !! ..

يسعى زراع الفاكهة في ألمانيا اليوم الى تحسين أنواع محصولاتهم الزراعية لعرضها في الأسواق بصورة تتفق مع رغائب المشترين .. ولما كانت الشمس تعتبر من أهم العوامل في انضاج الفاكهة واكسابها الألوان المطلوبة فقد جد العلماء في بحوثهم لتعويض مفعول الشمس التي يقل ظهورها في بعض مناطق زراعة الفاكهة والاستعانة بالكيمياء من هذه الوجهة . وقد استطاعوا بعد بذل جهود استغرقت سنين طويلة تركيب بعض المواد الكيماوية المشابهة للهورمانات ، التي تستطيع بعد رشها على أشجار الفاكهة منع هذه من كثرة الأزهار وحمل الفاكهة الكثيرة فتنتج حينئذ أنواعاً جيدة جداً من الفاكهة كالتفاح والكمثرى مثلاً التي تمتاز بكبر حجمها ولونها الجميل الجذاب .

ويلعب استخدام هورمونات نمو النباتات دوراً هاماً في زراعة أشجار الفاكهة في المناطق التي يقل سطوع الشمس فيهـــا .. وقد أصبح من المستطاع بالاستعانة بالهرمونات توجيه سير نمو الأشجار والأزهار الى حد بعيد المدى ، كما صار من الممكن إبادة الأعشاب الضارة ، وأصبحت النباتات تنمو بسرعة إذا ما عولجت بها وإذا ما كانت لا تتوافر هناك كميات وافية من العناصر الغذائية اللازمة لها . ومن الممكن إكساب الأشجار المتسلقة الاشكال المطلوبة إذا ما عولجت بها ، كما يمكن انقاط الاوراق والاثمار في الوقت الذي يختار إذا ما رشت الاشجار ببعض المحلولات الكيميائية . وقد اكتشفت هرمونات النباتات المعروفة بـ الاوكسينات ، قبل نحو ٣٠ عاماً وصار يعرف اليوم بأن هذه الأوكسينات تتحكم بحياة النباتات الى حد بعيد وأن لها تأثيراً بحيث تكفي منها كميات صغيرة جد الاحداث المفعول المطلوب . ومما يدل على بعد هذا التأثير هو أنه يمكن الوقوف على وجود الاوكسنات حتى وان مزج غرام واحد منها في ٢٠ مليار ليتر من المـاء وتقوم اليوم المركبات الكيميائية المختلفة بخدمة الزراعة وتوجيه نمو المزروعات حسب رغبة الإنسان وبصورة تتناسب مع وجهات نظر اقتصاديات التغذية الى حد بعيد .

● خميرة البيرة[1] تترك آثاراً شافية وايجابية عند معالجة مرضى السرطان !! .

توصل أحد المهندسين الألمان قبل الحرب العالمية الاولى الى اكتشاف مفعول خميرة البيرة في شفاء مرض السرطان فقد لاحظ ظهور أشعة خفيفة من هذه الخميرة أثناء الظلام وتبين بأن المادة الموجودة في خلايا خميرة البيرة هي التي تقوم بإرسال تلك الاشعة ، وقد استطاع اثبات نظريته هذه بعد أن قام بالتقاط صورة هذه الاشعة على لوحة فوتوغرافية واكتشف بطريقة الصدفة مفعول خميرة البيرة في شفاء جرح صغير في يده ، ومن الغريب في الامر أنه استطاع أيضاً أن يكون واسطة شفاء زوجته بها من مرض سرطان الثدي بعد أن يئس الاطباء من ذلك أيضاً ، واستخدم لهذا الغرض كمادات من خميرة البيرة ووضعها فوق النسيج المصاب بالسرطان فتوقف السرطان عن تقدمه وشفيت زوجته وعاشت ما يزيد على سبعين عاماً . وقد سردت ذكر هذا الحادث إحدى قريبات المهندس الالماني المذكور بمناسبة شيء عن بحوث من مرض السرطان في المدة الاخيرة .

وقد تبين حتى الآن بأن معالجة بعض أنواع السرطان بالاشعة أو عن طريق إجراء الجراحات لا تأتي بالفائدة المطلوبة ولا تحصل معها الشفاء . كما وجد أن المعالجة بالعقاقير الكيميائية لا تقضي على الخلايا .. السرطانية وحدها فقط بل انه يلحق الضرر الفادح بالخلايا السليمة أيضاً ، ولهذا فقد بدأ الاطباء والكيميائيون وشركات انتاج الادوية في البحث عن مادة بيولوجية تستطيع إيقاف تكاثر الخلايا السرطانية عند حده واستندوا في بحوثهم هذه على رأي الكثيرين من الباحثين بأن النوامي السرطانية تنشأ اذا ما طرأ تغير على حمض النوكليين الذي تتركب منه نوى الخلايا الجسمية بحيث لا يتم معه تكاثر الخلايا على الشكل الطبيعي المعتاد . وفتشوا هنا عن مادة بيولوجية تستطيع القضاء على حمض النوكليين الفاسد التركيب او تستطيع توليد مادة في الجسم تقوم بتجهيز قوى الدفاع فيه وتحملها على توليد مركبات جديدة تقضي على الخلايا السرطانية .

(١) المجلة : نذكر بأن خميرة البيرة المقصودة هي حبوب ، لا شراب البيرة الأثيم .

وقد انتخبت هذه المادة من نوع معين من خلايا خميرة البيرة وأجريت عليها تجارب جاءت ببعض النجاح ، فقد زرعت خلايا سرطانية كانت قد تمت تنميتها بصورة صناعية ، في أجسام بعض الفيران فوجد أن الخلايا السرطانية التي عولجت بخميرة البيرة قبل ذلك كانت لا تقوى على النمو في أجسام الفيران أو أن نموها يسير ببطء كبير . وقد حقنت الفيران المصابة بالسرطان بخلايا خميرة البيرة فأدى ذلك الى توقف نمو النوامي السرطانية لديها في كثير من الاحوال كما لوحظ أن الفيران المصابة بالسرطان كانت تعيش مدة أطول بعد حقنها بخلايا البيرة بالنسبة للفيران الأخرى التي لم تحقن بها . ومن الغريب في الأمر أنه أمكن الحصول على نفس ذلك المفعول بواسطة حقن الفيران المريضة بالخلايا غير الحية من خميرة البيرة أيضا .

وهذا ما يدل على أن قوة الشفاء الكامنة في خلايا خميرة البيرة يعود إلى المادة البيولوجية الموجودة داخلها لا إلى وجوب الحياة في هذه الخلايا وقابليتها للانقسام .

بيد أن عامل الشفاء الحقيقي في خلايا خميرة البيرة لا يزال مجهولاً حتى الآن ، ولكنه يمكن عزو نجاح الباحثين الألمان هذا إلى اكتشافهم بأن تركيب خلايا خميرة البيرة الكيمياني يدخل التغيير على خلايا السرطان مما يساعد على التحكم في نمو هذه الأخيرة . ولربما يعود السبب أيضاً إلى كثرة وجود الفيتامين « ب » في خميرة البيرة ، ذلك الفيتامين الذي عرف عنه أنه يحدث تأثيراً في تلك الأعضاء الجسمية التي تقوم بفوز مواد مكافحة لجميع السموم التي تسبب المرض في جسم الانسان . وقد صار يعتقد الآن بأن المضادات للحيوية باستطاعتها أن تقوم بإعادة لتوازن البيولوجي إلى الجسم ، فيؤدي ذلك إلى شفاء حالات السرطان العسيرة يضا . ولربما تكون البحوث الألمانية قد استطاعت الآن إيجاد الطريق الصحيح لى مكافحة مرض السرطان .

● الكون وحدوده

نشرت الأيام الدمشقية (العدد ٧٢٥٠) الكلمة العلمية التالية للأستاذ عبد الوهاب السمان:

ما هو الكون . . وما هي حدوده ؟

منذ خلق الإنسان وهو يفكر في هذا السؤال ويحاول أن يلمس الجواب عليه . ما الفلكيون فقالوا إن الكون نهائي ، بينما زعم جماعة العلماء أنه لا نهائي ، ودلل كل

من الفريقين على رأيه بما اجتمع لديه من حجج ، فقال الأولون لو لم يكن الكون نهائياً لكانت السماء كلها شعلة من نار لأن أشعة النجوم كانت تنفذ الينا من كل بقعة في الفضاء مهما يكن بعدها عنا ، وعارضهم العلماء فقالوا انه لو كان نهائياً لطافت بأنحائه الأشعة الضوئية ثم ارتدت إلى مركزها .

ويظل الفريقان يتنازعان الإجابة بأدلة فلسفية ومنطقية ، ويتدخل فريق ثالث فيقول إن الكون نهائي وغير محدود أي انه يمتد إلى ما لا نهاية وإن كان محدوداً في جزيرة الكونية التي تقدر بمليوني جزيرة كونية على الأقل ، فما هي الجزيرة الكونيه ؟

الجزر الكونية

يرى الفلكيون والعلماء أن الفضاء الكوني مثل محيط عظيم تشغل بعض أجزائه مواد مخالفة لطبيعته ، كما تخالف طبيعة الأرض طبيعة الماء ، إلا أن الجزيرة الكونية تخالف الجزيرة المعرية فهي ليست جزءاً واحداً بل تتألف من عدة أجزاء تخضع لنظام واحد فكل ما تراه عينك من نجوم هو جزء من جزيرتنا الكونية التي تتبعها الأرض وكل واحدة من هذه النجوم لها عوالم مثل عالمنا الشمسي .

وهذه الجزر مثل – الشمامه المستطيلة – وتدور كل عوالمها حول محور الكرة القصير بسرعة ١٠٠٠ ميل في الثانية ، فتقطع شمسنا رحلتها حول هذا المحور في ٣٠٠ مليون سنة لتعود إلى الموضع الذي بدأت منه بالنسبة لهذا المحور .

أما الجزر الأخرى فبعيدة عن جزيرتنا وإن كنا نعرف أن نورها يصل الينا في ملايين السنين الضوئية وأضعف ضوء نشاهده الآن في السماء بدأ رحلته في الكون منذ ١٤٠ مليون سنة أي ما يساوي ١ إلى ٤٠ من حياة أرضنا .

أقسام الجزر

وتنقسم الجزر إلى نجوم ومجموعات نجوم يغلب عليها الشكل الدائري فبعضها بيضاوي ، وبعضها مثل القرص ، وبعضها بيضاوي بأطراف حادة ، على أن شمسنا ليست أكبرها ولا أقلها حجما ، فبعضها يبلغ حجمه مثل حجم الشمس ٥٠٠ مرة .

وليست كل النجوم مثل شمسنا كتلة واحدة فنصفها تقريباً مزدوج أو ثلاثي ، وهي تختلف في لمعانها وشدة حرارتها وفي لون ضوئها ، فمنها الأزرق والأحمر ، ولو اهتم الإنسان بالنظر اليها لوجد في تناسق ألوانها ما يسحره .

وفي الجزر الكونية مجموعات نجوم تتألف منها أشكال كروية يمثل بعض النجوم فيها المحيط الخارجي للمجموعة ، فإذا اتجهت إلى مركزها ازداد اقتراب النجوم بعضها من بعض ، ويوجد من هذه المجموعات في جزيرتنا ٧٠ مجموعة تتألف كل منها من ملايين النجوم .

الكواكب السيارة

وفي المرتبة التالية للنجوم تأتي الكواكب السيارة مثل أرضنا ، وللشمس عشر سيارات ويقول العالم الفلكي - جينز - إنه منذ آلاف السنين مر بالقرب من شمسنا كوكب آخر أكبر منها حجما ، فلما اقترب انفصل منها جزء بفعل الجاذبية ومنه تكونت هذه السيارات العشر التي بدت أمام الشمس في شكل (السيجار) المنتفخ من الوسط ، وقد برد بعضها وتجمد ولا يزال بعضها غازيا .

ومن هذه السيارات انفصلت توابع أخرى هي الأقمار ، أما السيار المتوسط بين المريخ والمشترى ، فحدث أن دخل في منطقة جاذبية الأخير وتحطم إلى عدة أجزاء لا تزال تدور حول مركزها الأول وتسير في دائرتها حول الشمس .

وقد وقع شبيه آخر لهذا التدخل وهو ما حدث لقمر زحل ، فإنه اقترب من سيارة تحيط بالسيار زحل ، وينتظر هذه النهاية قمرنا فسيأتي عليه وقت يقترب فيه كثيراً من الأرض فينفجر ويغمر ما حولها بترابه .

اليوم أطول من الشهر

ويتنبأ العلماء بأن سرعة دوران الأرض ستخف بعد حقبة طويلة من الزمن حتى تساوي سرعة دوران القمر حولها ، وبذلك يتساوى الشهر واليوم ويصبح طولهما ٤٧ يوماً من أيامنا الحالية ، وتؤثر عوامل المد والجزر من الشمس على الارض فتقلل من سرعة دورانها فيطول يومها على شهرها وعندئذ يبدأ القمر في الاقتراب من الارض حتى ينفجر .

ويتنبأ العلماء لاحد أقمار المشترى بالمصير نفسه ، فقد لاحظوا أنه يقترب من سياره ، فإذا وصل إلى المنطقة الخطرة فإنه ينفجر ويظهر المشتري في السماء محاطاً بحلقة وثمانية أقمار فقط (★)

(★) المجلة : ذكر القرآن الكريم عن زلزلة الأرض زلزالها ، أو عن رجفتها الكبرى الخ وانشقاق السماء وما يتبع ذلك من أحوال وأهوال . . .

● بدأ العمل على سماع الصم بواسطة الأسنان ! فقد توصل كل من طبيب الأعصاب العلم « هانوي بوهاريش » ومساعده طبيب الأسنان العلم .ي . لورنس الى هذه النتيجة جهاز استخدام الأسنان للسمع لأنها تستقبل الاصوات وتوجهها إلى الدماغ بواسطة الاعصاب الموجودة فيها .

الأضراس جهاز استقبال

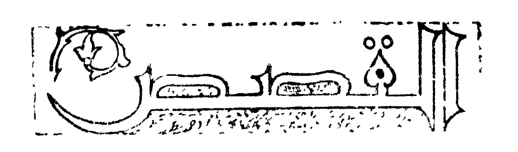
فقد لوحظ لدى الكثيرين من المرضى الذي كانت تحشى أضراسهم بالمعادن ، أنهم كانوا يستطيعون بعد ذلك مباشرة سماع برامج الإذاعة المحلية . وكانت اضراسهم المحشوة تلعب دور مستقبل اذاعي تماماً . وقد أخذ بتزويد الصم بجهاز استقبال دقيق الحجم يستقبل الموجات الصوتية من مكبّر (ميكروفون) صغير . ويجري تركيب جهاز الاستقبال الدقيق في قلب الضرس حيا . ويحفر الضرس قبل ذلك حتى إلى مكان العصب فيه ثم يكسى القسم المحفور بطبقة نصف عازلة تتكون من نفس المادة التي تصنع منها المحولات (الترانسيستورات) ثم يغطى الضرس بطبقة معدنية .

عصب الضرس .. يلتقط

وتقوم هـذه الطبقة المعدنية التي تستلم دور « الهوائي » باستقبال الذبذبات الكهربائية المغناطيسيه وتحولها إلى المادة النصف العازلة المذكورة . ويلتقط عصب الضرس حينئذ هذه الموجات ويحولها إلى موجات كهربائية ويوصلها إلى مركز السمع في الدماغ فيستطيع الأصم سماعها .

● وجهت إدارة التعبئة العامة بدمشق (فرع القوى البشرية) في وزارة الدفاع إلى أصحاب الكفايات العلمية كتاباً أوضحت فيه أهداف قيامها بمشروع حصر الكفايات العلمية في سورية ، وخلاصة الأهداف : تكوين مجتمع كامل لكل فئة من حاملي الشهادات العالية ، ومعرفة الاختصاصات العلمية غير المتوافرة في المجتمع ، ومعرفة توزيع أصحاب الكفايات العلمية ، وتأمين متطلبات القوات المسلحة من هذه الكفايات .

(قلم المجلة)



الطارق

﴿ مهداة الى الشهيد فهيم مسعود ﴾

للأستاذ حمدي رشيد حنبلي

تململ الأستاذ احمد في سريره لحظة وهو بين النوم واليقظة ، إلاّ انه كان لا يزال يتمسك بأهداب النوم ، لعله سمع طرقا على باب حجرته ، انه غير متأكد من انه كان يحلم او أنه حدث واقع بالفعل اذ أنه لا يعرف أحداً ، سيطرق بابه في مثل تلك الساعة من هدأة الليل . لقد ترك مدرسته بعد ان صرف تلاميذه وقام بنفسه في تنظيفها وكتب لمكتب التفتيش في لوائه للمرة الثالثة مستعجلاً الكتب المدرسية إذ أنها بالنسبة إليه مشكلة مستعصية ... فقد مضى على الدراسة أكثر من شهر ... والطلاب لا يجدون كتباً يدرسون فيها .. ترك المدرسة منذ الظهر حيث أن اليوم الخميس ولا عودة للطلبة فيه . .

لقد اعتاد الأستاذ احمد منذ حلّ في هذه القرية الصغيرة ان يأوي الى فراشه بعد صلاة العشاء ... اذ أنه بعد ذلك الوقت لا يجد أحداً يقضي معه بقية وقته ، فهو منفرد في المدرسة ، مديرها وأستاذ جميع المواد والفرّاش وحتى إمام المسجد . حضر دروسه في النهار مستضيئاً بنور الشمس ليتخلص من الرائحة المنبعثة من مصباحه الكازي ولو لا الحاجة إليه لما اشعله مطلقاً في غرفته ، آه لغرفته .. انها بالنسبة له كالسرايا بالنسبة لغيره ، لم يحلم بأن تكون له غرفة مستقلة قط ، لقد ولد لأب

له عشرة من البنين والبنات فكانوا جميعاً ينامون في غرفة واحدة ... لقد رضوا بما قسم الله لهم . إن كل افراد أسرته مؤمنون بربهم . لقد اعتاد تأديةَ واجباته الدينية منذ طفولته ، انه يذكر كيف مرَّ بتجربة التساؤل عن أصل الحياة وماهيتها ومنتهاها . وكان ذلك عند موت جدته ... انه لم يفهم معنى الموت قبل ذلك التاريخ . وكأن التجربة جعلته أكثر خوفاً من الله ... إذ كان يحرص في اعماله على أن يرضي الله .. ماله مرح وهو يوازن بين غرفته والحرية المتاحة له فيها وبين مشاركته لعائلته في غرفتهم الوحيدة . لقد ذاق الأمرين في سبيل الحصول على هذه الغرفة ... انه مسرور بها رغم بعدها عن البيوت ... اعتاد العزلة والانفراد ، وكان يبرر ذلك بالهدوء ... انه لم ينطو على نفسه ... يخالط أهل القرية في حدود معينة لا تجعله ينغمس في حياتهم ...

ما له يسمع الطرق يشتد ! لقد تنبه له أخيراً انه حقيقة وليس حلماً ... يا الله ما الذي حصل ??? .

نفض غطاءه عنه بقدميه واتكأ على ثقله ودار بجسده نصف دورة رافعاً ساقيه مثنياً ركبتيه مقرباً قدميه معاً . ثم انزلهما على الأرض ... وبدأ يتحسس الأرض في الظلام بقدمين حافيتين قد شُدت اصابعهما وانثنيا الى أسفل واصطدمت إحدى قدميه بحذائه ، إلا أن الدق اشتد وازداد عنفا ، فلا بد من الإجابة بنعم !!! أو بمن هناك ?? أي شيء يهدي من روع الأستاذ احمد ويطمئن المنتظر على الباب .

وخيّل للأستاذ احمد انه اجاب بذلك . ولكن الدق استمر ، ولم يستطع أن يمشي في الغرفة من شدة حلكة الظلام فبدأ يلتمس علبة الثقاب تحت الوسادة حتى وجدها فأخرج منها عوداً واشعله فشاع في الظلام نور العود المشتعل وقام الى كوة في الجدار المقابل للسرير فيها مصباحه .. متحاشياً منضدة في طريقه ... وانتهى العود وهو بقرب الكوة فازداد منها اقتراباً بحذر حتى صدمت قدمه الجدار فمد يده في الظلام ناشراً أصابعه الى أقصى ما فيها من طول باسطاً كفه المشدودة ... فاهتزت

بشكل موجة حتى لمس بأصابعه زجاجة المصباح فامسكها بيديه الاثنتين ثم نزل بيده اليسرى الى خزانة الكاز في حين عالجت اليمين زجاجته العليا ، ونزعها ثم وضعها على أرض الكوة ببطء ولم يرفع يده حتى تأكد سلامة موضعها وانها لن تتحرك . ثم رفع يده ثانية تجـاه رأس المصباح ففتله ليرفع فتيلة المصباح ثم ارجع يده اليمنى الى جيبه في حين وضع اليسرى في أسفل الجيب لتساعد اختها ... واخرج علبة الثقاب وأمسكها باليمنى ودفع جارورها بسبابته اليسرى واخرج عوداً منها ثم امسكها بيسراه والعود رجع الى يمناه وحكه بجانبها فاشتعل العود فقربه من المصباح ، فشع نور اضاء الغرفة مثلما يضيء الإيمان قلب المؤمن العابد ثم هز يده يمنة ويسرة بسرعة فانطفأ العود ، أدار اللولب فقصرت الفتيلة ثم وضع الزجاجة مكانها من المصباح ورفعه الى يمينه واتجه الى الباب الذي لا يزال يُطرق بقلب وجل وصاح بلسان متلعثم من وراء بابه : من ؟ ـ دون أن تحرك يده المزلاج ـ ثم اعاد ثانية .

ـ من هناك ؟؟ !! .

ـ أنا .

ـ من أنت ؟

ـ أنا ... افتح ...

إن الصوت غريب عليه وليس هذا بصوت تلميذ في المدرسة أو صوت رجل مألوف لديه ـ انه صوت رفيع ... امرأة ... وما الذي يدفع المرأة الى أن تأتيني ؟

أنا لا اعرف من النساء سوى امي وبناتها وليست هذه أيهن قط . وتحرك المصباح الى يده اليسرى وفتح الباب . فبدا له على ضوء مصباحه وجه امرأة شابة واقفة في الباب ... وعيناها دامعتان ... ملفوفة بالسواد . قالت وعلامات الحياء بادية على محياها : ياسيدي هل بالإمكان ان أبيت الليلة هنـا ؟ ... لقد ضللت طريقي ... وهذا الليل قد انتصف والمكان يخيفني ... الله يستر عرضك ... هلا آويتني ؟ ... ربنا يعمر بيتك ... أنا دخيلة عليك .

لقد دهش الأستاذ أحمد فلم يجبها أو يرد عليها ... وهي لا تزال تقف بالباب تتوسل وتدعو ... والمصباح في يده يتراقص وكاد الهواء ان يطفئه ، فرجع بظهره الى الداخل خطوتين ... فلحقت المرأة به ووقفت تلقاءه وقد انعكس ضوء المصباح على جوانب الغرفة فظهر السرير وقد كوّم الغطاء في ركن منه والمنضدة الصغيرة بقربه عليها صحيفة وبضع دفاتر وكتاب مفتوح تركه قبل أن ينام على حالته تلك وكرسي من القش ملتصق بالجدار المقابل للسرير ، وظهرت جدران الغرفة معتمة وكأنها رمس لم تنله يد حفّار ولم تزره جثة منذ سنين ، وكأن الطلاء لم يعرف طريقه لها قط وبدا السقف (ابوصه) الرفيع المتراص وبالدوائر المنعكسة من فوهة المصباح عليه بما فيها من تفاوت في السعة وشدة الضوء وكأنها شكل هندسي بديع التكوين وكان هذا الشكل يتغير بحسب اهتزاز المصباح في يد الأستاذ أحمد .

قال الأستاذ أحمد المرأة : ما الذي استطيع أن اقدمه لك ؟ ليس عندي سوى هذا السرير فإن احببت فدونك إياه .

– أيّ شيء ... أنا مستعدة لان أنام على الارض بدون شيء . فحسبي أن آوي ه حتى الصباح .

تفضلي ياسيدتي وخذي راحتك فالسرير تحت تصرفك وسأجلس أنا على هذا الكرسي .. واشار الى الكرسي باليد التي كانت تحمل المصباح . فرقص النور في الغرفة وَ المصباح أن يقع لولا أن تلقاه باليد الأخرى فتقدمت المرأة بخطى تبدو مترددة ا السرير وجلست على حافته ، واتجه الاستاذ الى الباب ونظر الى الخارج وتطلع الى الفض وملأ رئتيه هواء بارداً فذهب كل اثر للنوم من جفونه فأغلق الباب واستدار الداخل وبقيت المرأة جالسة على حافة السرير وكأنها تنتظر منه شيئاً .

ووضع المصباح في الكوة وتقدم وجرّ المنضدة الى ناحية الكرسي وجلس ووجد نفسه مدفوعاً الى النظر الى السرير . فوجد المرأة لا تزال جالسة مكانها والت عيناها ... فارتد نظره إليه وهو حسير ... أمسك الكتاب ... وحاول أن يقرأ . . . و . . . . . .

وهنا رفعت المرأة قدميها الى الفراش ويداها ممسكتان بثوبها من الجهتين شادتان الثوب على ساقيها فتجسّم منظر الفخذ وقعدت في السرير وهي على حالها تلك برهة ... ثم اصلحت الغطاء ، ودسّت قدميها تحته ، وامسكت بطرفه بيديها ، ووضعته على خاصرتها ، ثم التوت ناحية جنبها الأيمن وانسحب الغطاء معها .

أما الاستاذ احمد ... فقد اضطرب إذ خالها بمنظرها ذاك عارية ، وبدأ صدره يعلو وينخفض وغدا نهباً للأفكار ... ما لها جلست على حافة السرير ؟؟ . مالها نظرت إليّ على تلك الصورة ؟ ... ما ذا تريد ... هل أقدم ! على ما ذا ؟ معاذ الله ... فرصة العمر أوَ تظنّها صادقة فيما قالت ... إنها حجة واهية ... انهـا تعلم انك تعيش منفرداً ، اتتك طائعة ، هذه حيلة فقط ... لا تخف لن تصدك لو اقدمت : وإن رفضت ، أو استغاثت فكيف تكون سمعتي في البلد ؟ بل كيف سيعاملونني في مكتب التفتيش ؟ أين المثل ؟ أين التربية ؟ سيتناولني الناس بألسنة حداد ، لا لن يكون شيء من هذا ، ... انها راغبة في ذلك ... ألا تراهـا قد رنت إليك كأنها تقول لك تعال .. هلمّ إليّ ... ألست تحب الخير ؟ اصنع معها معروفا... انها أتتك تطلب منك العون ... اخاف الله ... اخاف عذابه ... يا مغفّل هل أنت أول من يفعل ذلك ؟ مالك تحرم نفسك ؟ وأنت ان تذوق مثل طعمها !!! هل تطمع بأن تجد خيراً منها ؟ وهي الصغيرة الجميلة الا تشتهيهـا ؟ ربما تكون بداية علاقة ، إذ ستطرق بابك من اليوم فصاعداً ، وستأتيك بعد أن يهجع الناس ... انك شاب ... أخاف الله . يارب ، قم ولا تتردد .. فرصة ... ياسيدي استغفر ربك بعد هذه المرة ... ! ولا تسمع ... تحرك ... رب اصرف عني كيدهن ... يارب ... رحمتك ... يارب ... يارب كن معي و... يـا ...

إنه لا يزال مضطرباً ساقاه تصطكان بعضها ببعض ، ما له يعض على اسنانه ويعض على طرفيّ شفتيه السفلى بالتناوب ، انه يعمل على زيادة إلصاق ساقيه بعضهـا ببعض ، وكأنه يعصر بينها قطعة من الغسيل مبلولة ... وتحرك في جلسته ، واتكأ على المنضدة

بمرفقه الأيسر . واسند جبهته الى كف" يده اليسرى ، وتحركت يده لتزيد من نور المصباح الكازي ..، ماله لا يشعر برائحة الكاز كعهده السابق ؟ ورجع بظهره الى كرسيه ... فوقع بصره على السرير ، فرده بسرعة وامسك زجاجة المصباح بوسط يمناه ، ثم ارتدت إليه بالفعل المنعكس فأعاد الكر"ة مرة ثانية .. فإذا باضطرابه يزداد ... وزاد ضغط ساقيه بعضها على بعض ... تحرك في جلسته يمنة ثم يسرة ... وحاول الوقوف .. وازدادت دقات قلبه عنفاً وغمغم بينه وبين ذاته ... لا يدري ماذا قال ... إلا أن شفتيه تحركتا بحركات آلية ومسح بيده اليسرى مؤخرة رأسه ، وشعر كأنه يختنق ، فحرك كفه اليسرى الى عنقه ثم الى صدره وتنفس بمنخاريه ... ثم مد يده اليمنى الى المصباح وامسك زجاجته بكل كفه فرجعت بفعل الارتداد العكسي ، إلا أنه أرجعها ثانية وكفه اليسرى ممسكة بمعصم يمناه ... وامسك بالزجاجة فأحس بألم النار ، ومرت في كل جسده رعشة ألم ... فلم يصرخ ومضى يتجرع ألمه في صمت ... يا للحرق ما افظعه ... ربنا ينجينا من نار جهنم وحريقها .

لقد شعر بالنار تسري في عروقه ، يشعر وكأن كفه متخشبة ، ها قد بدأت كفه تحكه ... إلا أنه ما زال يضغط ساقيه بعنف ، ثم علت قدمه اليسرى فوق مشط اليمنى وبدأ الضغط يزداد ... وهنا وضع سبابته اليمنى فوق فوهة زجاجة المصباح ، وجعلها ملاصقة لها ، فسرى الألم في جسده وانتشر في اعصابه إلا" انه لم يتراجع ... وبعد هنيهة ارجعها الى فيه .

سكن لحظة ثم اعاد الكر"ة وسرت في جسده نشوة فرح وشعر بانتصاره على على ذاته في ذلك الألم ... وانشغل بألمه عمّا به وارتخت مفاصله وهدأ قلبه ... وافترقت ساقاه ... وبقي على حاله تلك حتى بزغ الفجر ، فقام الى ناحية من الغرفة حيث كان هناك ابريق مليء بالماء وبجانبه صفيحة فارغة . فحاول أن يمسك الإبريق إلا أنه يده لم تطاوعه في القبض عليه ، فوق أن سبابته اليمنى قد تآكل طرفها وسقط منها بعض جلدها ... وتحمل على نفسه ... فحمله بيده اليسرى وامسكه بساقيه ،

وبدأ يصب الماء على يده اليسرى ، فأخذ الماء بكفه الأيسر ومسح وجهه واكمل وضوءه حتى إذا انتهى منه قام الى النضدة وأخذ الصحيفة من فوقها وفرشها على الأرض بطويقة معينة ووقف على احد طرفيها وتوجه الى الجهة الأخرى من الصحيفة ورفع يده الى أسفل شحمة أذنيه ، إلا أن يده اليمنى لا تزال تؤله ... وارتفع صوته « الله اكبر » وكأنه لحن حزين . . وسكنت جوارحه وهدأت نفسه فقرأ الفاتحة ... وجد نفسه مدفوعاً الى قراءة قوله تعالى : « والسماء والطارق. وما ادراك ما الطارق . النجم الثاقب . ان كل نفس لما عليها حافظ » : وهنـــا تحشرج صوته وسكت وأكمل صلاته .

وقبل أن تبدأ الحركة في الحقول المجاورة غادرت المرأة بيت الأستاذ احمد دون أن يكلم احدهما الآخر . (١)

دار المعلمين - حواره ١٨ شوال ١٣٨١ .

حمدي حنبلي

المجلة : الحيطة واجبة في مثل هذه الحال ، والخلوة بأجنبية محرّمة ، ووسائل تحقيق المعروف عديدة .



(١) هذه قصة واقعية مضى صاحبها الى ربه راضياً مرضيا . فرأيت أن اسجلها كما رواها لي - وفاء لأخوته وذكراه العطرة ...

إن الكثيرين ممن قد شوهت مقاييسهم وقيمهم : يشكون بوجود مثل هذا الرجل ... ولكن صاحبنا عاش رجلاً في زمن عز فيه الرجال ومضى رجلاً وعمر الآخرون وهم قزام ... رحم الله فهيماً وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به وأماتنا على منهجه ...

غارة المستعمرين والمبشرين على العالم الاسلامي

للأستاذ محمود مهدي الاستانبولي

الفصل الرابع

اجتماع رجال التعليم من المبشرين

يشرحون خططهم التربوية الهدامة

المبشر الإنكليزي : نحن اجتمعنا هذه الليلة لتعيين اهداف المدارس والكليات المسيحية والوسائل التعليمية المؤدية الى التبشير . ولنبتهل الى الله في سبيل تعميد نفوس أولئك الشبان المسلمين الذين يترددون على الكليات .

المبشر الفرنسي : حقاً ما تقول فإن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة الى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس الى المسيح ، وتعليمهم حتى يصبحوا افراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية وذلك حتى ينفكوا عن دينهم ويسهل انقيادهم واستعمارهم .

المبشر الإيطالي : هذا هو الصواب ، فإن التعليم حينما يخطو وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه ليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض ، وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء في مأيل الزهو العلمي .. . وإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول : إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي الى مدى علماني محض ، الى مدى دنيوي . مثل هذا التعليم يمكن ان يقوم من الجامعات العلمية لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى الى أهداف استعمارية تحت ستار العلم .

المبشر الامريكي : حقاً لقد أدى البرهان الى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الامريكيون في سعيهم لتنصير سورية ولبنان .

المبشر الإنكليزي : إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير ، وهي بعد هذا واسطة لا غاية فى نفسها (كما قال بعض الزملاء) .

لقد كانت المدارس تسمى بالإضافة الى التبشير : « دق الاسفين » وكانت في الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل الى مناطق كثيرة ، لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل او المبشرون من طريق آخر .

المبشر الفرنسي : وان المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى ، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون له يوماً ما قادة في أوطانهم .

المبشر الانكليزي : وهذا من أعظم ما ينبغى ان تهدف إليه المدارس والكليات التبشيرية كما جاء في توجيهات رجال السياسة والاستعمار لنا . فقد اوعزا لنا أن الاستعمار صائر الى الزوال ، فينبغي أن نسارع الى استعمار قلوب الطبقات الراقية في كل قطر واحتلال عقولهم بالثقافة الأجنبية والفلسفة الاجنبية والآداب الاجنبية ، وكل ما من شأنه تنفير المسلمين من دينهم وابعادهم عن الحياة حتى يشبوا في حرب مع الإسلام ويحكموا بلادهم بدلاً منا وينفذوا مناهجنا وخططنا . وهـذا أفضل أنواع الاستعمار ، فإن حكم الاجنبي يلقى مقاومة من المسلمين لسبب ما يغرسه فيهم الاسلام من عزة وقوة شخصية ، بعكس حكم المواطنين الذين يحملون شعاراتنا ويطبقون سياستنا !

المبشر الفرنسي : من أهم ما اود ان ألفت انتباهكم إليه الاهتمام بأولاد الأغنياء وتعليمهم في مدارسنا التبشيرية والاجنبية ، فانهم لا شك سيتولون الحكم ويكونون اعواناً لنا ينفذون مشروعاتنا !!

المبشر الأمريكي : ومما أحب ان أذكركم به انـه يجب أن يؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار وللصغار ، وبينما يبدو مثل هذا العمل وكأنه غيرية ، ترانا مقتنعين لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية .

المبشر الفرنسي : هذا صحيح ، فإن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ما دام المسلمون مأمورين بتربية أولادهم تربية دينية منذ الصغر ، من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفـــال الصغار الى المسيح قبل بلوغهم الرشد ، وقبل أن تأخذ طباعهم أشكالها الإسلامية !

المبشر الإيطالي : وحذار أيها الزملاء من تعيين معلم مسلم في مدارسكم مهما كانت الحاجة إليه شديدة ، فان الغاية من التعليم في المدارس المسيحية (كما يجب أن تكون) هي تزويد الطلاب باستشراف مسيحي للحياة ، وتمرين لهم على ممارسة المبادىء المسيحية وتقربهم من اختبار شخصي للايمان المسيحي . فكيف يمكن المسلم الامين أن يعاوننا على بلوغ هذه الفائدة ؟ على انه من الممكن الشذوذ عن هذه القاعدة أحياناً بقبول بعض الاساتذة المسلمين الذين تربوا في مدارسنا وقبلوا مبادئنا ، وذلك لإرسالهم الى المدن الداخلية ليشجعوا أبناءها على الدخول في مدارسنا .

المبشر الإنكليزي : واهم ما أحب أن ألفت انتباهكم إليه ضرورة فرار المدارس التبشيرية من المناهج الرسمية التي تعرقل مهمتنا التبشيرية المسيحية وتجعلها مدرسة في عداد المدارس الوطنية ، فتبطل الغاية التي أسسنا مدارسنا من أجلها ، ويضطرنا الى تدريس التاريخ الإسلامي ، وتدريس اللغة العربية ، وكل ذلك من أبغض الأمور إلينا .

المبشر الفرنسي : ان التهرب من المناهج الرسمية من الصعوبة بمكان ، لذا أرى الإفادة من تدريس التاريخ الإسلامي واللغة العربية في تسوية الحقائق والدس على الإسلام وبغض اللغة العربية وبيان عقمها .

وأذكر انني ألفت كتاباً في هذا الموضوع تحدثت فيه عن التاريخ الإسلامي فكان مما قلته :

« الإسلام في القرن السابع للميلاد) برز في الشرق عدو جديد ، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدس قوانين الاخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والنهب والسلب ، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات ، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقية واسبانية فريسة له ، حتى أن إيطالية هددها الخطر ، وتناول الاجتياح نصف فرانسة ، لقد اصيبت المدنية ، ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الاكثر كلاب النصارى ... ولكن انظر ، ها هي ذي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عند بواتيه ،

ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً في سبيل الدين فتدجج أوربا بالسلاح وتنجي النصرانية ... وهكذا تقهقرت قوة الهلال امام راية الصليب ، وانتصر الإنجيل عل القرآن وعلى ما فيه من قوانين الاخلاق السهلة .

وكتابي هذا يدرس في مدارس الارساليات الأجنبية في لبنان ! ..

المبشر الأمريكي : يالك من مؤلف تبشيري ماهر . ولكن ما ذا تقول لطلابك إذا سمعوا كلام الاديب الفرنسي الكبير اناتول فرانسي ، فقد تأسف هذا الكاتب من انتصار شارل مارتل على المسلمين فصرخ قائلاً :

« ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي ، إن انتصاره عليه أخّر المدنية عدة قرون الى الوراء ...

وما ذا تقول في شهادة غوستاف لوبون : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب ».

المبشر الفرنسي : هذا صحيح يازميلي ، فإن الدين الإسلامي هو دين المدنية ودين الإنسانية ، وكلام اناتول فرانس فيه الحقيقة ، ولكن هل نسيت مهمتنا كمبشرين ؟ هل نسيت مهمتنا كعملاء للاستعمار ! ؟

إن الحقيقة شيء وتبشيرنا شيء آخر وهما ضدان لن يجتمعا ! إن اخفاء الحقيقة هو خلاصة مهمتنا ، ومهمتنا الأساسية كلها .

المبشر الأمريكي : دعونا من هذا البحث واسمحوا لي أن أذكركم بقضية الصحفيين المسلمين فإني انصحكم بقبول أبنائهم وبناتهم في جميع أقسام درجات المدارس ، بصورة مجانية وبذلك تشترون ضمائرهم ، وتحولون دون نشر المصلحين لنقدكم وكشف مؤامرتكم ، إذ لا يجدون من الصحفيين من ينشر لهم آراءهم .

المبشر الفرنسي : صدقت فنحن نطبق هذا النظام منذ زمن بعيد ، ولنا من ورائه أهداف كثيرة منها ما ذكرته ومنها أن أبناء اصحاب الجرائد سيستلمون مهام الصحف وسياستها بعد موت آبائهم ، فيوجهونها حسب المبادىء والتربية التي لقناهم إياها.

المبشر الانكليزي : زملائي الأعزاء اذكروا على الدوام أن التبشير لكي يكون كاملاً لا بد أن نتولى نحن المبشرين جميع أنواعه ودرجاته ، فرياض الأطفال مثلاً مهمة جداً لأن التعليم الذي في هذه المدارس يجعلها باباً مفتوحاً للتبشير والتأثير في

عقول الاطفال الغضة ، ثم ان الذين يشرفون على رياض الأطفال يكونون اكثر اتصالاً بأهل الطلاب من الذين يشرفون على المدارس العالية وتتماتها .

المبشر الفرنسي : زد على ذلك ان حيلًا وأساليب تؤثر في نفوس الصغار في مدارس رياض الاطفال لا تنطلي على غيرهم ، اذكر كأمثلة على ذلك أننا كنا نقول للطفل في الروضة قل الى محمد ينزل عليك ملبساً ، فنادى الطفل يامحمد يامحمد ! انزل عليّ ملبساً ، فلا ينزل عليه شيء .

ثم نقول له : قل للمسيح ينزل عليك الملبس .

وما كاد يستغيث الطفل بالمسيح حتى ينزل عليه هذا الملبس من ثغرة في سقف الغرفة اعددناها لمثل هذه الحيلة .

المبشر الدانمركي : ولستم وحدكم معشر المبشرين الفرنسيين الذين تلجؤون الى مثل هذه الحيل ، فإننا نعمد الى مثلها وقت الغداء ، فنخفي للصغير طعامه الذي أتى به أهله ، وحينما يتفقده وقت الظهر ، لا يعثر عليه ، فنقول له لقد سرقه محمد فيبكي ويشتمه ، ثم نحضره له قائلين : لقد أحضره لك المسيح .

وأحياناً نقول للطفل ادخل يدك الى درج المنضدة واطلب من محمد أن يعطيك سكراً فيمد يده ، فتخمش يده فيسارع إلى سحبها مذعورا .

ثم نقول له ادخل يدك مرة أخرى واطلب من المسيح او العذراء ان تعطيك سكراً ، فما يكاد ينادي حتى يوضع السكر في يده من شخص اختفى تحت المنضدة .

وهكذا ننشىء الأطفال على بغض محمد ومحبة المسيح .

المبشر السويدي : (ضاحكاً) بالكم من مهرة في التضليل والدس ، ولكن الا تنكشف حيلكم على الاطفال حينما يكبرون ؟!

المبشر الدانمركي : لا شك انها ستنكشف لديهم ، ولكن بعد أن تترك أثراً لا يمحى وتحرز عقداً نفسية في نفوسهم في بغض محمد والإسلام .

إن كثيراً من عظماء الرجال وقادة الجيوش يخشون من الفأر او الصرصور ، بسبب حوادث طرأت عليهم في صغرهم وتركت فيهم آثاراً لاتمحى .

وكذلك التعليم الابتدائي فهو وسيلة ثمينة للتبشير ، لأنه يمكن المبشرين من أن يثبتوا أقدامهم في القرى تحت ستار التعليم الابتدائي الذي تحتاج إليه القرية في الدرجة الأولى .

المبشر الإيطالي . والمدارس الابتدائية فضل عن الكليات لأنها تمكن المبشر منهم الوصول الى العقول وهي لا تزال تتأثر بما يلقى إليها .

ثم ان المدارس الابتدائية كرياض تساعد على أن يتصل المبشرون بأهل الطلاب ، وأكثر ما وصل إليه المبشرون البروتستانت من النتائج الهامة إنما كان عن طريق المدارس الابتدائية .

المبشر الفرنسي : ان اليسوعيين خاصة ، ليجعلون الصفوف الدنيا في عهدة الراهبات ، لأن الطلاب الصغار هم فسائل (شتول) تغرس فيما بعد الكليات ، فيجب أن تكون هذه الفسائل مطبوعة طبعاً خاصاً ولذا فإننا نحن المبشرين نرى أن الوسيلة التي تأتي بأحسن الثمار في تنصير المسلمين ، إنما هي تعليم أولادهم الصغار !

المبشر الإنكليزي . ومهما كان من خطورة التعليم الابتدائي ، فإن التعليم العالي لا يقل أهمية عن سائر درجات التعليم ، لأنه يساعدنا على الوصول الى الطبقات المثقفة ، (التي ستحكم البلاد في المستقبل وتكون قادتها) بل لعله أهم من هذه المدارس كلها .

المبشر الفرنسي : وكذلك أنشأنا نحن الفرنسيين كلية لنا في مون لاهور في الهند ، وهي عاصمة مقاطعة البنجاب في باكستان .

المبشر الإيطالي : صدقت ، إن كثرة المدارس التبشيرية في الشرق مدعاة للعجب ، فانه من عام ١٩٢٣ كان في سورية وحدها ثمان وثلاثون مؤسسة تبشيرية ما بين انكليزية واسكوتلندية وارلندية وألمانية وسويدية ودانماركية وأميركية طبعا .

المبشر الإنكليزي : إن مجموع عدد التلاميذ في المدارس الامريكية البروتستانتية كان يبلغ عام ١٨٩١ ٧١١٧ ، وإذا أضيف إليهم عدد الطلاب في سائر المدارس البروتستانتيين كان ثمت خمسة عشر ألف طفل في قبضة التعليم الإنجيلي ، وبعد ثماني عشرة سنة أي عام ١٩٠٩ كان للأمريكان وحدهم مائة وأربع وسبعون مدرسة في سورية وحدها منشورة في المدن والقرى .

وانه لمن دواعي الفخر أن هذه المؤسسات التبشيرية مع تقارب ساستها ، ومع كل ما بينها من التنافس ، متفقة على وضع التوراة في العربية بين أيدي الطلاب على أنه كتاب تدريسي أساسي ، كما أنها متفقة كلها للوصول إلى أهدافها في العالم الإسلامي .

المبشر الدانمركي : ولقد استطاع مبشرونا ان يبعثوا أكثر من العداوة بين الطلاب حينما اتبعوا سياسة تقضي باستخدام الطلاب النصارى في مدارسهم وسطاء الى التبشير بين الطلاب المسلمين كما حدث في مصر !

المبشر الأميركي : سقا الله عهداً كانت المدارس الأجنبية تجبر جميع طلابها على دخول كنيسة المدرسة مرة كل يوم ، فقد كانت الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية اليوم) تفعل ذلك فتجبر جميع طلابها على دخول الكنيسة وعلى حضور درس التوراة ، وحضور قداس الوعظ يوم الأحد .

المبشر الإنكليزي : لقد كنا نلقى بعض العنت والتعصب من بعض الطلاب المسلمين ، ففي عام ١٩٠٨ لما أعلنت الحرية اقسم عدد من الطلاب ألا يحضروا دروس الدين المسيحي ، وألا يدخلوا الكنيسة ، وعجزت الكلية عن أن تطردهم لأن عددهم كان مئه وستين تلميذاً ، فاضطررنا الى أن نقصيهم من حضور دروس التوراة ومن دخول الكنيسة معا .

المبشر الأمريكي : ان ذلك كان موقتاً ، فقد كانت الجامعة الأمريكية حتى عام ١٩٢٢ لا تزال تصر على تعليم التوراة في صفوفها إذا استطاعت ، وقد كانت هذه الجامعة ، في العهود الأخيرة تعمد الى شيء ، من الحيلة ، فتخير طلابها بين أن يحضروا صفوف التوراة ، وأن يتلقوا دروسا في الأخلاق .

فإذا اختار بعض المسلمين الواعين والمبغضين دروس الأخلاق، وضعت لهم قصصاً مأخوذة من التوراة ومن اخبار الفرنسيين !!

المبشر الإيطالي : واني أرى أن خير طريقة لجلب هؤلاء المتعصبين من المسلمين ومثالهم الاميون أن نستهدرجهم كأن نبدأ الكلام معهم على قيام عيسى عليه السلام في القرآن الكريم ، فنتكلم مثلا على المسيح بأنه روح الله كما جاء في القرآن .

وان نذكر الشفاعة والجنة ، وما الى ذلك من الألفاظ الإسلامية ، استمالة للسامعين فإذا وثقنا بآذانهم صبتنا فيهم تبشيرنا !!

وقد كان لويس ماسنيون ، استاذ جامعة فرنسة في باريس يحبذ هذه الطريقة وهو الداعية المبشر في قسم الشؤون الشرقية في وزارة المستعمرات الفرنسية !

المبشر الفرنسي : ومن أهم ما أود أن ألفت أنظاركم إليه أن نشاطنا التبشيري لا ينبغي أن يقتصر على مدارسنا الخاصة ، إنما ينبغي أن تعمد للتدخل في سياسة التعليم الحكومي الرسمي عن طريق حكوماتنا بالضغط العسكري ان استطعنا وإلا فباسم البعثات والمعاهدات الثقافية والتبادل الثقافي والمؤسسات الدولية !

ويسرني أن اذكر بهذه المناسبة انه لما فرض الانتداب الفرنسي على سورية عام ١٩١٩ فرض معه منهاج للتعليم الرسمي يساعد المبشرين في أعمالهم واهدافهم بتجهيل المسلمين بتاريخهم وبجغرافية بلادهم ، والاهتمام بتاريخ جغرافية الامة الفرنسية .

ولم يكتف الافرنسيون طوال مدة انتدابهم بأن يساعدوا اليسوعيين في أعمالهم المستقلة بل فسحوا المجال ليكون لليسوعيين نفوذ كبير في توجيه المستشارين الفرنسيين المشرفين على التعليم في منطقة الانتداب ، وخصوصاً فيما يتعلق بالمناهج ومنح الشهادات الرسمية ، وهذا ما جعل هذه المدارس كأنها خاضعة للمبشرين مباشرة !!

المبشر الانكليزي : وقبل ختام مبحث التعليم والتبشير اذكركم ببعض مـا كنا تحدثنا عنه عن الطلاب المسلمين الذين يذهبون الى أوربا وأمريكة لإتمام دراستهم ، فإننا نريد أن نفيد من دراستهم ، فنجعل منهم نصارى بالفعل أو مائلين للنصرانية حتى إذا رجعوا الى بلادهم بعد انهاء دراستهم وتولوا المناصب العليا الرسمية ، قادوا بلادهم قيادة غير إسلامية !

وتطيب هذه الفكرة للمستشرق المبشر والمستشار الشرقي في وزارة المستعمرات الفرنسية ، لويس ماسنيون فيدبج المقالات الطوال ويقول لقومه : إن الطلاب المسلمين الذين يأتون الى فرانسة يجب ان يلوّنوا بالمدنية المسيحية !!

المبشر الامريكي : وهكذا يجب أن نخرج من هذا البحث بهذه الفكرة : اننا نحن المبشرين ومن ورائنا المستعمرون ، نبذل كل جهد لاستخدام العلم والتعليم في سبيل التبشير . غير ان لتبشيرنا ظاهراً وباطناً ، أما ظاهره فدعوة الى سلوك هم لا يسلكونه ، وتلك دعوة على كل حال لم تتم : اننا نحن الذين نريد أن نبشر بالنصرانية بين غير النصارى ، نحن انفسنا عديمي الاحتفال بالدين كله .

وأما باطن التبشير فهو تفكيك أواصر القربى الروحية في الامة الإسلامية حتى يستطيع الغرب ان يحكم الشعوب الإسلامية ويستغل بلادها اقتصادياً وحربيا .

المبشر الفرنسي : (مازحاً) قلها بصراحة يازميلي ان غايتنا نحن المبشرين ليست دينية بل افسادية ، لأن افساد الشعوب يصل بنا الى غايتنا القصوى وهي تمكين الدول الغربية من حكم البلاد الإسلامية .

أما النصرانية فإن الذين يحضوننا من أجل نشرها لا يهتمون بها البتة ، إنما هي من قبيل « دق اسفين » أو وضع جسر نصل به الى غايتنا الاستعمارية وهو كما يقول المسلمون قميص عثمان نقصد من ورائه السيطرة والحكم لا نشر النصرانية ونصرة نصارى المشرق !

إذن غايتنا الأولى والأخيرة إفساد الطلاب المسلمين وتشكيكهم بدينهم حتى يصبحوا لقمة سائغة لأولياء أمورنا من المستعمرين !

المدرس الإيطالي : هل تريدون أن أقول لكم الحقيقة ؟ إننا نستطيع أن نعلن إننا أفلسنا في جميع جهودنا في تنصير أبناء وبنات المسلمين ، فلم نقدر أن نصرح أننا قدرنا على جلب طالب واحد الى حظيرتنا المسيحية .

وهنا خشي أحد أقطاب المبشرين وهو القس زويمر ، أن يدب اليأس إلى نفوس هؤلاء المبشرين فسارع إلى القول : « أيها الاخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

أني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة . . . أما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخف بالاديان لا يبغي غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وآخر يبغي الوصول الى غاية من الغايات الشخصية . ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً - كذا - وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله .

وبالتالي لا صلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها . وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به في خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام . وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة .

لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكان التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الاوربية والامريكية .

والفضل اليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية الى قبول الدير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

انكم أعددتم نشئاً (في ديار المسلمين) لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات .

فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيتم الى خير النتائج . وباركتم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب .

« يفاجأ المبشرون بصوت هاتف ، هو صوت الضمير الإنساني يصرخ فيهم »

صوت الضمير : أيها المعلمون ، أيها المدرسون ، يا من نصبتم أنفسكم قادة لتربية النشء ، وصنع الاجيال !

أية رسالة هذه التي تزعمون ، وأي جهاد مبارك هذا الذي تدعون ؟ ! ، وأين أنتم من المبادىء التي أتى بها السيد المسيح عليه صلوات الله وسلامه ؟ !

كيف تبيحون لهذه النفوس نشر الفساد في الارض بين أبنـــاء البشرية من أطفال وراشدين من الذين استسلموا لكم - جهلا وحماقة منهم ومن آبائهم - لتثقفوهم ، ولا ذنب لهم سوى أنهم غير غربيين ! !

ان هذا الصنيع في منتهى الخسة والدناءة واللؤم !

لقد منحتم رتبة العلم ، وهي أعلى الرتب ، لا تعد بجانبها تيجان الملوك وألقاب الرؤساء والزعماء شيئاً مذكورا !

فما بالكم غدوتم مطية بأيدي رجال الاستعمار يسخرونكم لمطامعهم ، عوضاً من ان تسخروهم انتم لخدمة العلم ونشره ؟ !

لقد خلت قلوبكم من ابسط مبادىء الإنسانية . إنكم استغللتم لبـــاس العلم والتقوى وتظـــاهرتم بالنبل ، واتخذتم المدرسة - وهي من اشرف الامكنة - ودنستم سمعتها ، ونجستم ارضها .

إنكم تحليتم بالطهر والكرامة واخفيتم الرياء والخداع والنفـــاق ، وجعلتم العلم وسيلة لغاية دنيئة ، هي الإستعمار وامتصاص دماء واموال الشعوب الآمنة المطمئنة .

إنني صوت الضمير الإنساني ، جئت انذركم عاقبة جريمتكم ونتيجة خداعكم ، وسأعذبكم بتأنيبي وستردون الى عالم الغيب والشهادة فيجازيكم بما كنتم تكسبون ؟

موظفون
للأستاذ محمد الغزالي (من معالم الحق)

كنت أسير يوماً فسمعت اثنين يتحادثان ، يقول أحدهما لصاحبه : أنا لا أقضي لأحد من الناس عملا إلا إذا شعرت بأن دون ذلك عقبات صعبة التذليل ، وأن مصلحتي معقدة ليس في إمكان أحد حلها ، فإذا أحس بالحرج وأخذ يلح في الرجاء قمت متبرماً متثاقلا ، وأخذت أقضي له مسألته قليلا قليلا ، لكي أطيل عليه أمد بلائه وأستمع إلى شدة رجائه .

حتى إذا ما انصرف أدرك أنني صاحب الفضل عليه ، ووجدت ان في ذلك مايثبت مكانتي ويفخم وظيفتي . وكان صاحبه يستمع اليه وهو يومىء برأسه ، موافقاً على مسلك صاحبه الموظف الأمين على مصالح الجمهور ، ويؤكد أن الناس يستحقون هذه المعاملة ، وإن هيبة الموظف لاتقوم إلاّ بها .

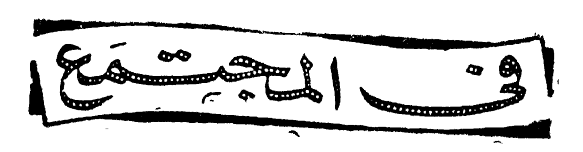
وكنت أستمع إلى هذا الحديث ، وأنا أتميز غيظا ، وقلت : لو أن لي سلطة حكام القرون الوسطى لأمرت بضرب اعناق هؤلاء الذين يأخذون مال الامة ، ليضربوا أبناءها ، ويهدروا حقوقها ، ويكبتوا مشاعر الأنفة والإباء فيها .

عقلاء
للأستاذ ياسر نصري

بينما كان خروشوف وكنيدي يتجادلان حول التجارب الذرية وضرورة العودة لإجراء تلك التجارب أو منعها فوق وتحت الارض دخل جحا يحمل زقاً من الزيت وجلس يستمع لحديثهما ، فاتفق الزعيمان على أخذ رأيه بالمشكلة وحلها ، فقال لهما جحا : تريدان رأيي : وأخرج من جيبه سكيناً وشق زِقّ الزيت قائلا لهما :

يجري دمي مثل هذا الزيت إذا كان فيكما ذرة واحدة من العقل ! ففغرا فاهما من العجب وقالا معاً ماهو دليلك ؟ قال جحا : لأنكما ستسممان الهواء وتقتلان البشر بحمقكما : والافضل : أن تعودا للعصور الاولى : فيبارز أحدكما الآخر فيموت أحدكما ويسلم جميع البشر من شركما .

وعندئذ عولا على رفع رأي جحا إلى مجلس الامن ليسقطه أحدهما بالرفض (بالفيتو) .



في المجتمع

- أثارت زيارة المستر جونسون مندوب لجنة التوفيق لسورية مؤخراً مشاعر أبناء فلسطين العربية في سورية فأعربوا للحكومة عن تمسكهم بالعودة بدون قيد أو شرط ، ورفض مبدأ التعويض ، لأن التراث العربي بفلسطين لا يقوم بنقد أو تعويض ، وقد أرسل اللاجئون الفلسطينيون برقية الى المستر جونسون في فندق سمير أميس ، يؤكدون فيها حقهم الطبيعي في العودة الى الوطن المغتصب ، ورفض كل تسوية لا تحقق كامل الحقوق السياسية والاجتماعية لعرب فلسطين في وطنهم السليب ، ورفض جميع ما يعرض عن مشاريع التوطين والإسكان .
- أجريت في دمشق عملية جراحة لآنسة انقلبت بعدهـــا ذكراً ، وقد كانت تبدو عليها بعض العلائم التي تدعو للشك في أنوثتها . .
- ألف المجلس الأعلى للعلوم اللجان الفرعية التالية : اللجنة الكيميائية ، والرياضية والكهربائية ، والبيولوجية والزراعية ، والهندسية .
- ظهرت فجأة في جملة من مدارس واشنطن محاولة جديدة تستعيض عن الرؤية بالسمع في تعلّم الكلمات الجديـدة ، إذ تستبدل بطريقة تحفيظ الكلمات برؤية أشكالها ، طريقةَ سماع الأصوات الدالة على الحروف ... ويبدي المعلمون الأمريكيون استنكارهم للطريقة الجديدة ... ولا ندري بعد الصراع لمن تكون الغلبة .
- زار دمشق وفد يمثل جمهورية نيجر الإفريقية برئاسة السيد كرمو بركونيه وزير المالية وعضوية السيد اديلو بو بكر وزير العدلية وأربعة من أعضاء البرلمان النيجري وهم السادة عيسى بوعا وتيجي كودا ومحمد أبو وسيسه وبو بكير . وصرح رئيس الوفد لأحد المندوبين الصحفيين بأن وفد النيجر هو وفد صداقة مرسل من قبل رئيس جمهورية نيجر الإسلامية للدول العربية للتعرف على أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وقال إن جمهورية نيجر لا ترى مانعاً من عقد معاهدات ثقافية وتجارية واقتصادية مع

البلاد العربية وسيطلب الوفد من هذه البلاد مساعدات فنية كخبراء ومعلمين لأن نسبة التعليم في نيجر هي سبعين بالمئة من مجموع عدد السكان وقال إن الوفد سيزور المغرب وتونس، وليبيا ومصر والسودان والعراق ولبنان والكويت والمملكة العربية السعودية وتركيا.

ويقول أحد مندوبي الأيام أن نيجر كانت تحت نير الاستعمار الفرنسي ثم استقلت منذ عامين وهي متاخمة للحدود الجزائرية ونيجريا تبلغ مساحتها مليوناً و٢٥٠ ألف كم مربع وعدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة.

ومعظم أراضيها صالحة للزراعه إذ تخترقها أنهار كبيرة وفيها كثير من الجداول والمستنقعات والغابات الواسعة وتصلح لجميع أنواع الزراعات ولكن الزراعة فيها بدائية والصناعة معدومة وقد قضى الاستعمار الفرنسي على جميع المقومات الاقتصادية في البلاد.

هذا وتتعامل النيجر بالفرنك الفرنسي وفيها جاليتان كبيرتان سورية ولبنانية تسيطران على أهم المرافق الاقتصادية والاجتماعية في البلاد ويبلغ عدد سكانها أكثر من ١٥٠ ألف نسمة.

والجدير بالذكر أن راتب الوزير النيجري يعادل ٢٦٠٠ ليرة سورية ما عدا التعويضات أما راتب النائب فهو ٩٦٠ ليرة سورية.

هذا ويتوقع بعد التخطيط الذي ستقوم به الحكومة النيجرية للاقتصاد أن يتضاعف الإنتاج الزراعي أضعافاً كثيرة مما يؤدي الى قيام صناعة كبيرة في هذه الدولة الاسلاميه الناشئة في افريقيا.

● ننشر فيما يلي الكلمة القيمة التي ألقاها العاهل الليبي أدريس السنوسي بمناسبة الاحتفال بالذكرى العاشرة لاستقلال ليبيا. قال جلالته:

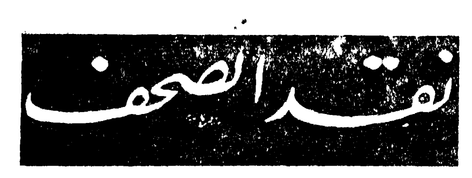
بسم الله الرحمن الرحيم

شعبي الليبي العزيز: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ أحمد الله تبارك وتعالى الذي أسعدني بالحظ لأن أتحدث اليكم بهذه المناسبة السعيدة ألا وهي الذكرى العاشرة لإعلان استقلال بلادنا العزيزة. فإني أهنئكم من صميم قلبي وأهنيء نفسي الذي

أنعم الله عليّ بالحياة حتى هنأتكم بالذكرى العاشرة الاستقلال وقد لا يسعدني بهذا الحظ في المستقبل بأن أتحدث إليكم في مناسبة كهذه فأود أن أسدي اليكم النصح [إنما الدين النصيحة] وأوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية وأن تشكروه على ما أولاكم من نعمة الاستقلال والحرية في بلادكم [وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة] والشكر ليس باللسان فقط ولكنه باتباع أوامره والانتهاء عما نهى عنه والتعاون على البر والتقوى « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » وإن كفر النعمة موجب زوالها وقال تعالى : « ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب » وقال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا فليبلغ الحاضر الغائب ورُبَّ مبلغ أوعى له مما سمع » ففي اتباع قول رسول الله ﷺ النجاة من سوء المغبة وأوصيكم بأن تحافظوا على هذا الاستقلال الذي جاهدتم من أجله زمناً طويلاً وقاسيتم من أجله عذاباً مريراً كما أوصي أولي الأمر منكم بالعدل والانصاف وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته ، كما أوصي عامتكم بالطاعة لأولي الأمر منكم — ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق — « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . »

إخواني : إذا كانت السنوات العشر الماضية سنوات كفاح في سبيل العيش لأن السنوات المقبلة ستنعم بالرخاء بإذن الله تعالى بما منَّ الله به علينا من خيرات أراضينا ولكن الكفاح من الآن لن يكون أقل صعوبة من كفاح السنين العشر الماضية فللرخاء مشاكل يتحتم علينا جميعاً مواجهتها وحلها بما يعود على الشعب الليبي في مجموعها بالرخاء والتقدم وللوصول الى هذه الغاية يجب علينا التسلح بالأخلاق الكريمة والتمسك بأهداب الشريعة . إن من النتائج السيئة التي يحملها الرخاء معه ميل الناس الى حب الاثراء والانغماس في الملذات والبذخ والافراط والميل الى الراحة والكسل فهذه كلها أسباب ضعف وانحلال أحذركم من مغبتها وأوصيكم باجتنابها وليكن رائدنا الاخلاص لديننا ووطننا وشعبنا وأسأل الله أن يعيد هذا العيد عليكم باليمن والخير والرفاهية والاستقرار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



« الأيام » العدد ٧٥٨٧ (١١/١٤|٦١ و ٦٢/٤/١٨) لا أدري من ملأ (ركن المرأة) بما يلي : كيف تنسجمين مع الأناقة والموضة :

(الموضة في تجدد دائم ... وهي من أجل ذلك تواجهنا بكثير من المشاكل التي ينبغي أن تتغلب عليها ، فثوبك الأحمر الذي يعجب الناس وأنت في العاشرة لم يعد يصلح لك وأنت في الخامسة والعشرين .. كذلك ثوبك الفضفاض ... الذي كلفك مبلغاً كبيراً .. إنه طويل وموضته أصبحت قديمة . لماذا لا تبحثين عن وسيلة لتجديده ؟ أخلقي من القديم شيئاً جديداً يناسب تطور الأزياء ، وأراك ما زلت تضعين الفراء على كتفيك بحيث ينسدل طرفه على زراعيك ـ وليس هذا هو اتجاه الموضة ، فإذا كان الفراء قصير الشعر فاعقديه على شكل ـ الكرافته ـ أما إذا كان طويل الشعر ، فدعيه ينسدل على ظهرك .)

يا هذا يا نصير اتجاه الموضة ، هلاّ فكرت في اتجاه الشرع ، اتجاه الفضيلة ، اتجاه الأم والزوجة الفاضلتين بديل التقصير والخضوع لحكم (الموضة ...)

(قلم المجلة)

● جاء في النشرة التي تصدر عن جمعية الرابطة الإسلامية الدولية في ـ لكهنو ـ في عدد ٢٨ ربيع الثاني ١٣٨٠ (٢٠ اكتوبر ١٩٦٠) أن أفريقياً يدعى الشيخ ابراهيم نياس أسلم على يديه ستة آلاف شخص في اثنتي عشرة ساعة ، كما روى ذلك أحد القادمين من نيجريا ..

وبهذه المناسبة نقدر صدور هذه النشرة عن الرابطة التي رأى أعضاؤها حاجة الى جمعية تعمل في صعيد دولي ، فكانت الرابطة وكانت نشرتها .

● احتفلت سورية احتفالاً رائعاً شاملاً بذكرى جلاء الفرنسيين ، وإن ظفرنا هذا ينبغي ألا ينسينا آثار المستعمر في القوانين والأنظمة والمناهج التعليمية والسلوك والآداب البيتية والاجتماعية .

(قلم المجلة)





● **نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع** جمعه الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الأثري (نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) مذيلًا ـ تكميلًا للفائدة ـ بفصل من مدراج السالكين صفات المنافقين . أشار المؤلف إلى فضل العرب المسلمين في حمل رسالة الإسلام . . . وتنكر المتنكرين لهذه الرسالة الغالية . . . ثم أورد مزاعمهم ونقضها ، ومما ذكر به كلمة العلامة أبي الحسن الندوي في رسالته المشهورة (اسمعوها مني صريحة أيها العرب) إذ يقول : « من المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المحررة من العقيدة والرسالة ، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان ، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم ، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات . . . إنها جريمة قومية تبز جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة ، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ ، وإنها خطوة حاسمة مشئومة في سبيل الدمار القولي والانتحار الاجتماعي » الكتاب في ٧٢ صفحة من القطع ١٩ × ٢٣,٥ . (العظم)

● يهدى إلى السادة المشتركين مع هذه الأجزاء الكتاب الرابع من حديث الثلاثاء للأستاذ رئيس التحرير .

● وترجو الادارة أن يؤدي المتأخرون قيمة الاشتراك قبل بدء السنة ٢٩



● من كوارث شقيقتنا الجزائر الأبية ما تعـــانية من غدر المنظمة الفرنسية الارهابية وقد اشتدت ضراوتها بعد الامساك برئيسها ، وفي كل يوم يطالعنا المذياع بجـرائم تقشعر لها الابدان ، والله غالب على أمره ، وستتخلص الجزائر بعون الله العلي القدير من هذه المنظمة الخبيثة الاثيمة .

● من كوارث العالم الاسلامي ما يعانيه الصومال العربي المسلم ، من الحبشة الصديقة - بانتقاص أرضها وتهديد أمنها ودينها على مرأى ومسمع الدنيا ، ومن حماة العروبة الذين لم يروا أن يحركوا ألسنتهم بكلمة دفاع أو رجاء في هذا الشأن ، وقد تجلى هذا الفتور المحزن في مأساة السيل التي اجتاحت أرض الصومال منذ حين فشردت ستمئة ألف من سكانها الى العراء حيث يلتحفون السماء ويفترشون الغبراء ثم لم يسمع أحد أن حكومة عربية قد تبرعت بدرهم أو تفضلت بغطاء لهؤلاء المشردين .

● ومن الكوارث ما تعانيه زنجبار وكينيا الآن من الاستعمار البريطاني ، ولعل كثيرين من أبناء العروبة لا يعلمون أن لهم هنـــاك أخوة في الدم واللغة والدين ، لان الجدار الجهنمي الذي ضربه الاستعمار حول مناطق العروبة والاسلام في إفريقية قطع أبناءهم عنهم حتى جاء الجيل الذي لا يكاد يعلم من أمرهم شيئاً .

لقد استحوذ الاستعمار البريطاني على تلك المناطق منذ أواخر القرن الماضي ، وكان ذلك بألوان من الحيل الشيطانية أكدت من جديد أن انجلترا هي أكبر عدوة للعرب والمسلمين والافريقيين جميعاً .. وكانت ذروة المهزلة أنها أكرهت سلطان زنجبار وهو حاكم كينيا الشرعي ؛ أن يتنازل عن سلطته هناك مقابل مبلغ صغير من الجنيهات كأجرة لتلك المناطق الواسعة الغنية . ويشاء الخبث الانجليزي أن يقسم كينيا فيحصر المسلمين في الشريط الساحلي منها ، ثم يريد اليوم أن يقيم الكيان الكيني الجديد تحت ستار الاستقلال ، فيستدعي سلطان زنجبـار إلى لندن حيث

يفرض عليه التنازل عن سلطته الاسمية عن ذلك الشريط مقابل حفنة من المال - طبعاً - !..
وهنا يرتفع صوت هذا السلطان المخدوع منذ حين معلناً تنازله لبريطانيا عن ذلك الاقليم بما فيه من السكان . . . ولكنه لا ينسى القول إنه قد اتفق مع بريطانيا على أن يحتفظ هؤلاء السكان بإسلامهم ولغتهم العربية !!

ومع ذلك فإن صوتاً واحداً من أوساط الحكومات العربية الرسمية لم يرتفع بكلمة احتجاج على هذه الصفقة بينما نهتم بأنباء الخصومات البعيدة وحياة فلان وسجن فلان من الغرباء . . . فهل إلى أبعد من هذا المدى !!

● عرضت قضية كشمير المجاهدة على مجلس الأمن من جديد ، وكلنا يعلم ما قامت به باكستان من تأييد لقضايانا العربية كالجزائر وفلسطين ، فماذا يعمل العرب الآن وقد صارت قضية كشمير على الصعيد الدولي ؟

● وجهت هولندا رسالة مستعجلة إلى الأمين العام للأمم المتحدة اتهمت فيها أندونيسا بالعدوان والقيام بأعمال عسكرية فجائية . . .

ثم بدأت هولندا بإرسال نجدات سريعة بحرية إلى ايريانا عبر قناة باناما .

● كان إقبال الأتراك على الحج في هذا العام إقبالاً مشهوداً وقد أمّ دمشق جموع منهم ...

● علم في ١٣٨١/١٢/٢ (١٩٦٢/٥/٦) من الأوساط المأذونة في جبهة التحرير الوطني في تونس أن السيد بن يوسف بن خدة رئيس حكومة الجزائر المؤقتة سوف يوجه للشعب الجزائري خطاباً يتضمن البرنامج المزمع السير بموجبه في الأيام الاولى من الاسبوع القادم .

هذا وغادر تونس أمس الوفد البولوني الذي يرأسه السيد أوجينوس سزير نائب رئيس وزراء بولونيا بعد أن قام بزيارة مجاملة لتونس استمرت أربعة أيام . وقد أدت مدة إقامة الوفد في الديار التونسية إلى اعتراف بولونيا بحكومة الجزائر المؤقتة اعترافاً واقعيا .

(قلم المجلة)



عدة الوفاة

– سئلنا مراراً عن حكم عدة الوفاة ، وهذا مجمل الجواب :

كان الحكم في ابتداء الإسلام أن الزوجة تعتدّ سنة .

والآية ٢٤٠ من سورة البقرة توجب على الأزواج أن يوصوا بأن تمتنع زوجاتُهن عن الخروج من المنزل عاماً بعد الوفاة . ويتمتّعن بالنفقة والسكن دون معارضة من أولياء الميت ، فإذا خرجن من تلقاء أنفسهن سقط حقّهن من الإنفاق عليهن ذلك العام .

وقال أكثر الفقهاء إن تلك الآية منسوخة بالآية ٢٣٤ من سورة البقرة التي تجعل العدةَ أربعةَ أشهر وعشرا : (والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ..)

فالزوجة تنتظر هذه المدة فقط فلا تتزوج ولا تخرج من بيتها – إلا لضرورة ماسّة – ولا تتزين ، وفي الحديث عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ لا تلبس المتوفّى عنها زوجُها المعصفرةَ من الثياب ولا المُمَشّقةَ (أي المصبوغة بالمِشق وهي المُغرة ولونها أحمر) ولا الحُليَّ ، ولا تختضب (أي بالحناء) ولا تكتحل ، ولا تتطيّب .(١)

وفي حديث فريعة بنت مالكٍ أن النبي ﷺ قال لهـا ... امكثي في بيتك الذي اتاك فيه نعيُ زوجك حتى يبلغ الكتابُ اجله . قالت : فاعتددتُ فيه (أي في بيت زوجها) أربعة أشهر وعشرا . (٢)

(العظم)

(١) أخرج الحديث ابو داود .

(٢) أخرج الحديث الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه .

كل شيء

- **دعوة**: أخرج ابن جرير أنه قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه ، فان الله قال : (عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضل إذا اهتديتم) فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لاصحابي ، لان رسول الله ﷺ قال : ألا فليبلغ الشاهد الغائب . فكنا نحن الشهود وأنتم الغُيَّب ، ولكن هذه الآية لاقوام يجيئون من بعدنا . إن قالوا لم يُقبل منهم .

- أعلن في أول آذار المشير ايوب خـان دستور باكستان ومع تضمنه جميع الحريات تضمن أنه لايجوز الاخذ بأي قانون منافٍ للاسلام ، وانه ينبغي إقامة مجلس استشاري للقيام بالبحوث والدراسات الإسلامية بغية إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس إسلامية حقة .

- **جوائز سخية ولكن في غير موضعها** :

نشرت (الاعتصام) في شوال ١٣٨١ أن الدكتور ثروة عكاشة وزع جوائز قيمتها ٩٠٠ جنيه على الفائزين في مسابقة المسرح والموسيقا والفنون التشكيلية والشعبية والنقد المسرحي .

- **لغة** : يقال في اللغة : تأثّم إذا كفّ عن الإثم ، كما يقال تحرّج إذا تحفّظ من الحرج .

- **عجبَ** : سمع الأصمعي زبالاً ينشد :

وأكرم نفسي إنني إن أهنتهـا ... وحقك لا تكرم على أحدٍ بعدي

فقال له : وما بعد هذه الإهانة ؟ قال السؤال منك . فحجه وولّى .

- **طرفة** : قيل لبعض الحكماء : أي الطعام أطيب ؟ قال : الجوع أعلم .

- **طرفة** : قيل لمدني : بم تتسحّر الليلة ؟ فقال : باليأس من فطور القابلة .

(قلم المجلة)

كلمات الاجزاء ١ — ٤

كلمات الأجزاء ٥ – ٨

كلمات الاجزاء ٩ — ١٢

كلمات الأجزاء ١٣ – ١٦

كلمات الاجزاء ١٧ – ٢٠

كلمات الاجزاء ٢١ — ٢٤

كلمات الأجزاء ٢٥ — ٢٨

كلمات الأجزاء ٢٩ — ٣٢

كلمات الأجزاء ٣٣ — ٣٦

كليات الأجزاء ٣٧ — ٤٠

رئيس التحرير
احمد مظهر العظمة
المدير المسئول
محمد بن كمال الخطيب

الأجزاء ٥ - ٨ المجلد ٢٨



مجلة اسلامية علمية اجتماعية أدبية تربوية

تصدر عن :

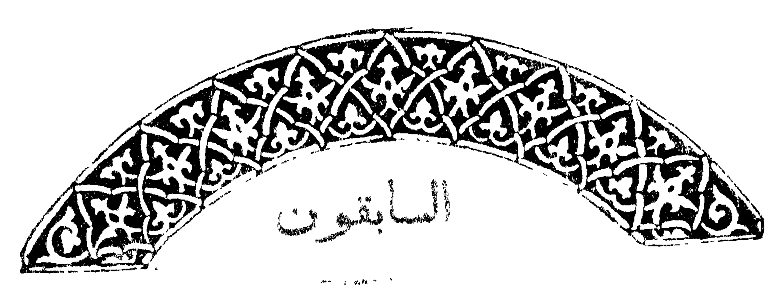


دمشق : سورية

الادارة : دمشق البريد
الهاتف ١٥١٢٠
قيمة الاشتراك
٨ ليرات في سورية ولبنان
جنيه أو دينار خارجهما
٢٥ ليرة سورية للدوائر الرسمية في سورية
٥٠ لسواها
سنة المجلة ٤٠ جزءاً
الاعلانات يتفق عليها

(صفر ١٣٨١ هـ) (آب ١٩٦١ م)

بسم الله الرحمن الرحيم



السابقون

﴿ وكنتمْ أزواجاً (١) ثلاثةً * فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ * وأصحاب المشأمةِ (٢) ما أصحابُ المشأمة * والسابقونَ السابقون أولئكَ المقرَّبونَ * في جناتِ النَّعيمِ * ثُلَّةٌ (٣) من الأولينَ * وقليلٌ منَ الآخِرينَ * على سُرُرٍ موضونةٍ (٤) متكئين عليها مُتقابلينَ * يطوف عليهمْ ولدانٌ مخلَّدونَ * بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ منْ مَعينٍ (٥) لا يُصدَّعونَ (٦) عنها ولا يُنزِفونَ (٧) * وفاكهةٍ مما يتخيَّرونَ * ولحمِ طيرٍ مما يشتهونَ * وحورٌ عينٌ (٨) كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ * جزاءً بما كانوا يعملونَ * لا يسمعونَ فيها لغواً ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً * ﴾

الواقعة ٧ ـ ٢٦

---

(١) الأزواج : للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض .

(٢) الشؤم .

(٣) جماعة

(٤) منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت ، قد دوخل بعضها في بعض كما توصل حلق الدرع .

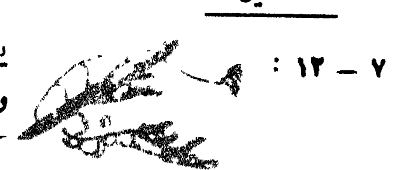
(٥) صافٍ ويراد به خمر صافية سائلة .

(٦) لا يفرقون .

(٧) لا تذهب عقولهم .

(٨) الحور جمع حوراء والعين : جمع عيناء واسعة العيون .

التفسير :

٧ - ١٢ :  يكون النـاس بعد أن تقع الواقعة الصادقة التي وصفهـا المولى في الآيات السابقة ، ثلاثة أصناف كبرى اثنان في الجنة وواحد في النار .

أ أصحاب اليمين وهم جمهور أهل الجنة

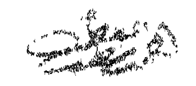
ب وأصحاب الشمال وهم عامة أهل النار

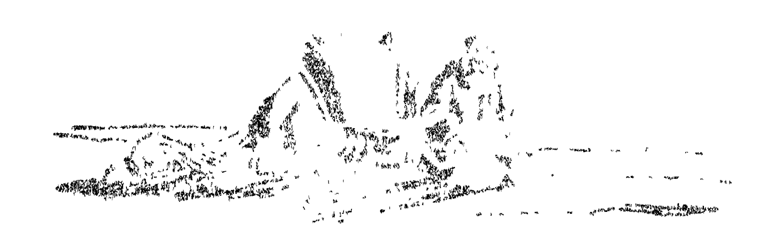
ج - والسابقون وهم أصحاب المقام المفضل الأول .

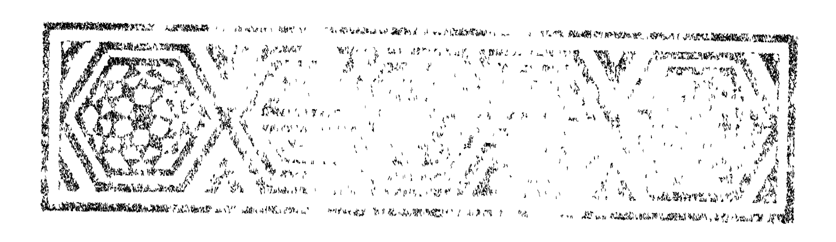
كان العرب يتيمنون بالميامن ويتشاءمون بالشمائل ... وجاءت على هذا الغرار ترتيباً الآيتان الكريمتان في وصف المنزلتين السنية للمؤمنين ، والدنية للكافرين في بدء تعريف الأولين فقال : « فأصحاب الميمنة » ثم تساءل عنهم تعجباً : « ما أصحاب الميمنة [٣] » أي أي شيء هم ، وفي ذلك تعجب من مقـامهم الرفيع وتعظيم له ، وبدأ تعريف الآخرين بالأسلوب نفسه تعجباً لمقامهم الوضيع وتهويلا له .

ثم وصف أصحاب المقام المفضل الذين سبقوا إلى مرضاة الله وسارعوا إلى كل ما استطاعوا من الخيرات بأسلوب جديد بمبتدأ وخبر : « والسابقون السابقون » فالسابقون بالخير في الدنيا السابقون في الجنة ، فهم هم وكفى بذلك وصفاً لهم . يشبه هذه الأصناف في سورة فاطر قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . » ٣٥:٣٢ ويصف السابقين قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض » ٣:١٣٣ وقوله تعالى : « سابقوا إلى مغفرة من ربـكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض » ٥٧:٢١ فالسابق هنا سابق هنـاك ، أولئك هم المقرّبون من ربهم في جنات النعيم ، وأعظم بهذا التقريب من منزلة تفضل الجنة كلها .

١٣ - ٢٦ : نحن الآن تلقاء وصف كريم لأولئك السابقين زماناً ونعيماً بالآيات ١٣ - ٢٦ :
فهم جماعة من المتقدّمين في الأمم السابقة ، وقليل من الآخرين أى من هذه الأمــة ، ينعمون على سرر منسوجة بالذهب والدرر ، متكئين عليها متقابلين يتسامرون في راحة بال واطمئنان حال من النعيم الدائم .
يطوف عليهم لخدمتهم ولدان مخلّدون : لا يبلى لهم صبا ولا تتغير صباحة ، يطوفون بأقداحهم وأباريقهم وكأس خمر سائغة لا يفرق شاربوها بسببها كخمر الدنيا الأثيمة ـ أو ليس لهم فيها صداع ، ولا تذهب بعقولهم سكرا .
ـ فخمر الآخرة لذيذة سائغة ، خلو من آفات خمر الدنيا بذاتها وآثارها ـ ويأخذون من الفاكهة الدائمة ما يتخيرون ، ومن لحم الطير الذي يشتهون .
ولهم زوجات حور واسعات العيون ، كأمثال اللؤلؤ المصون الذي لم يمسّ .
لا يسمعون في الجنة عبثاً من كلام أو إثماً من حديث ، وإنما يسمعون في جنة السلام تحية السلام وكلام السلام الذي لا يشوبه لغو ولا إثم .
اللهم اجعلنا في الدنيا من المسارعين إلى الخيرات السابقين إلى الفضائل ، واجعلنا في الآخرة من هؤلاء المقربين الذين قربتَ درجاتهم وأعليتَ مراتبهم ، يا أرحم الراحمين .







نور مبين ومؤمنون منتصرون

قال تعالى في محكم تنزيله : « حم ، والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة أنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم » أقسم جل شأنه بكتابه المبين ، وقرآنه العظيم ليبين للناس وخاصة لمشركي مكة عظمة هذا الكتاب وقيمة هـذا القرآن وجلالة الوحي الآهي الذي ختم به تعالى رسالات السماء إلى الارض .

ثم بين تعالى أن عنايته حفت كتابه من الجهات كافة فأنزله في ليلة مباركة ذات قدر عظيم هي ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وهي فوق ذلك ليلة (يفرق فيها كل أمر حكيم) . وقد أنزله تعالى على من اختاره من خلقه واصطفاه من عباده ، سيدِ الأنبياء وخاتم الرسل مولانا محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه .

أنزله تعالى القرآن لينذر الظالمين ويبين عاقبة ضلالهم وشؤم معصيتهم وعاقبة عنادهم .

كما أنزله تعالى رحمة وبشرى لأهل الهدى بأن لهم جزاء ما عملوا جنات ومقاماً كبيراً .

ثم بين تعالى أن عظمة هذا القرآن مستمدة من عظمة منزله ومن جلالة مبدعه ، لذلك يصف نفسه بعد ذلك بقوله « امراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين لا إله إلا هو يحيي ويميت وربكم ورب آبائكم الاولين . »

لقد كان هذا القرآن من الوضوح والدلاله على صحة دعوى رسالة محمد عليه السلام ، وما أتى به من توحيد نقي ، وشريعة طاهرة بيضاء ، وسبيل سوى مستقيم - بحيث تجب المسارعة الى تصديقه ، ونصرة دينه والدخول تحت رايته .

ولكن قريشاً وقفت في طريق هذه الدعوى عناداً واستكباراً ، وقاوموا الرسول عليه السلام ، وصحابته وأتباعه ، بكل ما قدروا عليه من صد وعنف ، وهجر ومقاطعة .

فلما رأى الرسول نفسه في هذا الموقف الحرج دعا ربه ايضيق عليهم ليكون ذلك وسيلة لايمانهم ورجوعهم فقال : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف . فاستجاب له ربه ، فأصابهم قحط ومجاعة وعمهم كرب وبلاء ، حتى أكلوا العظام والميت فضعف أجسامهم وكلت أبصارهم ، حتى صاروا يرون الغبار كأنه دخان مبين .

وأخيراً أتوا رسول الله ﷺ يطلبون منه الدعاء على ان يثوبوا ويتوبوا ويؤمنوا به ويصدقوا .

ودعا لهم الرسول واستجاب له ربه فكشف ما بهم ، وفرج عليهم ، وأذهب الضر والمجاعة عنهم . ولكنهم مع رؤيتهم لهذه الآيات لم يستجيبوا لدعوة الرسول ولم يصدقوا نبوته ورسالته . بل زادوا عتوا واستكباراً ، ولجاجة وبعداً ونفاراً . مما يدل على عنادهم وتمسكهم في ضلالهم واصرارهم على موقفهم .

(بل هم في شك يلعبون . فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب اليم . ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون . إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون) .

لاشك أن مثل هؤلاء المعاندين في طغيانهم وفجورهم يستحقون الغضب الشديد والبطش الاكيد . ولذا أنذرهم بقوله : (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) فكانت موقعة بدر تلك الموقعة التي قتـــل فيها أشرافهم وهلك فيها طواغيتهم وصناديدهم . وبعدها لم تقم لهم قائمة ، وانبلج نور الحق وظهر اليقين ، ونصر الله محمداً وأظهر دينه . وقيل بعداً للقوم الظالمين .

وبعد هذه القصة أخذ القرآن يسلي الرسول عليه السلام بقصة تشابه قصته مع قومه ، فأخبره أن ما رآه من موقف قريش معه ليس عجيباً غريباً ، فقد وقف مثلهم قوم فرعون مع نبي الله موسى عليه السلام وكان منهم مثل هذا الموقف المشابه بداية ونهاية .

جاء موسى عليه السلام ودعا فرعون وقومه ، وأظهر من الآيات الباهره ، والمعجزات القاهرة ما فيه غنى عن كل بيان ومقنع لكل إنسان .

ولكن فرعون أبى واستكبر وقال تلك الكلمة الكبيرة : « ما علمت لكم من إله غيري » ٢٨ : ٣٨ .

ومع هذا كله فإن موسى عليه السلام أمـــل ان يستجيب له فدعا ربه بأن يضيق عليهم ليكون ذلك وسيلة الى رجوعهم وايمانهم ، ووقـع على قوم فرعون ما قصه القرآن علينا في غير هذه السورة من أنواع العذاب والبلاء . مما اضطره الرجوع الى موسى ضارعين ليدعو ربه بكشف هذا البلاء ورفع هذا الشقاء ووعدوه على ذلك الإيمان به والتصديق برسالته .

واستجاب الله دعاء موسى ولكن لم يرجع القوم عن تكذيبهم وضلالهم وغيهم واستكبارهم .

وكانت النتيجة ما قصه القرآن علينا في هذه السورة ، فأمر تعالى موسى بمغادرة مصر مع قومه وأمره بأن يضرب بعصاه البحر فكان طريقاً معبداً لبني اسرائيل .

وتبعهم فرعون وجنده حتى اذا توسطوا البحر اطبق عليهم فكانوا من المغرقين .

وهكذا ينتهي الأمر دائمـــا بانتصار الحق وسحق الباطل : « فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » . الى هذه العبره المشابهة في القصة

سياسة إنسانية

الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

.. الإسلام ينادي بها سياسة إنسانية صريحة ، لا يخدع بها شعباً من الشعوب ولا يطمع بها في ثروة أمة من الأمم ، وإنما يريد الهداية والإرشاد ، واستخلاص حقوق الضعفاء من الأقوياء والعدل الشامل للناس جميعاً ، والحكم الذي لايفرق بين دين ودين ، ولا بين شعب وشعب ، ولا بين شرق وغرب ، ولا يحارب شعباً في قوميته أو لغته ، بل يترك لكل شعب ميزاته من لغة ونحوها ، ولا يهمه شيء من أمرها ، لأن رسالته دينية لا قومية ولا لغوية ، فلا يهمه إلا الدعوة للدين ، ولا تهمه الناحية القومية واللغوية .

ولهذا أباح الإسلام لأفراد الشعوب أن يصلوا إلى أسمى المناصب في دولته (١) . وقد كانت العربية لغة الدولة في هذا العهد ، ولكنها لم تفرض فيه على غير العرب من الشعوب (٢) .

عن (السياسة الإسلامية) .

وربط حالة قريش بحالة قوم فرعون يشير تعالى بقوله : (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم . ان أدوا الى عباد الله إني لكم رسول كريم . وأن لاتعلوا علي إني آتيكم بسلطان مبين . وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون . وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون . فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون . فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبّعون . واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون . كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين . فما بكت عليهم السماء والارض . وما كانوا منظرين . »

وهكذا يرشدنا القرآن الى موطن العبرة . فيبشر أهل الحق بأنهم غالبون وانهم في النهاية منتصرون . ودولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة .

بيروت : محمد نمر الخطيب

---

(١) المجلة : مع حذر الحاكم من يخشى عاقبة طويته من الأعاجم وغيرهم .

(٢) المجلة : أن العربية أخذت تشيع وتنتشر دون إكراه ، فهي لغة القرآن وهي لغة الرسول صلى الله عليه وسلم .

صلوا وقوموا أنفسكم

للأستاذ الشيخ مصطفى مجاهد

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبراً : رجل أم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان» رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه بلفظ آخر .

لقد تناول الحديث الكريم ثلاث فرق بين كل فرقة صلة مؤكدة تستوجب حقوقاً يجب رعايتها والمحافظة عليها ، وقد هدد رسول الله ﷺ المقصرين في هذه الحقوق بإهدار أعمالهم الجليلة ورد أعلى الطاعات في وجوههم لأنها مزيفة إذ أنها لم تثمر ثمرتها .

١ — فالصلاة كما يعلم كل مسلم عماد الدين وثانية قواعد الإسلام الخمس ، وفيها المناجاة بين العبد وربه ولن تصح لغير الله عز وجل فله وحده دون غيره يقع الركوع والسجود والدعاء والخشية والخضوع والذلة ، وظيفتها وثمرتها — إن صدق فاعلها في أدائها — أنها تنهى

عن الفحشاء والمنكر . فإن لم تثمر الثمرة المرجوة علمنا أن بذور الشجرة ميتة وانها خشب قائم قد غرس في الأرض وهو موات في موات .

وبعد معرفة منزلة الصلاة من العبادات نراها تذهب أدراج الرياح من إمام تقدم المأمومين يريد الصلاة بهم والاشتراك معهم في مناجاة الله عز وجل ، وكانت صفاته مع الأسف تسخطهم عليه وتنفرهم منه وتصرف قلوبهم عنه . فكيف يؤمهم وهم له كارهون وعليه غاضبون لخلل عرفوه فيه ونقص شهدوه منه ؟ ! !

ياهذا : إن بعض الأئمة يعتبر قراءتك كافية عنك وعن المأمومين فتسقط الفاتحة عنهم لإجزائها منك ، فلهم بعض أدائك وجزء من صلاتك ، وكل عاقل حريص على نظافة قائبه وسلامة وكيله وطهر رائده ، وربما أنك مطعون في دين أو خلق بغيض في سلوك منحرف في عشرة ، وقد عرف ذلك عنك ؛ فدع المحراب واتركه لإنسان في قلبه مصباح من مصابيح السنة وفي فمه حلاوة وعفة وصدق من هدى الرسالة المحمدية ، وعلى جوارحه استقامة وسلم وسلامة على وفق مافي قلبه وعلى لسانه ، دع الوصلة بين المصلين وربهم لإنسان يرونه في نظرهم أسبقهم إلى الله وأرعاهم لحدود الله وأحفظهم لأحكام الله ليكون انصرافهم وقت صلاتهم إلى الله خالصاً من كل كدر وفكر ، وخشوعهم تاماً لاينقصه سخط على أحد ، ولا تبرم من إنسان .

ولقد كان إمام الصلاة من عهد ﷺ حريصاً على التمتع بثقة المأمومين به ورضاهم عنه ولم يشذ أحد من الأئمة المخلصين لله عن هذه القاعدة . فهذا الصحابي الجليل والحواري الصادق لرسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرة بالجنة طلحة بن عبيد الله يقول بعد أن صلى بقوم قبل أن يتعرف طويتهم بالنسبة له وقبل أن طمئن على سلامه صدورهم من المؤاخذة له في أمر من الامور قال إني نسيت ن أستأمركم قبل أن اتقدم . أرضيتم بصلاتي ؟ قالوا نعم ومن يكره ذلك ياحواري سول الله ﷺ ؟ ! ! قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيما رجل أم رماً وهم له كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه » رواه الطبراني في الكبير .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعفي الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص من ولاية الكوفة بعد اطمئنانه إلى كذب الشكوى منه ولؤم الخارجين عليه ، وبعد أن سأله عن كيفية صلاته بهم وإمامته لهم فعلم أنه كان في الإمامة والصلاة على ما كان عليه الاسوة الحسنة سيدنا رسول الله ﷺ ولكنه راعي تلك الفئه المرذولة التي سخطت على سعد بن ابي وقاص وقال في اجتهاده وحكمته : ارسل لهم إنساناً يكون محل رضا الجميع واعزل هذا لا عن تهمة التصقت به ولا تقصير حصل منه ولكن محافظة على كرامته من دنس المتقولين وعلى المحراب من عيب العائبين ، وعلى الوئام التام بن الإمام والمأمومين ...

٢ - ثم ما بال الزوجة - وقد عنى الإسلام بشأنها واهتم بأمرها وطالب الرجال في كل مناسبة بحقوقها حتى أصبحت شطراً محترماً من شطري الأمة الإسلامية - أقول مابالها أخذت حقها ثم قلبت البيت رأساً على عقب فبدلت الشكر على النعمة كفراناً وأعطت جزاء الإحسان إساءات متتالية ، ثم أقبلت تصلي لربها زاعمة أن الله يرتشي أو أنه غافل عما يعمل الظالمون ، أو أنه تأخذه سنة أو نوم . وانها في الحقيقة لفي جهل وغفلة وفي بعد عن هـــذا الدين الحنيف فإن رسول الله ﷺ يبلغها عن الله فإنه لا ينطق عن الهوى - يبلغها بأن حق زوجها مرتبط بحق ربها فلن يقبل الله منها الصلاة حتى يرضي عنهــا زوجها المخلص وعشيرها الأمين وقيمها العادل ، فقد قام لها بما وجب عليه فمن واجبها أن تقوم بواجب الزوج بعد قيامها بواجب الله عز وجل . فإن فرطت واستهانت في حق بعلها فلن يرفع الله اليه صلاتها ولن يتقبل منها .

فأين أولئك الذين قالوا عنها متدينة وهي متمردة في بيت الزوجية وقـد نام زوجها يشكوها إلى ربه لما استعانت عليه بأهل ليس لهم عقل ولا حكمة وبدموعها الكاذبة وبالمجتمع الذي أساء اليها وأفسدها وأعانها ظلماً وزوراً حتى أرضت الشياطين وأغضبت رب العالمين . وإن ربك لابالمرصاد .

٣ - إنما المؤمنون إخوة ، والأصدقاء خلاصة من هذه الاخوة ، والصداقة لحـة

التعاون في الإسلام

للمرحوم العلامة محمد الخضر حسين

الإسلام في مقدمة الشرائع المتضافرة على حفظ حقائق ، هي : الدين، والنفس والعرض ، والعقل ، والنسل ، والمال . . .

وقد يقع بعض هـذه الحقائق في ضياع أو يكون مشرفاً على الضياع ، ويتعذر على الشخص الواحد العمل لسلامتها ، فكان من مقتضى ثقل أعبائها أو كثرة شعبها ، أن يمدّ اليه أشخاص آخرون أيديهم ليتعاون الجميع .

ومن المعلوم الماثل أمام كل من تفقه في الدين أن الإسلام قد راعى عجز الأفراد عن القيام بكثير من المصالح الخاصة أو العامة ، فأمر بالتعاون على وجه عام ، ثم أقام كثيراً من أحكامه وآدابه على القاعدة التي ينتظم بها العمران ، وتخفف بها متاعب الحياة .

عن (رسائل الإصلاح)

لما تبعات . فمن الواجب على المؤمنين جميعاً رعايتها ، وأول هذه الواجبات في قوله عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يكره له ما يكره لهـا » ومن تلك الواجبات العفو عن الزلل والتجاوز عن التقصير والتماس الأعـذار الاخوان . فلا ينبغي المسارعة إلى الخصام والمبادرة إلى الهجرة ، فإن نزع الشيطان بين أخوين فأصاب الاخوة بسهم من سهامة فلا يحل لهما أن يتهاجرا فوق ثلاثة أيام ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

فإن كان شيطانها قوياً فأعماهما عن نهي رسول الله ﷺ فليستمعا إلى تلك الحقيقة المرة وهي ان صلاتهما قـد أصبحت عبادة صورية جسدية لاروح فيها ولا ثمرة لها فقبل أن يدخلا المسجد للصلاة عليهما ان يتصافحا ويعودا إلى الاخاء في الله والحب في الله .

جمعنا الله جميعاً على حبه والاخلاص لدينه وصرفنا عمن سواه وعن الصلة لغير الله .

مصطفى مجاهد

الأحاديث الصحيحة

الأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

١٧

من فضائل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

١٢٣ - « من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة » .

أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٥٥/١/٣) أخبرنا سعيد بن منصور قال : نا صالح بن موسى عن معاوية بن اسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت :

« إني لفي بيتي ، ورسول الله ﷺ وأصحابه بالفناء ، وبيني وبينهم الستر ، أقبل طلحة بن عبيد الله فقال رسول الله ﷺ » فذكره .

وكذا رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨٠/١) من طريق أخرى عن صالح بن موسى به . ورواه أبو يعلى والطبراني في « الأوسط » كما في « المجمع » (١٤٨/٩) وقال :

« وفيه صالح بن موسى وهو متروك » .

قلت : ولم ينفرد به ، فقد رواه اسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة قال :

« بينا عائشة بنت طلحة تقول لأمها أم كلثوم بنت أبي بكر : أبي خير من أبيك ، فقالت عائشة أم المؤمنين : ألا أقضي بينكما ؟ إن أبا بكر دخل على النبي ﷺ فقال : يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار ، قالت : فمن يومئذ سمي عتيقاً ، ودخل طلحة على النبي ﷺ فقال :

« أنت ياطلحة ممن قضى نحبه » .

أخرجه الحاكم (٢/٤١٥/٤١٦) وقال :

« صحيح الإسناد » .

وتعقبه الذهبي بقوله :

« قلت : بل اسحاق متروك ، قاله أحمد » .

قلت : ومع ضعفه الشديد ، فقد اضطرب في إسناده ، فرواه مرة هكذا ، ومرة قال : عن موسى بن طلحة قال :

« دخلت على معاوية ، فقال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« طلحة ممن قضى نحبه » .

أخرجه ابن سعد (٣/١/١٥٥ - ١٥٦) و الترمذي (٢/ ٢٠٢ ، ٣) وقال :

« حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإنما روي عن موسى بن طلحة عن أبيه » .

قلت : ثم ساقه من طريق طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل : سله عمن قضى نحبه من هو ؟ وكانوا لا يجترؤون على مسألته ، يوقرونه ويهابونه ، فسأله الإعرابي ، فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر ، فلما رآني رسول الله ﷺ قال : أين السائل عمن قضى نحبه ؟ قال : أنا يارسول الله ، قال : هذا ممن قضى نحبه . وقال :

« هذا حديث حسن غريب » .

قلت : واسناده ، حسن رجاله ثقات رجال مسلم ، غير أن طلحة بن يحيى ، تكلم بعضهم من أجل حفظه ، وهو مع ذلك لاينزل حديثه عن رتبة الحسن .

ولم ينفرد بالحديث ، فقد أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير (١/١٣/٢) عن سليمان بن أيوب حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه قال :

« كان النبي ﷺ إذ رآني قال : من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله » .

قلت : وهذا سند ضعيف سليمان هذا صاحب مناكير ، وقال ابن مهدي : « عامة أحاديثه لايتابع عليها » .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١٤٩/٩) :

« رواه الطبراني ، وفيه سليمان بن أيوب الطلحي ، وقد وثق وضعفه جماعة ، وفيه جماعة لم أعرفهم » .

وللحديث شاهد جيد مرسل بلفظ :

« من أراد أن ينظر إلى رجل قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

أخرجه ابن سعد (٣/١/١٥٦) : أخبرنا هشام أبو الوليد الطيالسي قال : ثنا أبو عوانة عن حصين عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال : قال رسول الله ﷺ فذكره .

قلت : وهذا مرسل صحيح الإسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين .

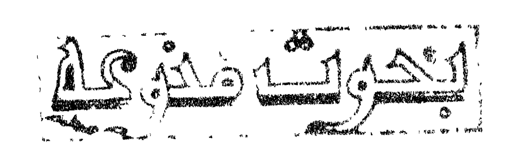
ثم إن صالح بن موسى الذي في الطريق الأول قد رواه باسناد آخر ، ولفظ آخر وهو :

١٢٤ - « من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

أخرجه الترمذي (٣٠٢/٢ - بولاق) عن صالح بن موسى الطلحي - من ولد طلحة بن عبيد الله - عن الصلت بن دينار عن أبي نضرة ، قال : قال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكره وقال :

« حديث غريب لانعرفه إلا من حديث الصلت ، وقد تكلم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وفي صالح بن موسى من قبل حفظهما » .

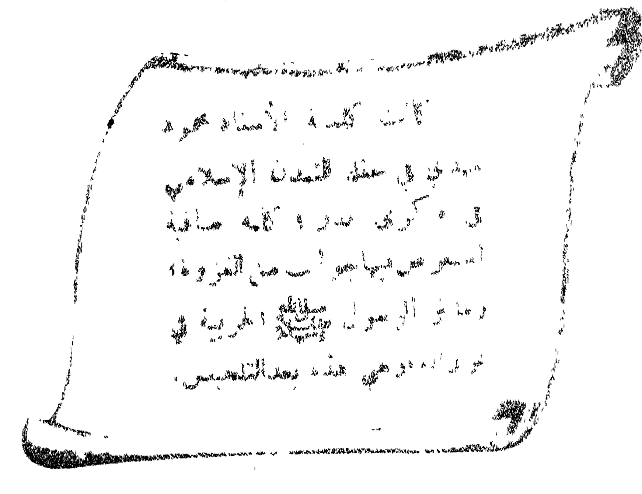
قلت : هما بعد التحقيق ضعيفان جداً ، غير أن صالح بن موسى لم ينفرد به ، وهو ما أشعر به كلام الترمذي نفسه ، فقال الطيالسي في مسنده (١٧٩٣) : حدثنا الصلت بن دينار [ثنا] أبو نضرة به بلفظ : - البقية على الصفحة ١١٣ -



بدر وبراعة الرسول ﷺ الحربية في غزواته

للأستاذ محمود سعيد الاستانبولي

قال لي زميل من الأساتذة : دعيت مرة من قبل وزارة التربية والتعليم فألقيت محاضرة على الضباط الفرنسيين الذين حضروا في الحرب العالمية الأولى معارك المارن وفردن الهائلة وكانت حياتهم الباقية معدودة بالساعات بسبب الغاز المخنق الذي يكمن في رئاتهم وكان يهددهم بالموت بين الحين والآخر، فحدثتهم عن بعض غزوات النبي ﷺ، فدب الملل والسآمة في نفوسهم ، وما ارتاحوا لمحاضرتي ، وكيف يرتاح من يستمع إلى غزوة بسيطة، وهو ممن حضر أعظم معارك التاريخ في ذلك الزمن ؟



قلت لهذا الأستاذ : إن الذي سبب الملل والسآمة للضباط الفرنسيين ليس موضوع الغزوات ، إنما أسلوبك في المحاضرة ، فلا شك أنك سردت حوادثهم سرداً دون تحليل وتمحيص ومناقشة من الناحية العسكرية والإنسانية التي تجلت فيها عظمة الرسول الحربية من النواحي المسماة بالاستراتيجية والتكتيكية والتي لا تزال إلى يومنا هذا

موضع الإعجاب والدهشة على الرغم من تقدم الفنون العسكرية التي لم تكن معروفة يومذاك . . .

لهذا كله رأيت من واجبي – أيها السادة – أن أتحدث عن غزوة بدر وغيرها من الغزوات من الناحية الحربية الرائعة التي تثير إعجاب قادة معارك المارن وفردن وستالينغراد وغيرها من الوقائع الكبرى .

ينبغي أن نعلم قبل كل شيء أن أغلب غزوات الرسول كانت تتحكم فيها قلة العدد وندرة العُدد بالنسبة لقوى العدو . ففي معركة بدر الفاصلة كانت الكتيبة الإسلامية مؤلفة من ثلثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، وليس معهم من وسائل الركوب سوى ثلاث أفراس وسبعين بعيراً ، يتناوب كل ثلاثة أو أربعة منهم بعيراً ، في حين أن فرسان قريش كانوا مئة فارس ، ومشاتها ثلاثة أضعاف المشاة في جيش الرسول عليه السلام ، فالإبل كان عددها في جيش المشركين كثير تمدهم بالزاد والراحلة .

إن الرسول أيها السادة ، ما كان يقصد من خروجه بأصحابه ، الحرب العسكرية في بادىء الأمر ، إنما كان يقصد الحرب الاقتصادية ، وضرب أعدائه مالياً ، وتهديد خطوط مواصلاتهم ، وقطع الطرق التجارية عليهم ، كل ذلك لعلمه عليه السلام قوة تأثير الناحية الاقتصادية في إضعاف الخصم وعجزه عن شن الحروب بسبب ما تتطلبه من نفقات باهظة . لذا قال لأصحابه : (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها !) وقد كانت هذه العير التي كان يقودها أبو سفيان تقدر قيمتها بخمسين ألف دينار ، وفيها ألف بعير .

أيها السادة

ومن عجيب براعة الرسول العسكرية وحنكته السياسية أنه سارع بعد هجرته إلى المدينة إلى عقد عدة معاهدات تعاون وعدم اعتداء مع جواره تكفل له حاجة جيشه من المؤن والذخائر وجميع خطوط التموين . كما تكفل له مهادنتهم وعدم معاونتهم لأعدائه من قريش الذين كانوا يضمرون كل الشر للدين الجديد الذي يحاول القضاء على امتيازهم وسلطانهم الجائر .

وهكذا تفرغ الرسول لقتالهم ، وكان عليه الصلاة والسلام قبل غزوة بدر ، قد أرسل عدة سرايا من المسلمين لتدريبهم على الحرب والكشف عن قوة العدو ، حتى لا يباغت المسلمون بهجومه ، وحتى يكسبوا عليه زمام المبادرة ، وهي عامل هام في النصر . وهذه السرايا أثارت قلق قريش ورغبتها كلما تطاير غبار من وراء الافق ، مما هدّم أعصابهم .

زد على ذلك أن هذه السرايا التي كان يرسلها ، قد القت الذعر لدى يهود المدينة فاضطرت إلى مهادنته على الرغم مما تضمره من روح العداء له وللمسلمين جميعاً !

● وقبيل غزوة بدر سارع الرسول إلى احتلال مكان الماء في بدر ليلاً ، فبنى حوضاً للشرب وطمر الآبار الاخرى ، وبذلك قطع الماء عن أعدائه . والماء عنصر هام في كسب المعركة ، وخاصة في أراضي الحجاز الحارة ، وهو للجنود بمثابة البترول للآلات الحربية .

● وكذلك سارع في بنـــاء العريش من عيدان الأراك وأمر بستره بنبات يشبه التراب ليخفيه عن الأنظار ، ووضع الجنود لحراسته حتى إذا فشل المسلمون في القتال سارع باللحاق بالمدينة كيلا يقع في يد العدو مما يؤدي إلى القضاء على الدين الجديد . وهذا التدبير الوقائي في حماية قائد المعركة من أعظم أسباب النصر .

● وجاءت الساعة الرهيبة ، ودار القتال ومشى ملَكُ الموت وئيداً يقط رقبة الكفر ، وتنجست الرمال العفراء بدم الطائفة التي آذت الله ورسوله ووطئتْ أقدام المسلمين خدوداً وجباهاً طالما استنكرت أن تسجد لله رب العالمين ؟ وتحركت سواعدهم تطيح بهامات طالما استخفت بحق الله واستكبرت على الإيمان والمؤمنين (١) .

أيها السادة ! بعد هذا التمهيد الاجماعي اسمحوا لي أن أحلل لكم الخطط الحربية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته :

---

(١) الأستاذ محمد الغزالي : تأملات في الدين والحياة ص ٢٠٨ .

١ — الاستكشاف :

ان أولى هذه الخطط الاستكشاف ، فإن أول ما فعله رسولنا القائد العظيم قبل وضعه الخطة الحربية واختيار مكان المعركة ان أرسل ثلاثة من أصحابه للاستكشاف لمعرفة عدد جيش العدو ومكان نزوله .

ولم يكتف الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه البعثة الكشفية ، بل انه انطلق على بعير له ، حتى عثر على شيخ من مشايخ العرب ، فحياه وآنسه ، ثم أخذ يتحدث اليه حديثاً (دبلوماسياً) استطاع أن يستخلص منه كثيراً من المعلومات عن أعدائه من قريش .

وبعد قليل رجعت البعثة الكشفية بأخبار هامة عن مكان العدو ، وقد لقوا شابين يبحثان عن آبار الماء ليملأ السقاء المعلق بكتفيهما فأتوا بهما الى معسكر المسلمين فسألهما الرسول : أخبراني عن قريش .

قالا : هم والله وراء الكثيب الذي ترى .

فقال لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير .

قال : ما عدتهم ؟ قالا : لاندري .

قال : كم يُنحرون من الإبل كل يوم ؟ قالا يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

فقال رسول الله ﷺ :

« القوم فيما بين التسعمئة والألف . »

ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش ؟ فأخذا يذكران كبار رجال مكة ، فقال الرسول لأصحابه : « هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها ! » .

٢ — التطويق :

وثانية خطط الرسول الحربية التطويق ، وهو من أهم فنون العسكرية الحديثة للقضاء على العدو بسرعة وقد استعمله الرسول في معاركه مع اليهود .

٣ ـــ المطاردة :

وثالثة الخطط العسكرية النبوية هي المطاردة . « والمقصود فيها ـ كما قال بعض رجال الحرب ـ ان الجيش المنتصر لا يترك الفرصة تسنح للجيش المنهزم فيعيد تنظيم قواته ، ثم يعود من جديد إلى الميدان ليكون شوكة جديدة في جانب الجيش المنتصر يجب ازالتها ولو بمعركة أخرى . وقد لمس قادة الحرب رغم اختلاف عصورهم قيمة المطاردة فها هو ذا خالد بن الوليد قـد أدركها وهو يدعو قومه لمطاردة الروم . . وها هو ذا نابليون يهاجم أعداءه ثم يطاردهم في معركة يانا ، وكفلت له نصراً ساحقاً . . .

وغزوة السويق تجعل محمداً عليه الصلاة والسلام في مكان الصداره في عالم القيادة والقادة . هذه الغزوة التي جعلت هذا الرسول العظيم مثلاً طيباً ومسرحاً تمثل عليه للأجيال المقبلة فكرة المطاردة ، فتقبلها وتقدرها وتستفيد منها .

وخلاصة ذلك محاولة أبي سفيان بعد هزيمة بدر أن يثأر لقريش ببعض رجال مكة ، وخرج على رأسهم فوجدوا اثنين من الأنصار في مكان يسمى العريض فقتلوهما وحرقوا بعض النخيل ، وعلم الرسول ﷺ فبادر مبادرته العجيبة ، ففر أبو سفيان فتعقبه الرسول ﷺ مطارداً حتى بلغ قرقرة الكدر ، وبدا تأثير المطاردة على نفسية المطاردين في هـذا الفزع والاضطراب الذي تملك جماعة أبي سفيان فأخذوا يلقون بما يحملون من زادهم وعتادهم والمسلمون المطاردون يأخذونه لأنفسهم . ومازال أبو سفيان جادا في فراره حتى اكتفى الرسول بهذه المطاردة وعاد إلى المدينة بعد أن بلغ مراده وحقق ماتصبو اليه نفسه (١) .

ومن روائع خطط الرسول العسكرية عليه الصلاة والسلام قيـامه بعد الفشل في احد بعمل بمطاردة المشركين في اليوم التالي حتى وصل إلى (حمراء الأسد) .

---

(١) محمد المحارب للصاع محمد فرج ص ٦١

٤ — المفاجأة :

ورابعة الخطط النبوية العسكرية المفاجأة ، وهي من أهم الخطط الحربية ، فهي لا تمكن العدو من الاستعداد واستخدام جميع قواه في ميادين القتال . وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعمد إلى هذه الخطة لفوائدها التي ذكرناها ، وتعويضاً عن النقص الذي كان يعانيه جيشه في العَدد والعُدد .

يقص علينا التاريخ أن غزوة بدر ما كانت تنتهي حتى سارع قوم غطفان في نجد يريدون قتال النبي انتقاماً لقريش ، فرأى الرسول أن يسارع للهجوم المفاجيء وتحطيم قواهم قبل أن يكمل استعدادهم ، فحشد لهم أربعمئة مقاتل من رجاله ، فضربوهم ضربة قاضية ، فطار صوابهم لمّا داهمهم المسلمون ، ففروا تاركين كثيراً من الغنائم .

وقد استخدم محمد عليه الصلاة والسلام خطة المفاجأة في كثير من غزواته وخاصة مع بني المصطلق .

٥ — خدعة العدو :

ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يضيف إلى خطة المفاجأة خطة الخدعة فكان يظهر للأعداء أنه يريد جهة غير جهتهم حتى إذا استسلم للراحة داهمهم على حين غفلة ، هكذا فعل في غزوة لحيان .

٦ — كتمان الحملات العسكرية :

إن كتمان الحملة العسكرية وسرعة الحركات الحربية وعدم إذاعة أخبار الجيش من أهم عوامل الانتصار .

ومن المأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه بعث عبد الله بن جحش ومعه كتاب ، أمره الا يفضه إلا بعد أن يسير بقوته يومين ، وبعد أن نفذ عبد الله أمر النبي ، فض الكتاب ، فإذا فيه : « سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك ، وامض فيمن تبعك ، حتى تأتي بطن نخلة ، فترصد بها قريش وتعلم لنا من أخبارهم » .

وتروي لنا كتب السيرة أنه بعدما انتهت موقعة أحد ، قام اثنان من بني أسد بحرضان قومهما على مهاجمة النبي بعد عودته وعودة المسلمين مهزومين ، فاتصل الخبر بالرسول فدعا اليه رجلاً من أصحابه وعقد له لواء سرية يبلغ عددها مئة وخمسين رجلاً وجاء ضمن أوامره أن يسيروا ليلاً ويختفوا نهاراً ، وأن يسلكوا طريقاً غير مطروق . وهذه التعليمات تتفق مع أرقى النظم الحربية الحديثة اليوم .

٧ — العناية بمؤخرة الجيش :

ان الاهتمام بمؤخرة الجيش من أهم عوامل النصر ، لذا نجد القادة العسكريين يعطون هذه المؤخرة كثيراً من عنايتهم . ولا شك ان الرسول سبق هؤلاء القادة جميعاً بهذه العناية ، فإنه عليه الصلاة والسلام ، ما كادت تصل قواته إلى أحد حتى أخذ في تنظيم جنوده وسارع إلى وضع خمسين من الرماة على جبل وقال لهم : « احموا لنا ظهورنا ، فإنا نخاف أن يجيئونا من ورائنا ، الزموا أماكنكم لا تبرحوا منه ، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدافعوا عنا . وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبال ، فإن الخيل لا تقدم على النبل » .

غير أن هؤلاء الجنود – ويالأسف – لم يتبعوا هذه الوصية العسكرية القيمة بعد أن رأوا نصر المسلمين ، ولم يقع في نفسهم احتمال الهزيمة ، فكانت مخالفتهم سبب الخذلان.

وقد ثبت الرسول عقب هذه النكبة ثباتاً عجيباً ، مما أدى الى عودة الشجاعة والاستقرار الى نفوس المسلمين ، فعادوا للالتفاف حول قائدهم وانقذوا الجيش الإسلامي من الفناء وقد قال محمد عبد الفتاح ابراهيم الأركان حرب بعد أن ساق عبارة للجنرال بيمين فى وصف الحرب الدفاعيه ، قال : « لو تعقبنا أدوار غزوة أحد من بدايتها ، لوجدنا محمداً عليه الصلاة السلام قد اتبع التدبير الفني تماماً في أحد قبل الف وثلاثمئة وستين عاما من كتاب الجنرال بمن ، وهو أحدث ما كتب في الحرب الدفاعية قبل جزر المقاومة وحقول الألغام » .

---

(١) عن كتاب محمد القائد .

وفي غزوة حنين جعل الرسول نفسه على مؤخرة الجيش بسبب خطورتها .

٨ — الخنادق :

علم الرسول عليه الصلاة والسلام بكثرة قريش في هجومها على المدينة ، فرأى أن خير طريقة لانقاذ الموقف ، والاقلال من الضحايا أن يسارع إلى حفر خنادق حول المدينة بناء على اقتراح سلمان الفاسي ، واشترك بنفسه في حفرها وأمر باخلاء المساكن الأمامية ، ثم وضع كمية كبيرة من الحجارة داخل الخندق لتكون سلاحاً بأيدي النساء والأطفال . . .

وفكرة الخنادق أصبحت في الحروب الحديثة ذات عامل كبير في كسب النصر وقد لجأت اليها فرانسا في الحرب العامة الأولى في حروبها مع الألمان كما لجأ اليها الاتحاد السوفياتي في دفاعه عن مدينة ستالينغراد .

أيها السادة :

وقد وقع المسلمون في هذه الغزوة بأزمة شديدة ، فقد باغتهم مشركو قريش من الخارج ، وخانهم اليهود من الداخل .

أيها السادة :

هذه بعض الخطط المادية العسكرية التي استخدمها قائدنا العظيم محمد ﷺ وهي مثار اعجاب عباقرة القواد الى يومنا هذا ، وقد أكسبته النصر بتأييد الله تعالى ، وتم له الاستيلاء على جميع الجزيرة العربية بسرعة عظيمة .

★ ★ ★

أيها السادة :

انكم تذكرون جيداً أن القومية العربية قد انقسمت في بدر إلى معسكرين معسكر الكفر والالحاد الذي كان ثلاثة أمثال معسكر الإيمان بالله . وكان يتزعمه أبو جهل الذي أبى أن يفتح الحرب الا بشرب الخمور وعزف القيان .

ومعسكر الإيمان الذي كان عديم العدد تقريباً ، وقد وصفه النبي بدعائه لربه فقال :

اللهم انهم جياع فأشبعهم !

اللهم إنهم حفاة فاحملهم !
اللهم إنهم عراة فاكسهم !
وكان من جملة دعاء النبي :
اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول ان تكذب رسولك .
اللهم فنصرك الذي وعدتني .
اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم لا تعبد !
قال أبو بكر الصديق :
وما زال الرسول يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءه وجعلت من ورائه أرد على منكبيه هذا الرداء وأقول له : « يانبي الله ! بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ماوعدك .

وبينما الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك خفق خفقة من نعاس رأى خلالها نصر الله وإمداده لجيش المسلمين بالملائكة ، وانتبه الرسول بعدها يبشر المسلمين ويقول لهم : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » .

وما كاد عليه السلام يتم كلامه حتى سرت قوة الإيمان في نفوس المسلمين ضاعفت عزمهم وجعلت كل رجل منهم يعدل عشرة رجال ، وكان الرجال والنساء والأطفال يتسابقون إلى طلب الاستشهاد في سبيل الله .

وقد بلغت القوة المعنوية في المسلمين الذروة وهي من أعظم عوامل الفوز ، قال نابليون بونابرت إن نسبة القوى المعنوية في الميدان الى القوى المادية كنسبة ٣ إلى ١ فتباً لمن يحاول أن يفقد الأمة العربية ايمانها بالله ليعرضها إلى الخطر !
قال العليم محمد حسين هيكل رحمه الله :
ما الوطنية إلى جانب ما كان الرسول يدعو اليه ؟ ! نعم ما الوطنية إلى جانب الوقوف في جنب الله .

إذا كانت النفس يزيدها حب الوطن قوة بمقدار مافي الوطن كله من قوة ،

فما أكثر مايزيدها الإيمان بخالق الوجود كله من قوة ! انه ليجعلها قديرة أن تسير الجبال وتحرك العوالم وتهيمن بسلطانها على كل من كان اقل منها في هـذا الأمر إيماناً . وهذا السلطان يزيد في قوتها المادية أضعافاً مضاعفة [1] » .

أيها السادة :

لقد أدرك حكماء اسرائيل ما للدين من أثر قوى في توجيه النفوس واندفاعها فأنشؤوا دولة اسرائيل المزعومة على أساس ديني وخصصوا للطلاب في الدين ما يزيد على خمس ساعات أسبوعيا ، وعنوا عناية كبرى بالدين في مدارسهم ومناهجهم ، وقد سبق أن خطب حاخام كبير من اليهود فقال : إننا قد اعددنا للعرب سلاحاً سرياً مخيفاً لقتالهم .

ولكن ماهو ؟

انه بضعة عشر اصحاحاً من التوراة !

أيها السادة لقد انتصر أجدادكم في بدر بطاعتهم لله ورسوله ، ولا سبيل إلى نصرنا الدائم إلا بذلك فاعملوا وثقوا بعون الله ونصره « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » .

أيها الأخ المؤمن .

تذكر كيف نصر الله المسلمين في بدر وهم أذلة .

تذكر – يا أخي – كيف كان العرب تتخطفهم الاعداء من كل جانب ، فلما دخلوا في الإسلام وأخلصوا لله عملهم وجهادهم نصرهم الله نصراً عظيما وفتح لهم الدنيا .

اللهم ان العرب والمسلمين اليوم على فوهة بركان تحيط بهم الأعداء من الداخل والخارج يريدون هدم دينك وتكذيب رسولك فنصرك الذي وعدتنا .

اللهم انصرنا على أعدائنا كما نصرت المسلمين الأولين في بدر ولا تؤاخذنا بما فعل الملاحدة منكرو الجميل منا يا أرحم الراحمين .

محمود مهدي الاستانبولي

---

(١) حياة محمد صلى الله عليه وسلم ٢٥٩ بتلخيص .

- تتمة المنشور على الصفحة ١٠٢ -

« مر طلحة بالنبي ﷺ فقال : شهيد يمشي على وجه الأرض » .

وهكذا رواه ابن ماجه (١٢٥) عن وكيع : ثنا الصلت الأزدي به .

ورواه الواحدي في « الوسيط » (٣/٢١٧/١) عن الصلت به مثل رواية الترمذي ، ورواه البغوي في « تفسيره » (٧/٥٢٨) من هذا الوجه بلفظ :

« نظر رسول الله ﷺ إلى طلحة بن عبد الله فقال : من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى هذا » .

وقد عزاه صاحب « مشكاة المصابيح » للترمذي في رواية له ، وهو وهم منه رحمه الله .

وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد يرتقي إلى درجة الصحة ، وهي وإن اختلفت ألفاظها فالمؤدى واحد كما هو ظاهر . والله أعلم .

وفي الحديث أشارة إلى قول الله تبارك وتعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) .

وفيه منقبة عظيمة لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، حيث أخبر ﷺ أنه ممن قضى نحبه مع أنه لايزال حياً ينتظر الوفاء بما عاهدالله عليه ، قال ابن الأثيرفي«النهاية» .

« النحب النذر ، كأنه ألزم نفسه أن يصدق أعداء الله في الحرب ، فوفى به ، وقيل : النحب الموت ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت » .

وقد قتل رضي الله عنه يوم الجمل . فويل لمن قتله .

فضل التوحيد والاستغفار

١٢٥ ـ « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي ، ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة » .

(يتبع) محمد ناصر الدين الألباني

-٦٧-

٤٥٧ - ﴿ أنا أولى من وفى بذمته . قاله ﷺ حين أمر بقتل مسلم كان قتل رجلاً من أهل الذمة ﴾ .

منكر ، أخرجه ابن أبي شيبة (١/٢٧/١١) والطحاوي (١١١/٢) والدارقطني (ص ٣٤٥) والبيهقي(٨/ ٣٠ - ٣١) من طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبدالرحمن بن البيلماني أن النبي ﷺ أتى برجل من المسلمين قد قتل معاهداً من أهل الذمة فأمر به فضرب عنقه وقال : فذكره .

وأعله الطحاوي بالإرسال وقد وصله الدارقطني والبيهقي من طريق عمار بن مطر نا ابراهيم بن محمد الاسلمي عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن ابن البيلماني عن ابن عمر به . وقال الدارقطني :

« لم يسنده غير ابراهيم بن أبي يحيى وهو متروك الحديث ، والصواب عن ربيعة عن ابن البيلماني مرسل عن النبي ﷺ ، وابن البيلماني ضعيف لا تقوم به حجة إذا وصل الحديث فكيف بما يرسله ؟! » .

واقره الحافظ في « الفتح » (٢٢ ١/١٢) ، ونقل البيهقي عن الإمام صالح بن محمد الحافظ أنه قال : « هو مرسل منكر » .

قلت : وروي من وجهين آخرين مرسلين :

الأول : عن يحيى بن سلام عن محمد بن أبي حميد عن محمد بن المكدر عن النبي ﷺ مثله . أخرجه الطحاوي .

وهذا مع ارساله ضعيف جداً : يحيى بن سلام ضعفه الدارقطني ، ومحمد بن أبي حميد ضعيف جداً قال البخاري : « منكر الحديث » وقال النسائي : « ليس بثقة » .

الثاني : عن عبد الله بن يعقوب عن عبد الله بن عبد العزيز بن صالح الحضرمي عنه ﷺ نحوه .

أخرجه أبو داود في « المراسيل » كما في « نصب الراية » (٤/٣٣٦) للزيلعي وقال: « وقال ابن القطان في كتابه : وعبد الله بن يعقوب وعبد الله بن عبد العزيز مجهولان ولم أجد لهما ذكراً » وأقره الزيلعي .

قلت : فهذه طرق شديدة الضعف لا يتقوى بها الحديث ، ويزيده ضعفاً أنه معارض للحديث الصحيح وهو قوله ﷺ :

« لا يقتل مسلم بكافر » .

أخرجه البخاري (١٢/٢٢٠) وغيره عن علي رضي الله عنه ، وبه أخذ جمهور الأئمة ، وأما الحنفية فأخذوا بالأول على ضعفه ومعارضته للحديث الصحيح ! وقد أنصف بعضهم فرجع إلى الحديث الصحيح فروى البيهقي عن عبد الواحد بن زياد قال : لقيت زفر فقلت له صرتم حديثاً في الناس وضحكة ! قال : وما ذلك ؟ قال : قلت : تقولون في الأشياء كلها : ادرؤا الحدود بالشبهات ، وجئتم إلى أعظم الحدود فقلتم تقام بالشبهات ! قال : وما ذلك ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ : « لا يقتل مؤمن بكافر » فقلتم يقتل به ! قال : فإني أشهدك الساعة أني قد رجعت عنه . ورواه أبو عبيد بنحوه ، وسنده صحيح كما قال الحافظ .

فهذا يبين لك بوضوح أثر الأحاديث الضعيفة بحيث أنه استبيح بها دماء المسلمين ! وعورضت بها الأحاديث الصحيحة الثابتة عن سيد المرسلين ﷺ .

٤٥٨ - « النساء لعب فتخيروا » .

منكر ، رواه الحاكم في تاريخه من طريق ابن لهيعة عن الأحوص بن حكيم عن عمرو بن العاص مرفوعا .

ذكره السيوطي في « اللآلي » (١٨٩/٢) شاهداً لحديث علي بمعناه قال ابن الجوزي فيه لايصح .

قلت : وهذا الشاهد سكت عنه السيوطي كغالب عادته ، وهو ضعيف جداً فيه ثلاث علل :

ابن لهيعه مشهور بالضعف ، والأحوص قال ابن معين وابن المديني : « ليس بشيء » ثم أنه منقطع بين الأحوص وعمرو . ولذلك قال ابن عراق (٢٢٦/٢) « سنده ضعيف » .

ومما يدل على نكارة الحديث أنه ثبت أن النبي ﷺ قال :

« إنما النساء شقائق الرجال » .

فيبعد كل البعد أن يصفهن عليه الصلاة والسلام بأنهن « لعب » .

وقد روي الحديث بأتم منه وهو ضعيف أيضاً ، وهو :

٤٥٩ ـ « إنما النساء لعب فمن اتخذ لعبة فليحسنها أو فليستحسنها » .

ضعيف ، رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده (ص ١١٦ زوائده) : حدثنا أحمد بن يزيد ثنا عيسى بن يوسف عن زهير بن محمد عن أبي بكر بن حزم مرفوعاً .

قلت : وهذا إسناد ضعيف ، وفيه ثلاث علل :

الارسال ، فإن أبا بكر وهو ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري تابعي مات سنة (١٢٠) .

وضعف زهير بن محمد الخراساني الشامي .

وأحمد بن يزيد لم أعرفه .

وهذا الحديث مما فات السيوطي فلم يورده في « الجامع الكبير » ولا في « اللآلي » وكذلك فات ابن عراق فلم يورده في « تنزيه الشريعة » .

٤٦٠ - « فيما سقت السماء العشر ، وفيما سقي بنضح أو غرب نصف العشر في قليله وكثيره » .

موضوع بهذه الزيادة : « في قليله وكثيره » رواه أبو مطيع البلخي عن أبي حنيفة عن أبان بن أبي عياش عن رجل عن رسول الله ﷺ .

قلت : وهذا موضوع : أبو مطيع البلخي واسمه الحكم بن عبد الله صاحب أبي حنيفة قال أبو حاتم : « كان كذاباً » وقال الجوزقاني : « كان من رؤساء المرجئة ممن يضع الحديث » وضعفه سائر الأئمة ، وقد اتهمه الذهبي بوضع حديث يأتي عقب هذا ، وأبان بن أبي عياش متهم أيضاً وقد مضى له أحاديث .

والحديث أورده الزيلعي في « نصب الراية » (٢/٣٨٥) وقال :

« قال ابن الجوزي في « التحقيق » : واحتجت الحنفية بما روى أبو مطيع البلخي عن أبي حنيفة . . . قال : وهذا الاسناد لايساوي شيئاً ، أما أبو مطيع فقال ابن معين : ليس بشيء . وقال أحمد لاينبغي أن يروى عنه . وقال أبوداود : تركوا حديثه . وأما أبان فضعيف جداً ، ضعفه شعبة » .

قلت : بل كذبه شعبة كما في الميزان وقد تقدم .

ومما يدل على كذب هذا الحديث أن البخاري أخرجه في صحيحه من حديث ابن عمر بدون قوله : « في قليله وكثيره » فهذه الزيادة باطلة ويزيدها بطلاناً مافي الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » وبهذا الحديث الصحيح أخذ الإمام محمد خلافاً لشيخه أبي حنيفة كما صرح به في « كتاب الآثار » (ص٥٢) .

فهذا من آثار الأحاديث الضعيفة ايجاب مالم يوجبه الله على عباده ! وعلى الرغم من هذا فإننا لانزال نسمع بعضهم يجهر بمثل هذا الإيجاب أخذاً بما تقتضيه المصلحة كما زعموا !

(يتبع)

محمد ناصر الدين الألباني

منهج النقد في أدبنا القديم

للأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون

— ٢ —

ويتجلى هذا المظهر البدائي للنقد في الرواية التي آثرت الأدب المنقح ، والاسلوب المحبر ، فإن الشعراء عندما رأوا أن تلك العيوب تقصر بآثارهم الأدبية عن الذيوع والرواية أخذوا أنفسهم بالحبر والتنقيح ، وهما مظهر مهم من مظاهر أثر النقد ، وأخذوا أنفسهم بالاسترشاد بالفحول والأخذ عنهم والثقة بهم ، ورأوهم يعيبون على مهلهل بن ربيعة أنه كان يتكثر ويدعي في قوله بأكثر من فعله كما يقول ابن سلام الجمحي ، فهواذ يقول :

ولولا الريح اسمع أهل حجر   صليل البيض تقرع بالذكور

يفرط أشد الإفراط ، ويتجاوز المألوف وينأى عن المعقول ، ورواهم كذلك يعيبون على عنترة الفوارس قوله :

وأنا المنية في المواطن كلها   والطعن مني سابق الآجال

لأنه اغراق في الخيال المتكثر ، وسمعوهم يذكرون أن سوءة بن أبي خاذم يأخذ على أخيه بشرة هذا التنافر الموسيقي الذي يحدثه اختلاف حركة القافية في بيته :

ألم تر أن طول الدهر يسلي   وينسى مثل مانسيت جذام

وكانوا قومنا فبغوا علينا   فسقناهم إلى البلد الشآمي

فيقولون له : إنك تقوي فقال : وما الإقواء قال : قلت : (كما نسيت جذام) ، ثم قلت (إلى البلد الشآمي) فقال بشر : قد تبينت ولست بعائد

وسمعوا طرفة بن العبد ينقد المسيب بن علس ، أو المتلمس — على اختلاف الروايات في نسبة الشعر — بأنه وصف الجمل بصفة النوق فوضع اللفظ في غير موضعه

قال المرزباني في كتاب (الموشح) مر المسيب بن علس بمجلس بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه فأنشدهم :

الا أنعم صباحاً أيها الربع واسلمي نحييك عن سخط وأن لم تكلم

فما بلغ قوله :

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

كملت كناتر لحمها حمرية مواشكة تنفي الحصي بمثلم

كأن على انسائها عذق خصبة تدلى من الكافور غير مكتم

فقال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان (استنوق الجمل) فقال له المسيب لما سمعه : ياغلام من أنت ؟ فقال طرفة بن العبد ، قال المسيب . ما أشبه الليلة بالبارحة .

وهنا يعرض شيء من الاستطراد المفيد ، وهو أن بعض العلماء المعنيين بتسقط شواهد متن اللغة ، لايرون العربي معرضاً للخطأ في استعمال الألفاظ ، وهم يتخذون قوله حجة دون نظر وراءه ، وهناك حذاقهم لايذهبون هذا المذهب ويحكمون بالتخطئة على القائل إذا جانب المعروف في الاستعمال ، يقول ابن منظور في (اللسان) وهو يسوق هـذا الشعر شاهداً والصيعرية اعتراض في السير ، وهو من الصعر ، والصيعرية سمة في النوق خاصة . وقال أبو علي في التذكرة . الصيعرية وسم لأهل اليمن لم يكن يوسم إلا النوق ، وقول المسيب بن علس :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

يدل على أنه يوسم به الذكر - ولم يقـل يدل على خطأ الشاعر ! قال أبو عبيدة : الصيعرية سمة في عنق البعير ، ولما سمع طرفة هذا البيت من المسيب قال : استنوق الجمل ، أي أنك كنت في صفة جمل ، فلما قلت (الصيعرية) عدت الى ماتوصف به النوق يعني (الصيعرية) سمة لاتكون إلا للاناث خاصة . هذا كلام بن منظور .

وأبو هلال العسكري في (الصناعتين) يذكر أن هـذا الشعر للمتلمس ، وهو خال طرفة ، ولما عابه طرفة قال له : ويل لرأسك من لسانك ، وقتل طرفة في ربيع الشباب ، أخذ رأسه لسانه .

كان لهـــذه اللمحات النقدية أثر في تنقيح ما يقال حتى اتخذ جماعة من فحول الشعراء أنفسهم به ، يقول أبو هلال : (وكان التنقيح دأب جماعة من حذاق الشعراء المحدثين والقدامى ، منهم زهير ، كان يعمل القصيدة في سنة ، ثم يهذبها في ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى الحوليات – واضح أن ذلك في خاص شعره . وكان الحطيئة يعطي القصيدة في شهر ، وينظر فيها ثلاثة أشهر ، ثم يبرزها) ويروي الجاحظ عن الحطيئة أنه كان يقول : خير الشعر الحولي المنقح .

وذكر النقاد أن امرأ القيس كان يتوكأ في شعره ، على أبي داود الإيادي ، ويروى أن زهيراً كان يتلمذ لأوس بن حجر وكان روايته وانه اعتمد على بشـــامة ابن الغدير واخذ عنه ، وان بشامة قال له أحسب شعري ورثته ورويته عني . وكان الحطيئة راوية لآل زهير . روى البغدادي في الخزانة . أن الحطيئة أتى كعب بن زهير فقال له : قد علمت روايتي لـكم وانقطاعي اليـكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك فلو قلت شعراً تبـدأ فيه بنفسك ثم تثنى بي وإن الناس لأشعاركم أروى . فقال كعب :

فمن للقوافي شانها من يحوكها   إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

نقول فـــلا نعيا بشيء نقوله   ومن قائليها من يسيء ويعمل

نثقفهـــا حـــتى تلين متونهـــا   فيقصر عنهـــا كل ما يتمثل

ولا ريب أن كل القصائد المشتهرة في الأدب العربي بعنوان (المعلقات) أثر جيد من آثار النقد الأدبي عندهم ولا يعنينا أنهم تخيروها فعلقوها على الكعبة بعد أن كتبوها على القباطي بماء الذهب – كما يقول بعض الرواة منهم عبد القادر البغدادي ، وابن عبد ربه صاحب العقد ، ولكن الأديب المصري الحاذق والعالم الناقد أبا جعفر النحاس ينكر هذا المذهب ويقول ان الرواة لا يعرفون هذا ، وهذا رأي يرتاح له المحدثون من الأدباء والنقاد . وقد أخذ النقد الأدبي مظهراً أوسع وأعمق ، من هذا المظهر الفطري : في مجتمعات العرب واسواقهم المشهورة ، التي لا تأبى علينا اللغة

والأوضاع الاجتماعية التي كانت لهم ان نسميها مدارس النقد، بل لقد ذهب بعض الباحثين من القدماء الى أنه كانت لهم في تلك المجتمعات قوانين يتدارسونها، وعليها كان يقوم فن النقد بينهم، وهي كانت أصلاً لما استخرجه علماء البلاغة فيما بعد. يقول الناقد الأديب أبو الحسن حاز الأنصاري في (المناهج الأدبية) (لم تكن العرب تستغني بصحة طباعها عن تسديدها وتقومها باعتبار معاني الكلم بالقوانين المصححة لها، وجعل ذلك علماً تتدارسه في أنديتها، ويستدرج به بعضهم على بعض، وقد نقل الرواة في ذلك الشيء الكثير، ولكنه مفرق في الكتب، لو تتبعه متتبع متمكن من الكتب الواقع فيها ذلك لاستخرج منه علماً كثيراً، موافقاً للقوانين التي وضعها البلغاء في هذه الصناعة).

وسوق (عكاظ) أشهر تلك المجتمعات الأدبية، وتحكيم النابغة الذبياني بين الشعراء فيها أشهر (مدارس النقد) المتقدمة، وقصة النابغة في نقد شعر حسان بن ثابت والخنساء، والأعشى، مشتهرة في كتب الأدب ولكنها مضطربة، وهي على اضطرابها تعطي الباحث صورة عن لون النقد الذي كان يلائم حياتهم. وقد يكون من المفيد أن نختم هذا البحث بشيء من التحقيق يتتبع روايات هذه القصة.

يقول المرزباني في (الموشح) إن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى، ميمون بن قيس (أبو بصير) ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري شعره الذي يقول فيه:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرّق ... فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنك قللت جفانك، وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك. قال أبو بكر الصولي: فانظر الى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره اهـ. كلام المرزباني.

ويقول أبو الفرج في الأغاني. إن الخنساء أنشدت النابغة بعد الأعشى وكان عنده حسان قولها:

وان صخراً لتأتم الهـداة به كأنه علـم في رأسه نار

وان صخراً لمولانا وسـيدنا وان صخراً إذا نشتو لنحـار

فقال لها النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت : إنك اشعر الناس ، أنت والله اشعر من كل ذات مثانة ، قالت : والله ومن كل ذي خصيتين ، فقال حسان : أنا والله اشعر منك ومنها قال :

حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنـا الجفنـات الغـر . . . . . الـخ

وذكر النقد الذي ساقه المرزباني .

والشك في هـذه القصة قديم عرض له النقاد القدامى ، بعضهم أنكر تفصيلها ، وبعضهم شك فيها كلها ، قال قدامة بن جعفر في (نقد) الشعر عنـد حديثه عن الغلو في المعنى – وهو مذهب دخيل على الأدب العربي ، يمثله قدامة في النقاد ، ثم إني رأيت هؤلاء في وقت يستحسنون مايرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله :

لنـا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجـدة دما

وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان في (قوله) (الغر) وكان ممكننا أن يقول (البيض) لأن الغرة بياض قليل في لون آخر غـيره . وقالوا فلو قال (البيض) لـكان أكثر من (الغرة) وفي قوله (يلمعن بالضحى) ولو كان (بالدجى) لـكان أحسن ، وفي قوله (وأسيافنا يقطرن من نجدة دما) قالوا ولو قال (يجرين) لـكان أحسن إذ كان الجري أكثر من القطر .

ثم قال قدامة فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هـذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير الذي كانوا معتقدين به من الإنـكار على مهلهل والنمر وأبي نواس ، لأن المذهب الأول انمـا هو لمن أنكر الغلو ، والثاني لمن استجاده فإن النابغة على ماحكي عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو ، وعلى أن من أنعم

النظر علم أن الرد على حسان من النابغة كان أو من غيره خطأ ، وإن حساناً مصيب إذ كانت مطابقة الحق في يده ، فاما قول النابغة ، أو من قال : ان قوله في السيوف (يجرين) خير من قوله يقطرن ـ لأن الجري أكثر من القطر ـ فلم يرد حسان الكثرة ، وإنما ذهب إلى مايلفظ به الناس ويعتادون من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا : سيفه يقطر دما ، ولم يسمع : سيفه يجري دما ولعله لو قال : (يجرين) دما لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع بالنجدة إلى مالم تجر به عادة العرب بوصفه) أه كلام قدامة .

فالشك في القصة يتراءى بين ظلال عبارة قدامة ، وهو شديد الحرص في دفع هذا النقد عن شعر حسان ، وقد يبدو للبحث بعض الوجوه التي تؤكد عدم الاطمئنان إلى تفصيلات هذه القصة :

الوجه الأول ـ اختلاف الروايات فيها اختلافاً بعيد المدى مما يدل على دخول التزيد في تفاصيلها .

الوجه الثاني ـ ما اشتملت عليه بعض رواياتها من تعليل النقد تعليلاً علمياً منطقياً يعتمد على قواعد اصطلاحية تشبه ألا يكون هذا اللون من التعليلات مما ألفه العرب السليقيون ولا هو من متعارفهم ، وهذا يبدو واضحاً في الرواية التي تزعم أن النابغة قال لحسان : لوقت بالدجى لكان أحسن ، إذ كل شيء يلمع بالضحى ولو قلت يبرق لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف أكثر طروقاً بالليل ، وقلت يقطرن فدللت على قلت القتلى ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم وهكذا مما استقصى جزئيات البيت وألفاظه ، واستوعبه تحليلاً في تعليل يشبه تعليلات علماء الكلام وقدامى المناطقة ، وهذا شيء لم يعهد في اسلوب العرب المتقدمين .

الوجه الثالث ـ ان سيبوبة استدل في الكتاب بالبيت الأول من بيتي حسان على أن الجمع بالتاء قد يراد به الكثرة قال : وقد يجمعون بالتاء وهم يريدون الكثير قال الشاعر :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فلو كان ما زعم على النابغة من نقد البيت صحيح الصدور عنه ، وهو من أفصح من فصح الشيح والقيصوم لما ساغ لإمام العربية وشيخ النحاة أن يستدل بالبيت موضع النقد على أن الجمع بالتاء قد يأتي للكثرة دون تنبيه على هذا النقد .

الوجه الرابع - أن صاحب (المثل السائر) روى هذا النقد عن الصولي وغيره من محدثي العصر العباسي ولم يشر إلى قصة النابغة ، قال : ووجدت أبا بكر[1] محمد ابن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله : لنا الجفنات البيت ، وقال إنه جمع الجفنات والأسياف جمع قلة وهو في مقام فخر ، وهذا مما يحط من المعنى ، ويضع منه . وقد ذهب إلى هذا غيره أيضاً ، وليس بشيء لأن الغرض إنما الو الجمع سواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة .

ومن ينعم النظر في عبارة الصولي هذه التي يرويها ابن الأثير يرى فرقاً ظاهراً بينها وبين العبارة المروية عن النابغة ، والتي ذكر صاحب الموشح ان الصولي نفسه أعجب بها ايما اعجاب .

فعبارة الصولي عند ابن الأثير تشعر بأن الصولي أبو عذرة هذا النقد ، وعبارة المرزباني صريحة في أن النقد انما كان من النابغة ، ولم يكن من الأديب الصولي إلا اعجابه بجودة نقد البلاغة ، وإذا أمكن القول بأن الصولي في عبارة بن الأثير انما عبر عن نقد النابغة كما رواه وحفظه بعبارة متصرفة من اسلوبه فإنه يسأل حينئذ فكيف لم يومىء ابن الأثير إلى النابغة من بعيد أو قريب .

واياما كان فالشك في القصة انما يتجه الى تفاصيلها ، أما اصلها فلا سبيل الى الشك فيه لأن الرواة يجمعون على أن سوق عكاظ كان من أندية العرب الأدبية وأن النابغة كان يجلس للشعراء فينشدونه وعندئذ ليس ببعيد أن يوازن النابغة بين الشعراء فيفضل شاعراً على شاعر ، وشعراً على شعر ، وإذ ذكرت القصة بروايات مختلفة ، وتزيد فيها بعض الرواة ، فالقدر المجمع عليه منها بين القدماء والمحدثين يجب

---

(١) المجلة : في اصل المقال إبهام من الآلة الناسخة ، والذي نعرفه أن الصولي هو أبو إسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد .

من اعجاز القرآن

قال الإمام الباقلاني وهو يذكر وجوه الإعجاز :

(. . . ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هـذه الفصاحة والغرابة والتصرّف البديع والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة والحكمة الكثيرة والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول وعلى هذا القدر . وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة ، والى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال ، ويعترضها ماتكشفه من الاختلاف ، ويقع فيهـا ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف ...)

التسليم به ، وهو كاف في الدلالة التاريخية على منهج النقد الأدبي بين القدامى من الأدباء .

واقرب الروايات في نظرنا رواية أبي علي القالي في ذيل الأمالي حيث يقول جاء حسان بن ثابت رضي الله عنه الى النابغة ، فوجد الخنساء حين قامت فأنشده قوله :

أولاد جفنة حول قـبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبـل

فقال : انك لشاعر ، وان اخت بني سالم لبكاره .

هـذا منطق السليقة والفطرة فإن كان واقعاً فهو الحق ، وان كان مصطنعاً فصانعه صناع مقارب معقول .

الإسكندرية : محمد الصادق عرجون

الحرية الدينية في الإسلام وحده

للأستاذ الشيخ محمد علي الزعبي



الإسلام في اللغة الاستسلام والطاعة والخضوع لأمر الله واتباع وحيه فهو لذلك دين جميع الأنبياء والرسل، دين الفطرة والإنسانية، دين جميع البشرية، إذ جاء بوحدانية الله المطلقة المنزهة التي جاء بها الرسل وأنست بها الفطرة وصفقت لها الغريزة.

الإسلام في الاصطلاح

والإسلام اصطلاحاً، دين القوم الذين آمنوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به وحياً من عند الله فكان القرآن كتابهم المنزل فاشتركوا بالتوحيد وما اليه من أركان العقيدة مع جميع أهل الأرض بما أيدته فطرتهم، وانفردوا بعبادات تجدد الصلة بمن آمن به من جميع الناس.

> ينشد الإسلام كل منصف ويراه بعد أن يبحث فيه يلبي فطرته النقية الصادقة وآماله الصحيحة، كما يلبي دعوة الحرية العادلة التي لم تصن في دين أو قانون صيانتها في الإسلام العظيم دين الحق والحرية.

الاسلام منهاج حياة

والإسلام منهاج حياة يفضي للسعادة في الدنيا والآخرة فينظم العلائق بأحكامه بما يدعوه الفقهاء قسم المعاملات ، فهو للمسلمين تكليفي ولسواهم تخييري .

الاسلام دين الانسانية الطبيعي

ولئن اتفق الإمبراطور المغولي الهندي (أكبر) منذ أربعة قرون مع خدام جميع أديان الهند على احتفاظ كل طائفة بدينها الخاص بشرط هو الالتقاء بمبدأ واحد من محبة الهند والدفاع عنها إذا حاول مسها طامع دخيل .

ولئن تمنى الفيلسوف الفرنسي (اوغست كونت) أن لو ظفرت الإنسانية كلها بدين يجمع شملها وينجيها من هاوية التطاحن ويبعدها عن تلك الهاوية .

لئن اتفق ذاك وتمنى هذا فإن الإسلام في نظرته الى جميع الأسرة الإنسانية بالعين العالمية ، هو طلبة الامبراطور ومنية الفيلسوف ، ورجاء الإنسانية ، إذ هو دينها الطبيعي ، وعلى فهمه وتطبيقه تتوقف نجاة مستقبلها ، فهو دواؤها المركب من عدة عناصر لم يشتمل على مثلها أو مثل كل عناصرها سواه .

فاليهودية مثلاً تفقد الروح العالمي وعقيدة البعث والتشريع العالمي المتطور ، والإنجيل يرينا المسيح (ع) محجماً عن القيام بدور تفاهم بين شقيقين اختلفا حول ميراث ، والقانون الروماني على رغم عناية الغرب به ، وما صقلته جهود الشراح والعلماء ، مادي شكلي جامد النظرة ، لا قيمة له إلا من الناحية التاريخية وقد انطوى زمنه !

الهلال الذي صار بدرا

أجل الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل فكأنه هلال يترنح مذ عرفت الأرض الرسالات ، واتسق بدراً في صحراء العرب ودنيا الإنسانية وستبقى دورة الفلك عاجزة عن الحاقه بدور المحاق . وهو شمس أشرقت على يد خاتم الرسل ﷺ ، فأسعدت وأحيت وأنارت وأشرقت من مكة ولا تزال تتحدى الأفول .

الوسط الذهبي

ولم يقم الإسلام على دعامة قومية ضيقة تستنير بما تحرقه من حطام الناس ، كما أنه لم يقتل الروح بسيف الجسد ، أو الجسد بسيف الروح ، بل وقف وسطا بين المبالغين ، بين الانتقام المطلق والتسامح المطلق ، ولم ير الذهب أو الفضة رباً ثانياً ولم يهمل الاهتمام بالغد (بحجة أن الغد يهتم بنفسه) بل انه ليبتغي الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا ، وهو والفكر والحكمة صنوان وهو والسعادة لفظان مترادفان لاتلتوي على النظر عقائده ولا تخفى على المنطق حكمه ، ومبادئه وأحكامه ظاهرة التعليل !

وإن الإسلام ، بعد هذا وذاك ، حضارة قائمة بنفسها مجردة عما رافق الحضارات الغابرة والمعاصرة من أوضار ، فكل ما رأيناه أو نراه أو سوف نراه من العدل في العالم هو بعض عدله ، اذ هو مصدر العدل ونهاية القفزات ومنتهى الغايات ، بل هو :

نسيج وحده

فإنه يفرض الحرية الدينية لجميع أمم العالم في شتى الآيات والسور ويؤكدها في كل مناسبة .

« لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » (البقرة ٢٥٦) « قل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » (الشورى ١٥) « لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه » (الحج ٧٦) .

وها نحن أولاء نشاهد رسول الله ﷺ يفسر بسيرته الكريمة معاني هذه الآيات ويعطي أهل الكتاب وثائق تؤكد تلك الحرية وتشرح أهدافها .

وأقدم الوثائق النبوية الوثيقة التي أعطاها للداريين رهط الصحابي تميم الداري .

هذه الوثيقة ـ كما روى صاحب تاريخ صبح الأعشى ـ مكتوبة على جلد بخط الإمام علي ، وقد قال هذا المؤرخ (وهو من رجال القرن الهجري التاسع) : انها لاتزال بأيديهم أيدي الداريين (من نصارى فلسطين) .

وأمثال هذه الوثيقة وثائق ومعاهدات كثيرة لليهود والنصارى وكلهـا شروح تطبيقية لتلك الآيات الكريمة .

عهود الخلفاء والملوك

وقد درج الخلفاء الراشدون ، بل وجميع ملوك المسلمين من العرب وسواهم حتى في أظلم عصور الانحطاط ، درجوا على هـذا النهج النبوي ومنحوا بطاركة وحاخاميم الكتابيين عهوداً تحفظ لهم محاكمهم وأنظمتهم الشخصية ، وتصرح بأن الإسلام لا يجبرهم على التقيد بأحكامه .

وإن من طوى القرون لحظات وعاد بالخيـال الى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وشاهد مسلمي الأندلس يطردون بعشرات الألوف وجيوش الصليبيين تحاول ابتلاع الشـام ومصر ، وشاهد بالوقت نفسه العهد المعطى الى البطريرك عبد يشوع الذي تولى كرسي انطاكية عام ١٠٩١ .

من شاهد هـذا تحقق أن المسلمين حتى في أحرج الأوقات لا يأخذون الجار بذنب الجار ، لأنهم أمة العدالة الإسلامية ، وليسوا أهل عصبية .

ولم تكن تلك الحريات تمنح لطائفة دون طائفة فما يعطي للبطريرك الماروني (موسى العكاري) يعطي لبطريرك القسطنطينية لأن المصدر في ذلك عقيدة واحدة ومبدأ واحد من سماحة الإسلام وعدالته .

ولم تكن حرية العقيدة مقتصرة على الطقوس والعقائد الدينية بل تحفظ لهم حرية الرأي فيعرضهم علينـا الجاحظ (يناقشون وينافسون) والدكتور حتى (يجادلون الخلفاء أنفسهم) والسيد محسن الأمين (يوجهون أسهم الانتقـاد للملوك أمام ولاتهم) .

وقد أدرك حكماء الكتابيين رفق الإسلام وعدله ، فكانوا ولا يزالون يطلبون تحكيمه في كثير مما شجر بينهم .

وكان الجامع الإسلامي مدرسة لجميع المواطنين على اختلاف العقائد ومحكمة

للأستاذ محب الدين الخطيب

... ان هذا العالم الإسلامي الذي نعتز بالانتساب اليه ، ونعيش لإسعاده والسعادة به ، قد افتتح أكثره في الدولة الإسلامية الأولى بعد الخلفاء الراشدين ودخل معظم شعوبه في هداية الإسلام على أيدي الخلفاء الأمويين درلاتهم وقواد جيوشهم ، اتماماً لما بدأ به صاحبا رسول الله ﷺ وخليفتاه الأولان – أبو بكر وعمر – سلام الله عليهما ، ورضي عنهما وأرضاهما ، وأحسن جزاءهما عنا وعن الإسلام نفسه وجميع أهله .

وان حادثة انتشار الإسلام ، ودخول الأمم فيه ، أصبحت في ذمة التاريخ ...)

للجميع ، فقد حدثنا صاحب صبح الأعشى أن الرشيد أرسل أبا عبد الرحمن محمداً بن مسروق قاضياً على مصر عام ١٧٧ فاتخذ المسجد محكمة وراجعه الكتابيون والمسلمون .

وقد ذكر المؤرخون أن الملك الأموي أوجعه سجن شاعره الأخطل فاستشفع بنفسه لبطريرك دمشق ليطلق سراحه .

* * *

هذه قطرة من بحر عدل الإسلام وسماحته وخيط من شعاع شمسه ، ومنها يرى القارىء الفرق بينه وبين أنظمة الرسالات البدائية ، وقوانين الناس الوضعية ، ويراه أسمى مما يشاهد في واقع الشعوب التي حجبت جماله بصفيق جهلها ، ويتحقق أن ما بلغه الناس الآن من تساهل فيما بينهم ، هو الحرف الأول من ابجدية عدل الإسلام وسماحته ، فمتى تعرف الأمم فضله وتحله محله من الإنصاف والتجلة والأخذ بهدايته ؟ !

بيروت :

محمد علي الزعبي

مدرّس الجامع العمري

هند بنت عتبة

للأستاذ محمد السباعي الحفناوي

هند أم معاوية : بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد عناف ، جاءها أبوها يوماً يشاورها في رجلين من قومها ، فاستخبرته عنهما ، فقال يصفهما : (أما أحدهما ففي ثروة وسعة من العيش ، إن تابعته تابعك ، وإن ملت عنه حط إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله ، أما الآخر فموسع عليه ، منظور إليه في الحسب الحسيب ، والرأي الأريب ، مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة لا ينام على ضعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله) .

فقالت : (يا أبت الأول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ؟ ساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فمن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمه علي . وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة (اللؤلؤة التي لم تثقب « الخرائد » البنات الأبكار) الحرة العقيلة ، (كريمة الحي) وإني لأخلاق مثل هذا موافقة فزوجنيه .) والاثنان من قومها ، أما الأول فهو مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، والثاني أبو سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس ، وكان مسافرا سيداً جوادا ، وهو أحد شعراء قريش ، وله شعر في هند ، وكان يهواها ، وخطبها إلى أبيها قبل أبي سفيان ، فلم يرض ثروته وماله ، فلما تزوجها أبو سفيان الذي اختارته لنفسها ، حزن مسافر ، وانتهى به الحزن

إلى أن مات ، وكانت هند من أصحاب البصر بالتجارة وشئون المال ، وكانت تهتم بالتجارة كأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، وكانت تصرف معظم وقتها في تمويل القوافل ، وهي القائلة : « المرأة طوق فانظر ما تضعه في عنقك » .

هند وقتل حمزة : استقر رأي بعض النسوة من المتعطشات إلى الدماء ، على الخروج مع الجيش يبكين قتلى بدر ، ويأخذون بالثأر ، وعلى رأسهن هند ، كما يقول بعض المؤرخين ، والعقل يستبعد متابعة هند للجيش ، لأن كل الذين قتلوا في بدر سادة قومهم ، لم يحبكوا هذه الأسطورة لأنهم وضعوها بعد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية (رض) ، وحددوا عدد النسوة بخمس عشرة امرأة ، لا أدري : لما لا يقولون سبعين امرأة بعدد القتلى ، تاركين عدد الأسرى ، ادعوا زوراً وبهتانا أن هنداً كانت تحرضهن على القتال وعدم الهزيمة ، فلما التقى الجمعان وحميت الحرب ، قامت هند في النسوة وأخذن الدفوف ، يضربن خلف الرجال ويقلن :

نحن بنـــات طارق نمشي عـــلى النمارق

إن تقبلوا نعـــانق أو تدبروا نفـــارق

ويقلن أيضا : ويهاً بني عبد الدار ويهـــا حماة الأدبار

والطارق النجم ، قال تعالى : « والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب » ، قيل هو زحل : أي نحن بنات من بلغ العلو وارتفـاع القدر كالنجم ، واعترض بأنها هند ، لأنها لو أرادت النجم لقالت : (نحن بنات الطارق) ثم رأيت هذا الرجز – لهند بنت طارق – وحينئذ فليس المراد بطارق النجم ، وإنما هو الرجل المعروف ، كأنها قالت : نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف ولو كانت هند بنت عتبه لما قالت : (ويها بني عبد لدار) لأنها من صفوة سلالة ابن عبد مناف ، وربما يكون هذا الرجز ، ليس من رجز نســـاء قريش ، إذ يقول سبط بن الجوزي : (وساروا أي قريش بالقيان والمعازف والخمور والبغايا) لم يذكر الحرائر ومحال المحال اجتماع الحرائر بالبغايا ، بل كان السفاح بالبغاء العلني

عند العرب خاصاً بالإماء دون الحرائر ، وربما يكون هذا الرجز من رجز خدم هند ، إذ يقول عبد الله بن الزبير عن أبيه : (ابن هشام ج ٢ ص ٨٢) « والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل أو كثير ، ومما لا شك فيه لو خرجت هند مع الجيش لخرج معها جميع النساء ، ولم لا يسبيها المسلمون وقد سبوا كثيراً من نســاء الملوك وبناتهم ، ولم لم تخرج امرأة أبي جهل ، وأمية ابن خلف ، وعتبة ، وشيبة وأضرابهم ، وكلهم من سادة قريش ؟

هند ووحشي بن حرب : يقولون إن هندا حرضت وحشياً على قتل حمزة ، وكأنه لا يوجد عند أبي سفيان وهو سيد مكة ورئيس جيشها ، عبد مثل عبد طعيمة قلما تخطىء حربته .

يروي لنا ابن هشام : أن جبير بن مطعم ، دعا غلاما له حبشيا ، يقال له وحشي يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطىء بها ، فقال له اخرج مع الناس : فإن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق .

ويروي لنا ابن الأثير : أن جبير بن مطعم ، دعا غلامه وحشيا ، وكان حبشيا يقذف بالحربة قلما تخطىء فقال : (أخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق .

ويحدثنا صاحب السيرة الحلبية : أن جبير بن مطعم دعا غلامه وحشياً فقال له : (أخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق ، لأن حمزة هو القاتل لعمي .

وقيل : ان ابنة سيده طعيمة الذي قتله حمزة ، قالت لوحشي : (إن قتلت محمداً أو حمزة أو علياً في أبي فإني لا أرى في القوم كفؤاً له غيرهم فأنت عتيق) . ا شأن هند : والعبد عبد طعيمة المقتول ، سيد بني عدي ، الذي قتله حمزة ، . عبد جبير بن مطعم ابن أخيــه ، وهل لا يوجد عبد عند بني أمية وهم سادة

العرب حتى تستعين هند بوحشي عبد بني عدي ، علماً بأن المشركين قتلوا من المسلمين سبعين ضحية ومثلوا بهم ، من ضمنهم حمزة (رض) ، ولم تعرف جثته إلا بعد فحص جثث القتلى .

وهناك ظاهرتان : الأولى أن حمزة قتل شيبة عم هند ، وقد قتل علي ابن أبي طالب أخاها الوليد ، واختلف عبيدة بن الحارث وأبوها عتبة ضربتين أدتا إلى موتها ، ومما لا شك فيه أن الوليد أخاها ، أعز عندها بكثير من عمها شيبة ، فلم لا تحرض على علي (رض) ؟ الظاهرة الثانية أن العبد وحشي الذي قتل حمزة ، لم يذكر هنداً مطلقاً ، في حديثه مع رسول الله ، بل وحديثه مع الناس جميعاً طول حياته ، علماً بأن الرسول ﷺ قال لوحشي : أخبرني كيف قتلت حمزة ، فأفضى لرسول الله بكل شيء ، ولم يذكر شيئاً عن هند . وهناك ظاهرة ثالثة وهي أن أبا سفيان ومن معه من المكيين لم يعلموا بموت حمزة إلا بعد فحص الجثث وكان كل اهتمامهم أن يروا بين القتلى أبا بكر وعمر وطلحة والزبير وعثمان وأضرابهم .

لقد قتل في بدر سبعون رجلاً وأسر سبعون وكلهم سادة ، ولكن الأسطورة متواترة على خمس عشرة امرأة بينهن هند ، ولكن معظم كتب الأئمة لم تذكر خروج النسوة وخصوصاً الحرائر ، وكانت عادة العرب خروج القيان والبغايا كما حصل في غزوة بدر ، ولقد توسع الإمـــام ابن القيم وأسهب في غزوة أحد ، ولم يذكر وجود نساء مطلقاً ، كذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى لم يقل غير : (وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف وعددهن خمس عشرة امرأة) .

اسلام هند : فلما كان يوم الفتح ، ورأت جند الله ، اختفت في بيت أبي سفيان زوجها ، ثم أسلمت وأتت النبي بالأبطح وقالت : (الحمد لله الذي أظهر الذي اختاره لنفسه ، لتمسني رحمتك يا رسول الله ، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ، ثم قالت أنا هند بنت عتبة ، فقال : مرحباً بك يا هند . ولما أخذ الرسول البيعة على النساء ، وكانت بينهن هند ، قال : ولا تزنين ، فمـــا كان أشد استغراب هند

رضي الله عنها حتى قالت لرسول الله ، أو تزني الحرة يارسول الله ؟ وروى الإمام أحمد : أن فاطمة بنت عتبة أخت هند جاءت تبايع رسول الله ، فأخذ عليها (أن لايشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزنين) الآية فلما قال الرسول ولا يزنين : وضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجب الرسول ما رأى منها .

وقد أهدت هند إلى الرسول جديين مشويين وقديداً مع جارية ، واعتذرت من قلة ولادة غنمها ، فدعا لها الرسول بالبركة في غنمها فكثرت ، فكانت تهب وتقول : هذا من بركة رسول الله ، فالحمد لله الذي هدانا للاسلام . وحضرت قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان زوجها تحت راية ابنه يزيد .

وكانت تحمس المسلمين وتحرضهم على القتال ، وتوفيت في مبدأ خلافة عمر رضي الله عنه ، في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

زينب بنت رسول الله وهند أم معاوية : كان أبو العاص بن الربيع : زوج زينب بنت رسول الله من أسرى بدر ، فبعثت زينب بقلادة لها في فداء أبي العاص ، فلما رآها رسول الله ، رق لها رقة شديدة وقال : أن أردتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها مالها فافعلوا ، فقالوا ، نعم ، وأطلقوا الأسير وردوا عليها مالهـــا ، وأخذ عليه رسول الله أن يخلي سبيل زينب ، فلما قدم أبو العاص مكة ، أمرها باللحوق بأبيها . وهنا يقول عبد الله بن أبي بكر : حدثت عن زينب أنها قالت :

بينما أنا أتجهز بمكة للحوق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا ابنة محمد ، الم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ فقالت : فقلت ما أردت ذلك ، فقالت : أي ابنة عمي لاتفعلي ، أن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجتك فلا تستحي مني ، فإنه لايدخل بين النساء مابين الرجال ، قالت زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكن خفتها .

هذه هي هند التي لم يمر على قتل أبيها صاحب النفير وأخيها وعمها في غزوة

بدر شهر واحـد ، تلوك كبد حمزة بعد أكثر من عام ، هذه هي هند التي قابلت المكيين الذين خرجوا لرجوع زينب بنت رسول الله إلى مكة والاضرار بها ، التفتت اليهم يمنة ويسرة وسلطت نظرة احتقار وقالت لهم :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة   وفي الحرب أشباه النساء العوارك

فلما فرغت من جهازها ، قدم لها بعير فركبته وخرجت نهاراً ، وعلمت قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها ، وبدأت مشادة عنيفة بينهم وبين حميها ، فلما علم أبو سفيان أقبل مهرولاً حتى وقف على جلية الأمر ، وقال لصاحب البعير بكل هدوء : إنك لم تصب ، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد في بدر ، فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا وأن ذلك منـا ضعف ووهن ، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيهـــا من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثؤرة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هـــدأت الأصوات ، وتحدث الناس أنا قد رددناها ، فسلها سراً وألحقها بأبيها . ففعل : حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلا وهذه كانت بعد غزوة بدر التي نكب فيها المشركون قبل شهر ، وقد قتل لأبي سفيان ابنه الأكبر حنظلة ، وأسر عمرو وهو ابن آخر له . وروى الإمام أحمد والحافظ : أن غـــلاما من بني أمية شج فاطمة بنت رسول الله ، فنادت يا آل عبد مناف ، فخرج أبو سفيان يشتد أول الناس (ابن عساكر ج ٦ ص ٣٩٥) ولقد كان أبو سفيان ورجاله يفحصون جثث القتلى من المسلمين ليتأكدوا ممن قتل من المسلمين ، وقد ظهرت عليهم خيبة الأمل ، فإنهم لم يجدوا أحداً من أصحاب النبي ، إذا استثنينا حمزة ومصعب بن عمير ، وقد مثل المشركون بجميع قتلى المسلمين البالغ عددهم سبعون جثـــة ، ولكن الكذابين والمنافقين والحاقدين ... من المؤرخين لا يذكرون غير حمزة وهم لايعلمون بموته إلا بعد فحص الجثث .

هند بنت عتبة والخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي : أغفل المؤرخون المبغضون لبني أمية (هنـــد) أم معاوية وهي في البلاغة نثراً ونظما من الطراز

الأول ، حتى إذا ما تفاخر بنو هاشم على معاوية رضي الله عنه ، فكان يكفيه ويكفيهم أن يقول لهم : أنا ابن هند ، ولقد تفاخرت هند حين قتل أبوها وأخوها وعمها في وقعة بدر ، مع الخنساء المصابة بموت أبيها وأخويها صخر ومعاوية ، فقرنت هند جملها بجمل الخنساء وتعاظمتا في مصائبهما نثراً ونظماً بسوق عكاظ ، ولم تفضل احداهما على الأخرى (الوسيط في الأدب العربي : ص ١٢) ويقول الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ (معاهد التنصيص على شواهد التخليص ج ٤ ص ٣٥١) ولما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، أقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم (تسويم الهودج أن تجعل له علامة يتميز بها عن سائر الهوادج) ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها ، وأنها جعلت تشهد المواسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب عرفت ذلك لها ، فقالت هند : بل أنا أعظم العرب مصيبة ، فأمرت بهودجها فسوم براية أيضاً ، وشهد الموسم بعكاظ وكانت عكاظ سوقاً تجتمع فيه العرب ، فقالت اقرنوا جملي بجمل الخنساء ، ففعلوا فلما دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت : أنا هند بنت اعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فبم تعاظمينهم ، قالت : بأبي عمرو بن الشريد وأخوي صخر ومعاوية ، فبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد ، قالت الخنساء : أسواءٌ هم عندك ، ثم أنشأت تقول (من الطويل) :

أبكي أبي عمرواً بعين غزيرة ... قليل إذا نام الخلي هجودها
وصنوي لا أنسى : معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخراً ، ومن ذا مثل صخر إذا غدا ... بسلهبة الآطال قب يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند بنت عتبة تجيبها : (من الطويل) :

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميها من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

وكانت هند والخنساء نثراً ونظماً في كفتي ميزان ، رضي الله عنهما .

القاهرة : ... محمد السباعي الحفناوي

إيمان

الأستاذ أحمد ياسر نصري



قال الله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ ٦ : ١٠٣ صدق الله العظيم ، وقال الرسول ﷺ تعريفاً للإحسان : ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾

قال أستاذي : لماذا تشغل الناس بمقالاتك الكثيرة أتظن المجلة الشهرية - التمدن - صحيفة يومية تنشر لك كل يوم مقالاً في القيل والقال ؟ قلت له أعذرني فأنا مضطر للكتابة ما دام في الناس من لا يزال يعتقد بأن الأرض ليست كروية وانها محمولة على قرن ثور يحيطها ثعبان يلقف الشمس مساء ويلفظها صباحاً لتنير الكون ونحن في عصر الذرة وعصر الصواريخ التي تصوّر الأفلاك وترسل عنها المعلومات التي تثبت عظمة الله « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » قال صدقت لقد ظن الغرب أن جهل بعض المسلمين يرجع إلى الدين ، ولكن الدين براء من كل جاهل ، والآن أخبرني لماذا جئتني الآن ، لعلك تريد إحراجي بسؤال جديد ؟ قلت لأستزيد من العلم وقد قال تعالى : « وقل رب زدني علما » . قالها لأعظم رسول وأحب حبيب فما شأننا ونحن جهلاء قال : قل ماتريد ولا تضع وقتي فالوقت من ذهب .

قلت لأستاذي حفظه الله - لقد عودتني تنوير ذهني : ألا تفسر لي الآية الكريمة « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ؟ قال : هل عدت لمضايقتي ؟ قلت أستغفر الله وإنما جئت طالباً للعلم فهل تردني خائباً ؟ قال كلا ، ولكن

لماذا تختار آيات معجزات ؟ قلت : لأفهم بعض معجزات القرآن العظيم : فهل تضن عليّ بعلم ادّخرته منذ سنين ولم تستعمله :

وعـــالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عبّاد الوثن !

فقـــال مبتسمـًا : لقـد أحرجتني ياخبيث ! وسأجيبك على سؤالك رغم علمي بأنك تريد فحصي أكثر من العـــلم . قلت معـاذ الله ولكن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » : فجلس حفظه الله ، قال : هل قرأت بحث النور في الفيزياء ؟ قلت ما دخل النور سؤالي ؟ أنا أسألك عن آية في القرآن وأنت تسألني عن بحث النور في الطبيعيات ، ودروس الطبيعات محظورة لأن من المعتقد أن الطبيعيين ملحدون كافرون . قال : « الله نور السموات والأرض » قلت صدق الله العظيم . قال : وجميع العلوم تهدي إلى الله ! فعلم النبات يهدي لعظمة الله ، وعلم التشريح يبين قدرة الله ، وعلم الفيزياء يبين حكمة الله ، وعلم الكهرباء يبين أمر الله ، وعلم الحساب والجبر والفلك تبين اتساع ملك الله ، وعلم الجغرافيا وطبقات الأرض يبين كيف خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، وعلم الطبيعة وقوانين أرخميدس وبويل وماريوت وتوريشلي تبين كيف تحمل مياه البحار السفن الجارية وكيف تجري الرياح وتهطل الأمطار وترتفع المناطيد في الجو والغواصات في البحر ، حتى السحر [التنويم المغناطيسي وغيره] يعرفنا كيف صنع الله دماغ البشر وجهزه بمحطة لاسلكية مرسلة ولاقطة ، يصل تيارها بين المنوّم والمنوَّم والساحر والمسحور . قلت له كفى ؛ لقد ابتعدنا عن الموضوع وعن جواب سؤالي ؛ قال كلا : نحن لا نزال في سبيل جوابك : إعلم يا ياسر أن البصر يجري في عضو العين الحساس « ألم نجعل له عينين ولسانًا وشفتين ؟ » فهل تعرف ممّ يتركب هذا العضو الحساس والنعمة العظمى ؟ قلت له :

كنت قرأت في المدرسة أن العين جهاز يشبه بعمله آلة التصوير فيه غرفة مظلمة [كرة] بيضاء ذات مشيمة سوداء لمنع انعكاس النور ولها فتحة من أمامها تسمى الحدقة تنظم اتساعها آليا [أوتوماتيك] فيتسع فتحها في الظلام لادخـال حزمة

كبيرة من النور ، ويضيق قطرها في النور الساطع فيصغر قطر حزمة الضوء الداخل للعين ، وخلف الحدقة خلق الله عدسة زجاجية لجمع حزمة النور وعكسها لداخل العين وتشكيل صورة الأشياء مقلوبة على السلبية [الشبكة العصبية] الحساسة كما يحدث تماماً في آلة التصوير ! ..

قال : يفهم من كلامك أن للنور تأثيراً في العين ولولاه لما حدث حس البصر أليس كذلك ؟ قلت بلى . ولم أشاهد آلة تصوير حديثة تنظم حدقتها [الديافراغ] آلياً كالعين بل على المصور أن يستعين بجهاز البوز دمتر [الحجيرة الكهربائية] لتنظيم مقدار فتحتيه تبعاً لشدة النور . قال : وهل يمكن للعين أن تبصر الأشعة فوق البنفسجية وما تحت الحمراء وتميزها ؟ قلت : كلا فموجات أشعة الضوء التي تؤثر في حاسة بصرنا محصورة بين موجات طيف الضوء البنفسجية القصيرة والحمراء الطويلة نسبياً . لذلك لا يمكن رؤية الأشياء في الظلام الدامس ! قال : هل أمكن للانسان اختراع عيون كهربائية تشاهد الأشباح في الظلام ؟ قلت له أجل : هنالك حجيرات حساسة كهربائية تشبه حجيرة السينما الناطقة ترى في الظلام بمعونة الأشعة تحت الحمراء وقد صنعوا بواسطتها حراساً آليين لحراسة المصارف والمخازن بواسطة هذه العيون الكهربائية ترى السارق في الظلام وتنبه الحارس دون أن يراها اللصوص !

قال : لقد وصلنا إلى جواب سؤالك الآن قلت متعجباً وكيف ؟ قال ما دام بصرك محدوداً كما تقول بين موجات الضوء البنفسجية وبين موجات تحت الحمراء فلا يمكنك أن ترى الأشعة فوق البنفسجية ولا ما تحت الحمراء . قلت : هذا أكيد ، قال : وما يدريك أن هنالك أشعه أقوى وأقصر من الاشعة فوق البنفسجية مثل أشعة غما وألفاوبتا وأشعة اكس أو تحت الحمراء ؟ قلت طبعاً موجودة حاليا . قال هذا ما استنتجه من قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار [المحدودة السعة] وهو يدرك الأبصار » لأنه يرى جميع أنواع أشعة النور مهما تباينت سرعتها وموجاتها طولاً وقصراً وسرعة . « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » قلت لقد

فهمت تفسير الآية فشكراً ولكن : قال نعوذ بالله من كلمة لكن فهل من جديد ؟ قلت له طول بالك واعذرني إذ كان فهمي بطيئاً ألا تنزل إلى سويتي وتخاطبني بسوية عقلي ؟ فحوقل وقال : ماذا تريد ؟ قلت ألا يمكن الإنسان أن يرى نور الله ؟ قال أصلحك الله : ألم تسمع قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » فكل نور من نوره تعالى . قلت : بل أقصد نور وجهه الكريم بدون حجاب ؟ قال لقد سأله سيدنا موسى ذلك من قبل مع قوة عضلاته فقال له : « لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر بمكانه فسوف تراني ! فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً » ٧ : ١٤٢ . فموسى النبي القوي من أولي العزم الذي رعى الغنم وأزاح عن البئر صخرة عظيمة تحتاج لعدة رجال ، وكلمه الله تكليماً ، لم يتحمل انعكاس نوره الذي تجلى به على الجبل ودكه وخر موسى صعقاً فكيف بإنسان مثلي ومثلك يتحمل هذا النور العظيم ؟[1] قلت : أليس لله صاحبة ؟ - زوجة - فغضب وقال : « ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » قلت : وكيف قالوا إن له زوجة وولداً بنات ؟ قال دعك ممن لا يفكرون بعقولهم ، إنهم يجهلون الله ويظنون أنه إنسان مثلنا من لحم ودم ، يأكل ويشرب وينام وينمو ويموت ، وبذلك تصوروا أنه يتزوج امرأة ويلد ولداً . ولو علموا أن نوره تعالى يحرق الجبال ويدكها وأن النبي موسى عليه السلام خر صعقاً لرؤية الجبل ، لما صدقوا بأن امرأة ضعيفة لطيفة يمكنها أن تلامسه تعالى وهي على كل حال أضعف من سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الذي صعق لرؤية ما انعكس من نوره تعالى على الجبل فدكه ! قلت : شكراً يا أستاذ فقد فهمت .

وودعته وانصرفت وأنا أفكر بما قال أستاذي أدامه الله .

دمشق : أحمد ياسر نصري

---

(١) المجلة : يرى الله تعالى في الآخرة والنصوص تؤيد ذلك .



عودوا الى فطرتكم أيها المفرطون

للأستاذ الشيخ محمد كامل السرميني



استكمل البحث في مقالي السابق:(1) ولعل في هذه الكلمة تذكرة ما تهيب بالملحدين ان يفتحوا عيونهم للحق بعد أن يتبينوه.

نظر ابراهيم (عليه السلام) في النجوم نظرة المؤمن المفكر، ثم أتبعها بنظرات متتاليات، فرأى الزهرة كوكب سيار فقال هذا ربي، إذ هو أجمل ما رأى في السماء، فلما أفلت قال، لا أحب الأفلين، إذ الرب يستحيل عليه الانتقال والذلة والخضوع، وهذه ذليلة خاضعة لناموس الكون، فكيف أسجد لمن هو مخلوق وساجد! أو أعبد ما هو عابد!! فلما رأى القمر نظر وقال ما قال في النجم، ولما رأى الشمس بازغة فضلها على الجميع ثم سرعان ما جردها من الألوهية حين أفلت، إذ هي مسخرة وهي صفة لا تليق إلا بالمخلوق «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين، وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات

يفتح الأستاذ السرميني بهذه الكلمة التي أملاها إيمانه الواعي عيون الملحدين العمي، وقلوبهم الغلف، ومن تدبر سارع إلى الإيمان العظيم نور السعادة الرشيدة الحقة.

★ ★

(1) من مناقشة الملحدين حول الإيمان ٣٧ - ٤٠ من مجلد السنة ٢٧ ص ٧٨٢ - ٧٨٨.

والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هـذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هـذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » فلم يذكر الله سبحانه هذه القصة في القرآن لمجرد التلاوة أو التبرك ، وإنما هي درس وذكرى وعبرة ، فمن قرأ القرآن وتأمله ، وجد الكثير منه حث على النظر في هذا الكون العجيب وإنه من الذرة إلى أكبر العوالم ليدل دلالة قاطعة على وجود آله أزلى عليم ، يتصرف بملكه كما يشاء بحكمته وقدرته ، وإنه لم يأت عفوا أو أن الطبيعة غير المدركة قد أوجدته اعتباطاً : ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

أيها الملحدون ، إن أدنى نظرة خاطفة في الأرض أو في السماء ، في الليل أوفي النـــهار ، في عالم الحياة أو الموات ، في النبتة الصغيرة أو الشجرة الباسقة وفي أي صورة من صور هذا العالم ، وفي أي لون من ألوان الحيوان والطيور والأسماك ومن أنواع الفراش والحشرات ونقوشها البديعة كانما خلعت عليها السماء والأرض حلى البياض والحمرة والزرقه ، فلبست جلابيب الحبر ، وسابقت كل جميل في بهائه . يريـكم شواهد ناطقة بوجود آله لهـــذا الكون عليم حكيم . وإن أدنى تفكير في اختلاف الألسن واللغات ، وفي الشموس والأقمار ، والفضاء ، والسحاب والأمطار ، والثمار والأزهار يحمل الى قلوبكم فيضاً من الإجلال والإكبار لهذا الخالق العظيم « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين » وإن أدنى تفكير في هذه العوالم من جماد وحيوان ، وناطق وصامت ، وبحار وأنهار وجبال ووديان ، وحدائق وجنات ، وأنوار وظلام ، وعواصف ورياح ، ومن الزمن الذي لابداية له ولا نهاية ، وفي الطاقة المعينة والمحبوسة في الذرة ، وفي الاهتزازات التي يسمونها بالضوء والحرارة والكهرباء ، وفي المغناطيس والجاذبية للأرض .وو . . تكشف لكم عن حقيقة واضحة تهتف من أعماق نفوسكم وقلوبكم « سبحان الله

رب العالمين » وتجلى لكم عن حقيقة قول الله سبحانه « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » فإن لم تجدوا في نفوسكم طرباً فاتخذوا إلى السماء سلما ، أو في الأرض سرباً « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكمه لايعرف القمرا
لقد بطنت بما أظهرت محتجباً فكيف يعرف من بالعرف قد شهرا

أيها الملحدون ، أما نظرتم إلى هذا الفلك الذي يدور في كل ليلة دورة تامة - كالساعة - ؟ ! أما نظرتم الشمس كيف تجري جرياً دائماً ، وتنتقل من برج إلى برج بصورة دائمة ومنظمة لإقامة دورتي الليل والنهار ؟ ! أما نظرتم القمر المنير وتصرفه في مهله ومحاقه ، وزيادته ونقصانه « وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » « يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين يدعون من دونه مايملكون من قطمير » « خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار » أما نظرتم إلى هذه النجوم التي لاعد لها ولاحصر ؟! والى ترددها في السماء مشرقة ومغربة ، وكيف أنها تدور دورتها وترجع الى مقرها فتطلع منه « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » « وسخر لكم الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » أما نظرتم إلى موقع الأرض في المعين من الفضاء ، فلو جعلت بعيدة من الشمس ولو يسيراً لما انتفع العالم بحرارتها التي هي ضرورية للنمو والحياة ؟ ! ولو جعلت قريبة منا ولو قليلا لا حترق كل ما عليها من انسان وحيوان وجماد ونبات ولأصبحت الأرض طبقة من طبقات

جهنم . أما نظرتم في تركيب النبات والأزهار ، وكيف أنها جمعت حسناً وبهاء يؤدي إلى النفوس سعادة ، وإلى القلوب مسرة ، وإلى الصدور انشراحا .

أو ماترى الأزهار ما من زهرة ... إلا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها ... تلقى فنون الشجو في أسلوبها
تشدو وتهتز الغصون كأنما ... حركاتها وزن على تطريبها

أيها الملحدون . أما نظرتم إلى الصحو والمطر كيف يتعاقبان على العالم لما فيه صلاحه ، فلو دام واحد منهما كان في ذلك فساد العالم كله « أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » « فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً ، وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلباً ، وفاكهة وأباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم» أما نظرتم إلى الحر والقر كيف يتصرفان هذا التصرف المحكم في العالم ، لإقامة يوم الفصول الأربعة ، وما فيها من المصالح ؟ ! فلولا الحر والقر وتداولهما لفسدت الأبدان ، وضعفت قواها ، وهلكت بأسرع مدة . ولولا الحر لما كانت هذه الثمار المرة الصلبة تنضج وتلين وتعذب ، ولولا البرد لما كان الزرع يروى وينمو نموه .

أما نظرتم إلى الليل والنهار كيف يتعاقبان ، فلو دام النهار لما هدأ الإنسان والحيوان ، ولأدى بهم إلى التلف ، ولو دام الليل لعاقهم عن الحركة والتصرف في طلب المعاش « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . » أما نظرتم إلى هذه الأشجار كيف أنها تموت في كل سنة ثم تحيا وتنتشر ، فتأتينا بفاكهة وأثمار نوعاً بعد نوع ، في الوقت الذي يناسب الأجسام وتناسبه ، وفي كل منها لون وطعم مغاير للآخر ، وأنها تسقى بماء واحد « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء

واحـــد ونفضل بعضها على بعض في الاكُل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، أما نظرتم هذه الرياحين العطرة التي تلقانا في أفنانها ، وتحيينا بألوانها واختلاف روائحها ؟!

« ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون » حقاً إن من لم تدهشه أمثال هذه العجائب من الكون التي لاحد لها ولا حصر ، ويوقن برب البريات ، لابعد عن العقل الفهم والذوق بعد ما بين الأرض والسماء ! !

تأمل في رياض الأرض وانظر إلى آثار ماصنع المليـــك

عيون من لجـــين شاخصات على ورق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

واقرءوا إن شئتم قوله سبحانه « أمّن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزاً ؟ أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون » .

أيها الملحدون ، أنظروا الرياح كيف تجري متصرفة بأمره ، مختلفة في الصيف والشتاء ، وفي الربيع والخريف ، تتحرك شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ، وتجري بنظام دقيق محكم حسبما يصادف من الأحوال ، حققوا تجدوا أن للهواء المحيط بالكرة الأرضية علاقة خطيرة جداً بصميم الحياة ، فجميع مظاهر الحياة من نباتية وحيوانية وبشرية على سطح الكرة الأرضية متصل بالجو الهوائي ومعتمد عليه بطريق مباشر وغير مباشر . والهواء كما يقول علماء الطبيعة يتركب من عناصر كثيرة منها / النتروجين أو الآزوت ، والأوكسجين ، والأرجون ، وثاني حامض الفحم (اكسيد الكاربون) / وهذه الغازات كلها مختلطة في الهواء اختلاطاً ميكانيكياً ، وليست ممزوجة مزجاً كيماوياً ، أي أنها لاتتفاعل بعضها مع بعض ، ولا يؤثر وجود واحد منها في ميزات الآخر وخواصه ، بل إن كلّا منهـــا يحتفظ بكيانه مستقلاً كأن لاوجود للعناصر الأخرى ، اذ لولا ذلك لاكتسب الهواء مميزات وخواص كيماوياً تختلف عن مميزاته الحالية ، لاتجعله يصلح للحياة خلافاً للعناصر المعروفة ، وتنوعاتها التي نشاهدها على سطح الكرة ،

فلو كانت الغازات في الهواء ممزوجة مزجاً كيماويا لتحول إلى غـــاز واحد بعد التفاعل ، ولما أمكن أن يكون له من تنوع الخواص والمؤثرات مالهواء الحالي ، فلو امتزج مثلاً النتروجين بالأوكسجين امتزاجـاً كيماويا لاستحالا في الجو حامضاً فتاكاً ، ولأمطر بما يسمونه ـ بحامض الأزوتيك ـ وهو ماء الفضة ، شواظاً من نار تحرق الأرض وما عليها !! فنسألكم أيها الجاحدون . هل الطبيعة العمياء الصماء جعلت هذه الغازات في حالة خليط اتحادي تعاوني كل منهـا له وظائفه المستقلة ، ولم يندمج الواحـــد بالآخر ، إذ يكون وحدة غازية تلتقى منهـا تلك الميزات المختلفة الخطيرة الباعثة للحياة ؟! ثم إن هناك نسبة معينة للغازات في الهواء ، فهذه النسب لو زادت أو نقصت ولو قليلاً عما هي عليها الآن لاختلفت الحياة على وجه الأرض . فلو زاد ثاني أكسيد الكاربون من الهواء مثلاً ، ولو قليلاً جداً ؛ لازدادت حرارة الجو لدرجة لا يمكن أن تطاق ، كما أن الزيادة إلى حد معين منه تؤدي إلى الاختناق . وكذلك لو تغيرت نسبة الغازات الأخرى عمـا هي الآن لتغيرت الحياة ، بل لانعدمت . والذي حير الألباب أن هذا الخليط الغازي بمجموعه على النسبة المعينة لهو مصدر الحياة ، بينما كل غاز منه على الانفراد قد يؤدي إلى موت الكائنات الحية ، أخبروني هل الطبيعة غير العاقلة ، وغير المدركة ، هي التي جعلت

أولاً هذه الغازات أن تختلط اختلاطاً ميكانيكياً لا مزجاً كيماويا .

ثانيا ـ جعلها أن تكون بنسب معينة لكي تتلاءم مع وجود الحياة ؟! فهل لديكم من جواب !! والجواب حتما سيكون : كلا ثم كلا . فلا بد إذن من إرادة عاقلة عالمة مدركة قدرت هذا التقدير كله « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » .

أيها الملحدون : نسألكم عن نظام الكواكب ومدبر حركتها ، فإن قلتم هذه الجاذبية . نقول لكم : صدقتم ولكن الجاذبية هي من ظواهر ذلك السر العجيب ، فهل الجاذبية الميتة دبرت ذلك الحساب والنظام البديع ؟! وكيف يحوط الجاهل حياة العالم ؟! وكيف تمسك الجـاذبية الجاهلة مالا يتناهى من النجوم عداً ، فلا

تتلاقى يوماً ما !! وإن قلتم إن هنالك جذباً بينها فدارت دورات لا نهاية لها بالحركة الطبيعية . نقول لكم : إن الحركة كيف يخرج من جهلها علم ، وكيف كانت بشقائها تصلح العالم ؟! ويا للعجب لهذه الحركة الغريبة التي دبرت أمر الحيوان والنبات ، وجعلت الكل يرتبط بعضه ببعض ارتباطاً تاما . ومن المعلوم بأن لكل كوكب تأثيراً خاصاً وجذباً يؤثر في حركتها ، إذن لا بد وأن يكون لهذا العالم كله من مدبر واحد يرتبط به جميع هذا الكون ، ويستمد منه وحده وهو الله سبحانه .

ثم نقول لكم إن الأرض التي نعيش عليها بدورانها حول نفسها يدور كل جزء منها سواء في ذلك الجزء الباطني والظاهري ، وسواء في ذلك اليابس أو الماء أو الهواء ، بسرعة هائلة ، وهذه الحركة تولد قوة اندفاع عظيمة تدعى بالقوة الطاردة ، بحيث يصبح كل جسم على سطح الأرض ، بل سطح الأرض نفسه لأن يدفع به إلى الفضاء ، ولو كانت دورة الأرض ـ أو بتعبير آخر ـ القوة الطاردة ، هي القوة الوحيدة الفعالة لتطاير سطح الأرض عنها ، ولاستحال على الارض كلها أن تتماسك .

ولكن الذي يحفظ الأرض ويجعلها مندمجة متماسكة هو أن هنالك قوة أكبر من القوة الطاردة المتولدة من دوران الأرض حول نفسها ، وتلك القوة الحافظة هي ـ قوة الجاذبية ـ التي تفوق مرات عديدة القوة الاخرى ، حتى ان هذه الجاذبية لا تكتفي بأن تمسك وتدمج أجزاء الكرة الارضية بعضها في بعض ، بل هي أيضاً تجذب أي جسم في الفضاء إذا دنا من الأرض ، وقد نشأ عن هذا سقوط الشهب الكثيرة التي لا تزال تدخل في جونا ، وتندمج في كوكب . فهل نظرتم هذا النظام البديع ، والتنسيق الوثيق ، والترتيب العجيب لحفظ التوازن من حيث الارتفاع والانخفاض ، ومن حيث توزيع الاطواق الجبلية على سطح الأرض توزيعا منتظما مما جعلها متراصة لدرجة أخذ بعضها برقاب بعض كيلا تضطرب وتميد بنا . فهل لديكم شك بأن هذا النظام البديع يدل دلالة قاطعة على إدراك عظيم ، وتقدير حكيم ، وهو من تدبير الله سبحانه بديع السموات والأرض ؟!

أيها الملحدون . أنظروا هذا الفضاء الشاسع الذي يمتد أمام أعينكم ، وحدقوا بأبصاركم فيما لا يتناهى بعدة من العوالم ، تجدوه ذا نفش وعجائب أصلها الأثير ، لا لون له ولا وصف ولا جرم ، عبر عنه بالدخان « ثم استوى إلى السماء وهي دخان » وما الدخان إلا المــادة في إبان عمايتها وتبعثرها ، وهي تتحرك ذات اليمين وذات الشمال ، وأعلى وأسفل ، فتطورت وتصورت وتكورت كرة كرة ، فكانت شمساً وبدراً ، وأهلة ونجوماً و و . . « وأشرقت الأرض بنور ربها » وأخذت تلك الكرات تدور وتسير في مدارات متتابعة ، فلو رأيتم قوانينهــا وخواصها لأدهشكم جمال وصفها ، كما بهركم حسن ضيائهـــا « فتبارك الله أحسن الخالقين » وقد كانت من تلك الكرات أرضنا وقد ضمت عناصر ومعادن كثيرة ، فانظروا كيف حمل الأثير وتمخض عن عناصر مختلفات ، ومعادن أبهى منظراً ، وأجمل نفعاً ، وما عند غيرنا من عوالم الأفلاك والأجرام السماوية يفوق ما عندنا بما لا يتناهى ، إذ أن أرضنا التي نعيش عليها بالنسبة للأجرام السماوية كحلقة ملقاة في فلاة . هذا بدوي قد أدهشته مناظر هذه الأفلاك التي تطير بالقلوب إلى علام الغيوب فأنشد وقال :

هاج للقلب من في الهوى أوطار	وليــال خلا لهن نهـــار
وجبال شوامخ راسيات	وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في جنح ليل	مشرقات في كل يوم تدار
وشموس مضيئة للبرايا	في نهار وفي الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج	وبروق وراءها أمطار
إن شأن الإله شأن كبير	جل ربي وجلت الآثار

أيها الملحدون : إسمعوا هذه الأضحوكة . قال استاذ ملحد لتلاميذه الصغار : إن القاعدة المعروفة بأن كل موجود يُرى ، فإذا كان الله موجوداً فهل ترونه ؟! فوقف أصغر التلاميذ سناً ، وقــال لرفاقه والضحكة ملء فمه ، هل ترون عقل



صلاة الضحى سئلنا عن صلاة الضحى ، حكمها وعدد ركعاتها :

والجواب : إنها سنة مستحبة ، أقلها ركعتان وأكثرها حسبما ثبت في السنة من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ثماني ركعات .

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان ﷺ يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ، ويدعها حتى نقول لا يصليها .

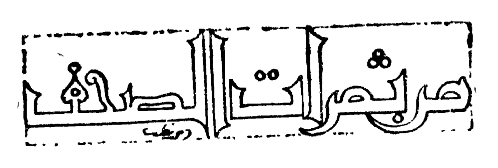
وروى الإمام مسلم ... حدثني معاذة أنها سألت عائشة رضي الله عنها كم كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى ؟ قالت أربع ركعات ، ويزيد ما شاء . **(العظمة)**

أستاذنا ؟ فقالوا بأجمعهم : كلا كلا ! فقال : إن أستاذنا إذن لا عقل له . فتلميذ صغير أفحم ملحداً كبيراً ، فأقام الدليل عليه من نفسه ، وأثبت جنونه بقوله . فهل أكون مخطئاً إذا قلت : بأنكم من أجهل الجاهلين ، ومن أكبر المجانين ، ما دمتم قد أطفأتم نور عقولكم وبصائركم ، وسرتم في الحياة تتخبطون في ديجور الكفر ، وتيه الضلال والإلحاد « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الفاسقون »

فالإنسان فيه استعداد لأن يكون أشرف المخلوقات على الإطلاق ، وأحطها على الإطلاق ، ولا غرابة بعد أن رأينا وسمعنا ممن ينكرون وجود الله وهو أوضح من حسهم ، وأقرب اليهم من نفوسهم ! ! فارجعوا أيها الملحدون إلى سلامة فطرتكم ، وطالعوا ذلك الجمال الإلهي الذي تجلى على صفحات الموجودات ، واقرءوه في سطور تلك المبدعات ، واستجلوا الحسن البديع في كل شيء في الوجود ترونه في العلويات والسفليات .

إن شئت في فلك أو شئت في ملك   أو شئت في مدر أو شئت في حجر
فالكل ينطق أن الله خالقه   وهو المليك ورب النفع والضرر

حلب —   محمد كامل السرميني



أسباب البدع

الأستاذ الشيخ محمود شلتوت

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة :

(آ) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها .

(ب) متابعة الهوى في الأحكام .

(جـ) تحسين الظن بالعقل في الشرعيات .

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها : مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة الرسول ، وما ألحق بها من الإجماع والقياس ، والأصل في هذه المصادر الذي يحكم على سائرها هو كتاب الله ، وتليه السنة ، ثم الإجماع ، ثم القياس ، والقياس لا يرجع إليه في أحكام العبادات ، لأن من أركانه أن

> نشرت مجلة الأزهر الزاهرة كلمة في هذا الموضوع للأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، قال بعد أن مهد لكلمته : ما ننشره في هذا الباب الذي نختار له من خير ما نشر تعليماً وتوجيهاً وإصلاحاً .

يكون الحكم في الأصل معلولاً بمعنى يوجد في غيره ، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص . ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع إلى الجهل بالسنة

وإلى الجهل بمحل القياس ، وإلى الجهل بأساليب اللغـــة العربية ، وإلى الجهل بمرتبه القياس أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التي صحت بهـا أحاديث ، كما يترتب على الثاني إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها . وإحلال بدع مكانها لايشهد لها أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعـــه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » وجاء فيه أيضاً حديث « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيـــده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وأما الجهل بمحل القياس في التشريع ، فقد نشأ عنه أيضاً أن قاس الناس من متأخري الفقهاء في العبادات وأثبتوا به في الدين مالم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه ، ومن ذلك إسقاط الصلاة ، فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التي ورد النص بها ، ولم يقفوا عند هـــذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها .

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع ، فهو ابتداع لأصل الحكم والاحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع ، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال في إسقاطها من الدين – ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة – يخرجان من عهدة التكليف ، ويترتب عليهما ثواب الله الذي أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وهذا نوع خاص من البدعة :

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية ، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سبباً في إحداث ما لا يعرفه الأولون . ومن ذلك قول

بعض الناس إن حديث . « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ » يطلب الصلاة على النبي من المؤذن عقب الأذان ، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان ، وهي الجهر ، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعرفة ، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب في قوله ﷺ لجميع المسلمين ، والمؤذن داخل فيهم ، أو بأن قوله (إذا سمعتم) تتناوله لأنه يسمع نفسه . وكلا التأويل جهل بأساليب اللغة في مثل هذا ، فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعا ، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضاً . ومن ذلك أيضاً ما يزعمه بعض آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه ، لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم ، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة « اللحم » في اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس ومنه أيضاً قول بعض المتكلمين إن لله (جنبا) بدليل قوله تعالى « ان تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله » وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لاتعرف « الجنب » في مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهي تقول : هـذا يصغر في جنب ذاك تريد بالإضافة اليه . قال الإمام الرازي في تفسيره : « القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية ، واعلم ان دلائلنا على نفي الأعضاء قـد كثرت فلا فائدة في الإعادة : (١) وبعد أن

---

(١) الجملة : علماء المسلمين في فهم صفات الله ـ سبحانه ـ قسمان : قسم يفهم اليـد والوجه وغيرهما على حقيقتها بشرط عـدم التشبيه وترك الأمر لله (ليس كمثله شيء) وقد كان جميـع السلف من هـذا القسم ، سئل الإمام مالك مثلاً عن معنى استواء الله على العرش فقال : « الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » ومثل مالك ربيعة والليث ، ومن قبلهم كبار الصحابة والتابعين .

والقسم الآخر هم من أكثر الخلف ، وهم يؤولون فيقولون عن الاستواء مثلاً هو الاستيلاء ... وقصدهم قصد خير . ورحم الله من قال :

وكل خـير في اتباع من سلف   وكل شرّ في ابتداع من خلف !!

ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال : واعلم أن الإكثار من هـذه العبادات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول : الجنب سمي جنباً لأنه جانب من جوانب الشيء ، والشيء الذي يكون من لوازم الشيء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه ، فلما حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذي هو العضو ، وبين مايكون لازماً للشيء وتابعاً له صح الإطلاق ، ولا جرم من إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال الشاعر :

أما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع

هـذه جملة من الأمثلة يتضح بهـا كيف يأتي الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية : مفرداتها وأساليبها ، وقـد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسي في جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها .

وأما الجهل بمرتبة القياس في مصادر التشريع وهي التأخر عن السنة ، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثانية رأوا أن يرجعوا اليها فوقعوا في البدعة ، والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع ، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام عقب الآذان مع وجود السنة التركية التي قد علمت حكمها وأنهـا مقدمة على القياس ، ومع أن حديث « إذا سمعتم المؤذن » يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الآذان .

متابعة الهوى في الأحكام : قد يكون الناظر في الأدلة ممن تملكهم الأهواء فتدفعه إلى تقرير الحكم الذي يحقق غرضه ثم يأخذ في تلمس الدليل الذي يعتمد عليه ويجادل به ، وهـذا في الواقع يجعل الهوى أصلاً تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة . ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » وقـد جاء في الصحيح (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً

لما جئت به [1]) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع في خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التي نراها منسوبة إلى الدين ـ والدين منها بريء ـ يرجع إلى هـذا ، ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطاني ونحوه من البدع التي لم نرها إلا في صلاة الملوك والسلاطين ، وكذلك بدعة المحمل ، وبدعه الاجتماع لإحياء بعض الليالي وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة للملك أو مشورة لمقرب اليه ، ثم توارثتها الأجيال . وعمت الجماهير ، وصارت عندهم ديناً ينكرون على من أنكره .

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا وإياي فاتقون » « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ، ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان ويقتل كل خير ، والابتداع به أشد انواع الابتداع إثماً عند الله وأعظم جرماً على الحق . فكم حرف الهوى من شرائع ، وبدل من ديانات ، وأوقع الإنسان في ضلال مبين .

تحسين الظن بالعقل في الشرعيات : إن الله جعل للعقول حداً تنتهي في الإدراك اليه ، ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شيء ، فمن الأشياء مالا يصل العقل اليه بحال . ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه . وهي مع هـذا القصور الذاتي لاتكاد تتفق في فهم الحقائق التي أمكن لها إدراكها ، فإن قوى الإدراك ووسائله تختلف عند النظار اختلافاً كثيراً ، ولهذا كان لابد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه

---

(١) المجلة : هذا الحديث ضعيف لم يصح وفي خبرٍ من معناه حديثٌ (من أحب لله وأبغض لله ومنع لله ، فقد استكمل الايمان) - رواه ابو داود والترمذي ـ

وفيما تختلف فيه الأنظار، من الرجوع إلى مخبر صادق يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه وليس ذلك سوى الرسول المؤيد عند الله العليم بكل شيء، الخبير بما خلق، وعلى هذا الأصل بعث الله رسله يبينون للناس مايرضي خالقهم، ويضمن سعادتهم ويجعل لهم حظاً وافراً في خيري الدنيا والآخرة.

وقد شذ عن هـذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذي حدده الله، وجعلوه حجة الله على عباده، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله، فرجعوا في التشريع اليه وأنكروا في النقل كل مالم يعهد في إدراكه، ثم توسعوا في ذلك وجعلوه أصلاً في التشريع الإلهي، واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله، وما لا نعلم أنه يرضي الله أو يغضبه، ولقد أعانهم على الابتداع في العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه، وزعموا أن هـــذه الأسرار هي المقصودة لله في تشريع الحكم، وأنها داعية اليه، فشرعوا عبادات على مقتضى هـذه الأسرار في بعض تشريع الله.

وهذا هو الاستحسان الذي ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين، وأنكروا على الآخذين به ومن ذلك قول الشافعي: « الاستحسان تلذذ، ولو جاز لأحد الاستحسان في الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم، ولجاز أن يشرع في الدين في كل باب، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعاً » وقوله « ومن استحسن فقد شرع، ومعناه كما قال الروياني « أنه نصب من جهة نفسه شرعاً غير الشرع » وقد وقع كثير من الابتداع بهـــذا الطريق، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التي صحت بهـــا الأحاديث كالصراط والميزان، وحشر الأجسام النعيم والعذاب الجسمي ورؤية الباري وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه.

وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الاحكام الشرعية جرياً وراء أن غيرها أقوى منها في تحصيل الغرض المقصود من التكليف، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها اشد الناس حرصاً على التقرب من الله.

هـذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية اليه ، يترتب أيضاً على ارادة دفـع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بهـا عن مفارقة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتـكاب المنكر الصريح . ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع في المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعاً كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا في المسجد والجنائز .

ومن الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ؛ ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة في جنس ما يتعبد الله به ، وهـذا تارة يكون بالحاق غير المشروع بالمشروع ، لأنه يزيد في المقصود من التشريع ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعيـــة الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التي لم يحرمها الله لأنه يزيد في الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير . ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه ﷺ أنه ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وحمل جميع أفعال النبي ﷺ على التعبد الذي يجب فيه التأسي مع أن كثيراً منها عادي لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسي .

وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج والتزام والسنن والآداب كالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير من ذلك كله كما في قوله عليه السلام : « ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له » ، وقوله عليه السلام : « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » وقـد رد النبي ﷺ على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته ﷺ وأرادوا مشاق الطاعات .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات في عبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لاتباعهم على أنها دين ودين قوي جهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل

التقرب اليه محصوره فيما شرعه وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك في البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

هـــذه الأسباب التي أوردناها هنا للابتداع قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث : « يحمل هذا العلم في كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » فتحريف الغالين يشير إلى التعصب والتشدد ؟ وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل في الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها .

الأسباب المفضية الى ذيوع البدعة : يرجع البدعة وانتشارها بين الناس الى أمرين شديدي الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولهما – اعتقاد العصمة في غير المعصوم .

والآخر – التهاون في بيان الشريعة على الوجه الذي به نقلت عن الرسول ﷺ .

وكثيراً ما ترى الاول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئاً من الأحوال التي تنافي الاحكام الشرعية ؟ ويعتقدون أنها من التشريع الذي خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقا ، ولا يقول الا صدقا ، والفقه للعموم وهـذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه في كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب الى الله الموصل الى رضاه .

وتراه أيضا في أتباع الفقهاء يقرءون عنهم في كتبهم ، ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وان وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأي ائمتهم ، وقد أفرط الناس في رفع مستوى العلماء ومؤلفي الكتب بالنسبة الى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقد كل فريق ان رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالي العصور ، ولانكره من قبلنا من الشيوخ والائمة ، وأنه لاحق لنا في التمسك بالحديث يروى بخلاف رأي الائمة والمدون في الكتب ، لانهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح ان نعدل اليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك في عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة ، مبررين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سبيلاً الى ترويج بدعهم وهي « من قلد عالما لقي الله سالما » ، وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف الى الحق ، والرجوع اليه ببينة وأنه ما من إمام الا حذر من الاتباع وترك الحديث اذا صح ، وفاتهم ان هذه الطريقة قد أنكرها الله في كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسف أصلاً في الدين يرجع اليه دون سواه حتى ردوا برهان الرسالة وحجة القرآن بقولهم : انا وجدنا آباءنا على أمـة وانا على آثارهم مقتدون » وفاتهم أيضا أن التعصب لرأى العلماء الى هذا الحد نوع من اتخاذ غير الله ربا . وكان ذلك سنة أتباع الاحبار والرهبان ، « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله » وفاتهم ان الإجماع الذى عد مصدراً من مصادر التشريع يجب اتباعه ، ويتصل بهذا ايضاً الخطأ في فهم معنى الإجماع الذي عد من مصادر التشريع الإسلامي فقد يقع في افهام كثير من الناس ان عمل الجمهور وبخاصة اذا اتفق توارثه عن اجيال سابقة ، وعم العمل به جميع الطبقات في المساجد والمجتمعات واندية العلماء من اجماع الأمة التي ورد انها لاتجتمع على ضلالة ، فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة انهـا اشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقـد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد واحياء الليالي والاستئجار على الختمات والتهاليل والتسابيح الى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه بريء .

أما الثاني وهو تهاون العلماء في بيان الشريعة فائتة على العلماء الذين أخـذ الله عليهم العهد والميثاق ان يبينوا للناس مانزل اليهم ، وقد اهمل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا الواجب الديني العظيم الذي يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران . اهملوه اما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، واما مجاملة للعظماء الحكام ، واما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التي

يرورون بها احجامهم عن البيان ، واما تواكلا نظراً الى أن البيان واجب كفائي قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين .

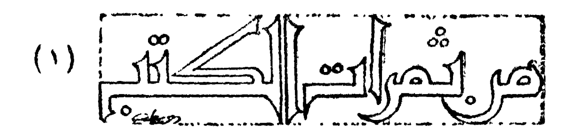
ولما سكت العلماء والف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة ان مايفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم ـ بحكم الإلفة والعادة ـ العلماء فيما يفعلون ، وبذلك صار ردهم عما الفوا من البدع الى ما تركوا من السنن شاقاً على من يحاوله ، لأنهم يرونه احداثا جديدا في الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، تركَ البيان واهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ مايدفع بهم الى مكافحة البدع كلما ذرّ قرنها ؛ والعمل على حفظ السنن كلما هبت عليها ريح عاصف ، ونرجو ان يكون في هذا مايفهمنا الى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه . هدانا الله الى صراطه المستقيم .

سؤال مفحم

خلال محاكمة إيخمان التي تجري في اسرائيل منذ قريب ، استقدم بن غوريون أستاذاً يدرس التاريخ في إحدى جامعات أمريكا ليروي للمحكمة تاريخ الاضطهاد الذي عاناه اليهود منذ القديم في أنحاء العالم ، وحضر الأستاذ ولما أتم روايته الطويلة الحافلة بالتقتيل والتعذيب .. نهض الأستاذ سرفاتيوس محامي ايخمان فقال : روى لنا الأستاذ هذا السجل الطويل من الاضطهاد الذي لحق باليهود ، فهلاّ روى الأسباب التي جعلت هذا الاضطهاد يلحق بهم دوماً وحدهم دون بقية المجتمعات البشرية ؟

فكان سؤالاً موجزاً مفحماً حقا .



(١)

الحل العادل لقضية فلسطين

في الكلمة التالية المنقولة عن كتاب (فلسطين) للأستاذ شفيق الرشيدات ، رأيُ المؤلف الصحيح لحل قضية فلسطين ، قال بعد تمهيد :

لقد كانت قضية فلسطين ولا تزال قضية شعب أكره بالقوة على النزوح عن وطنه ، وقضية غزاة أجانب احتلوا مكانه واغتصبوا ممتلكاته وتركوه مشرداً في الأرض ، دون وطن أو مأوى أو عمل أو مورد رزق . تماماً كما لو أن الجيش الأمريكي ، أو السوفييتي ، أو البريطاني ، اعتبر الأجزاء التي احتلها من المانيا في الحرب العالمية الثانية ارضاً أمريكية أو سوفييتية او بريطانية ، ورفض مغادرتها وعمد إلى طرد سكانها الألمان بالقوة وأسكن مكانهم مجموعات من شعوب مختلفة غريبة عن الشعب الألماني وعن الأرض الألمانية .

لقد كانت قضية فلسطين ولا تزال قضية مليون عربي هم سكان فلسطين الأصليون منذ عشرات القرون وهم أصحابها واصحاب كل شبر فيها ، أكرهوا على تركها أمام عصابات الصهيونية المسلحة بالأسلحة الأنكلو أميركية والمؤيدة بنفوذ الاستعمار العالمي ، وحل محلهم مشردون جمعهم الاستعمار البريطاني والصهيونية من جميع أنحاء العالم في ظل الانتداب البريطاني وبسلطاته الدولية .

هذا هو الشكل الذي اتخذته قضية فلسطين حتى صارت إلى ما هي عليه الآن فما هي التسوية التي يمكن ان تنهي هذه المشكلة ... ؟

هل يمكن أن تخرج في حقيقتها عن أحد حلين جذريين ينهيانها ويزيلان كل آثارها .. ؟

---

(١) راجع باب الكتب .

الأول : إعادة الحـــال إلى ما كان عليه في فلسطين قبل المؤامرة والغزو ، فيعود اللاجئون الفلسطينيون العرب إلى وطنهم ومدنهم وقراهم وممتلكاتهم ، ويعود المهاجرون اليهود الغزاة إلى أماكن تصديرهم ، ويعترف لشعب فلسطين الأصلي باستقلاله وتتاح له فرصة تقرير مصيره في ظل ضمانات دولية عادلة .

والثاني : أو قبول العرب وأهل فلسطين خاصه بواقع إسرائيل الحالي الذي خلقه الاستعمار والصهيونية بالقوة المسلحة والعدوان والاغتصاب ، والتسليم للصهيونية العالمية وحليفها الاستعمار بفلسطين ، والخضوع للمصير السيء المؤلم الذي صار إليه أهل فلسطين ، والذي يعيشه اللاجئون منذ عشر سنوات مشردين دون وطن أو مأوى أو مورد عيش ... ؟

فأي الحلين هو الذي يمكن أن يتمشى مع مبادىء الحق والعدالة ، وينطبق مع ميثاق الأمم المتحدة وما سجله من نصوص لضمان حرية الشعوب وسيادتهـــا وحقها في تقرير المصير ؟...

إننا نسأل بكل إخلاص جميع شعوب الأرض في الشرق والغرب ، ونستفتي جميع المؤمنين بمبادىء الأخوة والحرية والحق والإنسانيه والتعايش والسلام ، هل فيهم من يقبل أن تحتل بلاده ويطرد شعبه ويشرد ليحل فيهـا مكانه شعب آخر مهما كانت ظروف هذا الشعب ؟ . . هل فيهم من يقبل حتى بمجرد احتلال بلاده من قوى اجنبية ؟ ... هل تقبل أميركا زعيمة العـــالم الحر ... وذات الرقعة الواسعة الغنية ان يطرد سكان كليفورنيـا من ولايتهم ليحل اليهود المعذبون في المانيا مكانهم ؟.. هل تقبل الصين ذات المساحة القارية أن تخلي مقاطعة فوكين من شعبها ليحل مكانه شعب آخر ولو كان مشرداً ومن شعوب أوروبا أو آسيا ؟... هل تقبل بريطانيا أن تخلي مقاطعة ويلز من سكانها الإنكليز ليحل فيهـــا شعب غريب حتى ولو كان من سكان مستعمراتها ؟ .

إننا لا نعتقد أن شعباً في الدنيا مهما سمت مثله العليا يمكن أن يقبل بمثل هذا الوضع الشاذ اللهم إلا عرف الاستعمار الغاشم ، ومبدأ القوة المسلحة في حل القضايا ، وتشريع الغزاة والطغاة لا القرون الأولى أو الوسطى ، وشرعة الصهيونية العالمية المسنودة بالاستعمار الأنكلو أمريكي في القرن العشرين .!

فماذا يريدنا العالم أن نقول في حل مشكلة فلسطين ..؟ هل يتطلب منا أن نقبل بالواقع ..؟ وأي واقع . ! واقع القوة والاحتلال والاغتصاب ..؟ هل قبل العالم بالواقع الذي فرضته المانيا عام (١٩٣٩ — ١٩٤٠) في أوربا بالقوة ..؟ وهل تقبل الصين بواقع شانج كاي شيك الذي فرضته امريكا في فرموزا بالقوة . . ؟ هل تقبل الشعوب التي تحتلها الدول الاستعمارية في افريقيا بالواقع المفروض عليها الآن .؟ إنها حتماً لا تقبل بذلك ، وتناضل من أجل تغيير هذا الواقع بالوضع الصحيح الذي تمليه العدالة والحرية والسيادة ونحن العرب كذلك ، لا يمكن ان نقبل بهذا الواقع ، وسنظل نناضل ونكافح حتى نغيره ونحل محله الوضع الصحيح الذي يؤمن العدالة الإنسانية والحرية والسيادة لشعب فلسطين .

إن أي حل نهائي لقضية فلسطين من وجهة نظرنا نحن العرب ، لا يمكن أن يكون غير الاعتراف سلفاً بأن فلسطين وطن عربي ، وأن اللاجئين الفلسطينيين العرب هم سكان هذا الوطن ، وهم أصحابه الشرعيون ، وان اليهود الذين يشغلون هذا الوطن الآن هم غزاة محتلون مغتصبون . فهل يمكن التوصل إلى هذا الحل بالطرق السلمية ...؟

إننا نشك بوقوع ذلك واسرائيل ماضية في استحضار المهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم ، وإسكانهم في مدن العرب وقراهم وبيوتهم ، وتوزيع أراضيهم وممتلكاتهم على هؤلاء المهاجرين ، بينما يزداد حال اللاجئين سكان البلاد الأصليين سوءاً على سوء .

ونشك أكثر ونحن نلمس في كل مناسبة تأييد أمريكا وبريطانيـــا وفرنسا لإسرائيل في اجراءاتهـــا التعسفية الظالمة ضد عرب فلسطين وضد حقهم الطبيعي . وكذلك ونحن نلمس مساندة هذه الدول لباطل إسرائيل ومدها بالمـال وبالسلاح والتأييد المعنوي للمضي في تمثيل مسرحيتها العدوانيه المؤلمة في فلسطين ... !

لقد مضى عشر سنوات على احتلال العصابات الصهيونية لفسلطين ، ومضت عشر سنين على اللاجئين الفلسطينيين وهم مشردون خارج بلادهم دون أن يحرك العالم ساكناً في هذه القضية . بينما نراه يشغل نفسه بأحداث أقل أهمية من هذا الحادث ويلاحقها بالتفاوض والتهديد والأساطيل حتى ويزيل جميع آثارها فإذا سكت العالم عن هذه القضية فهل يريدنا أن نسكت نحن عن قضيتنا . ؟

لقد كنا ضعفاء متفرقين عام ١٩٤٧ ، حين مثل الاستعمار والصهيونية مسرحية فلسطين ، فتمت فصولها بسرعة واتقان . أما اليوم فنحن أمة قوية متحدة لنـــا مكاننا في العالم ولنا تأثيرنا في الميزان الدولي . ونحن قادرون اليوم على فرض العدالة واسترداد الحقوق لا في فلسطين فحسب ، بل في الشرق الأوسط كله . فهل يريدنا الاستعمار والصهيونية أن نلجأ إلى القوة كوسيلة لإحقـاق الحق ونصرة الحرية في فلسطين . هل يقبل العـالم منا أن نضعه بالقوة أمام واقع جديد في فلسطين ؟

إن على دول الغرب التي تقف وراء عدوان إسرائيل أن تختار بين السلم والحرب في حلّ قضية فلسطين . فهي تعلم أكثر من غيرها بأن القومية العربية التي هزمتها في كل معركة قادرة اليوم على إنصاف نفسها بنفسها وعلى استرداد حقوقها في فلسطين .

غير أننا مع إيماننا بقدرتنا على حلّ مشكلة فلسطين بالقوة ، لانزال نؤمن بالسلم ونعمل له ، ولا نزال نرى ضرورة اللجوء للطرق السلمية في حلّ المشاكل المستعصية . ولكن ليس إلى مالا نهاية ، وليس على حساب حقوقنا وكرامتنا وسيادتنا ، وليس على حساب مبادىء العدالة الإنسانية وحرية الشعوب وسيادتها . . الخ



في رياض الشعر

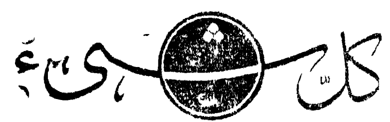
رسول الله

للأستاذ بديع المعلم

قف بالحطيم تنشق طيب رياه ... واذكر به المصطفى طوبى لذكراه
واخشع هنالك مزهواً بكعبته ... فالدهر شاخصة للنور عيناه
تمضي العصور وذكر المصطفى أبداً ... في مسمع الخلد لحن كيف ينساه ؟
فتنثني مهج الأسحار قائلة ... ما أعزب الوحي في قلبي وأشهاه

★ ★ ★

ألا تنشق شذى الهادي فذكراه ... روح الضياء وعرس المجد نجواه
محمدٌ أشرقت كالشمس طلعته ... فالكون مصطفقٌ والمجد تياه
فاض النعيم على الدنيا وقد لثمت ... حليمة الشهب لما حاولت فاه
تأود « الغار » أغصاناً معطرة ... وبلبل الوحي بالتنزيل ناجاه
فباسم ربك اقرأ مايرتله ... فصفق الكون واهتزت حناياه
فالروح يحدب بالبشرى ويلثمه ... كالأم يحنو على الهادي جناحاه
والحور تشدو على خضر مهدلة ... وفي فم الحور ما تنفك ذكراه
نشوى على شفة الأجيال قد عبرت ... فالكوثر العذب ملهوف لنشواه
تبارك الله ما أسمى شمائله ... غير الملائك لم يقرب مصلاه
يطوي جناح الليالي في تلاوته ... فأجهش الطير حتى الغار أبكاه
فكم همى عبق القرآن في يده ... لاينتهي كامتداد البحر معناه



- في (الإكليل) للإمام السيوطي : قوله تعالى « والذين لا يشهدون الزور » : هو شامل لكل باطل ، فمنه الشرك وبه فسّره الضحاك ، واللهو والغناء وبه فسّر ابن الحنفية ، والكذب وبه فسّر قتادة ، والنياحة وبه فسّر الحسن .
- قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : إني لا أرسل العمال ليأخذوا أموالكم ولا ليضربوا أبشاركم ولكن ليعلموكم ويفقهوكم .
- في بلادنا العربية عروق ذهبية وفضية كثيرة ، في العربية السعودية ، واليمن ، والإقليم المصري ، والسودان ، والمملكة المغربية .
- قال القس (كالهون سيمون) إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوربية ، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات . . .
- كان لعودة رائد الفضاء الثاني تيتوف سالماً بعد أن دار بسفينته وصاروخها حول الأرض ١٧ دورة ونصفاً خلال ٢٥ ساعة ، دهشة علمية وعالمية بالاطلاع على بعد آيات الله في آفاق الفضاء .

أي النجوم اشرأبت يوم مولده ... أي الشموس تجلت يوم مسراه
طوى السماوات من أفق إلى أفق ... كقاب قوسين والرحمن أدناه
تسري البراق على سبع منورة ... في موكب ما تخطى الشهب إلاه
فسدرة المنتهى قد صفقت طرباً ... إذ لاح أحمد والرحمن حياه
موسى الكليم دعاه الله من جبل ... من جانب الطور من سينين ناداه
سبحان من خص طه كل مكرمة ... وحفه أبداً بالفضل مولاه
لم يعقد التاج إزراء لصاحبه ... لكنها الحق والإيمان ناجاه
الليل لا ينجلي إلا بطلعته ... والحق لم ينبلج إلا بيمناه
أما رأي القمر المنشق عن يده ... أن الأهلة هلت من محياه
فهللي ياربا الزهراء وابتسمي ... « فالبدر » أقبل من آفاق علياه

بديع المعلم

من البادية واليها صرخة للشباب

أحببتها من الماضي وسأحبها من المستقبل كحبي لها الآن لأنها تحملني الى أجواء ملونة شاعرية حيث ركع آمالي وسجد أجدادي واحترتهم طيوف السماء حيث الشيح والقيصوم ووهج السراب .

(عبد الوهاب العدواني)

الحق يدعول لاهمس من الغزل ... ولا الأماني ولا اشراقة الأمل
ايجثم الكون في مسراك ثم له ... من بعد ما كان في دنياك من شغل
ويدلج الليل لا فجر يروح به ... وان أتيت لتدعو جاء بالدجل
اتحسب المجد أن تغفو على حلم ... أليس في النوم مدعاة إلى الكسل
حلم النوؤم توارى وهو يقطعه ... فإنما الصبح يا صاح من الأجل
قد بان في الأفق فجر في موارده ... لدى الشروق اعترافات لمنتهل
دنيا الحقيقة اصداء معبرة ... تنثال في الروح مثل العارض الهطل
دنيا الحقيقه صدر أرحب ويد ... سمراء تغرق في بحر من العمل
لا ترتضي بالمعالي وهي قاصرة ... (في لجة البحر مايغني عن الوشل) (١)

* * *

عصفت بالدرب كاد الدرب يرهقني ... مما يطوف بأحلامي من الوجل
أينحر الليل أشواقي الى زمن ... ترتاده الروح أطياماً من الأزل
وربقة الليل والأحلام إن نشبت ... مثل الحباب إذا دبّت على عجل (٢)
تروح بالروح في جو يكفنه ... ليل من الجهل والأوهام والخطل

---

(١) العجز (في لجة . . . . الخ) للشاعر الكبير محمود سامي البارودي .
(٢) الوهل الفزع .

يشتاقه القلب ان راجت برنعته ... دنيا الضلالة في شيء من الجذل
فدأبه العمر لو يقضيه من طرب ... ويقطع الليل بين الكاس والمقل

* * *

طرقت دنيا القوافي وهي صاخبة ... من الأنامي من شاد ومن غزل
مشيت فيها الهوينا وهي تنشدني ... لهائة العمر في بحر من الخجل
طلبت فيها العشاق الغر أكتبها ... فعدت بالشعر من فذو من جزل
قد غاص سريَ في الماضي وراح به ... كمن يروح يناجي دارس الطلل
فما أقول وقد حزت على كبدي ... وفي فؤادي انطباعات من العطل
قال الألى سبقوني حين شغفهم ... لج من النور والأطياف والحلل
فإن ركضت فإني قد نصبت وما ... بلغت نقع الأولى ساروا على مهل
فعدت قدّام القوافي ليس لي أمل ... من المقالة حتى قلة البلل

* * *

ياقبة السدم والأجواز إن لنا ... عبر المهامه ركباً ليس بالوهل (١)
ياقبة السدم إن ثارت عزائمنا ... تعانق النجم حتى ذاب في القبل
لفح الحرور اذا شمس العلا ظهرت ... مثل النسيم يداري وجنة الثمل
هـــذا تراث الألى قد كان يبعثهم ... بالدين والمجد والأخلاق والمثـــل
دين وعزم وايمان ومعركة ... بالسيف خطت لنا بالعسّل الذبل
نصرعلى الدهر لايذوى وإن عصفت ... به الرياح وان رامت على غِيَل (٢)

* * *

بنى العروبة والبيـــداء عندكم ... فيها من الحسن مايغري عن النقل
بنى العروبة والإسلام ان صدى ... ينساب في النفس يحيى ميت الأمل

---

(١) الوهل الفزع .

(٢) الغيل الفجأة بكسر الغين وفتح الياء .

سينحر الليل من إدلاج سائركم   ويشرق الفجر للغادي وللرَمَلِ (١)

ويشبل الصبح فيه الف أمنية   بيضاء كالبدر بله النور في زحل

تطل فيه الأماني وهي زاخرة   كالبحران مدّ لا يحنو على رجل

عشقت في البيـد أجواءً ملونة   ففي السهول انبساطي أوعلى الجبل

ملاعب الحسن كم قد جاء يطرقها   صاد فعاد بلا شوق الى نهـل

كأنما الحسن يروي من به ظمأ   الى الحياة الى دنيا من الشعل

« حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن » غير مبتذل (٢)

تلقاك فيها الصبايا وهي دائرة   طي الملابس ترنو رنوة الوعل

فيها الحلاوة ان رقت فمن شيم   وان تنادت ففيها عزة الدول

لهـا الى المجد طيات وألوية   وفي الحروب ألوف الجند والخول

من كل أصيد نجم المشرقين له   مثل العيون فيهديه الى السبل

يصيح بالخطب ان أمسى بساحته   حم القضاء فهذا الكور فارتحل (٣)

فانني لست بالراضي الردى أبداً   عليك بالناس من واهٍ ومن وكل

الموصل :   عبد الوهاب محمد علي الياس العدواني

كلية الشريعة ــ جامعة بغداد

---

(١) الرمل نوع من السير .

(٢) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي مــع تغيير بسيط فيه وهو من قصيدة يمدح بها كافوراً الأخشيدي ومطلعها :

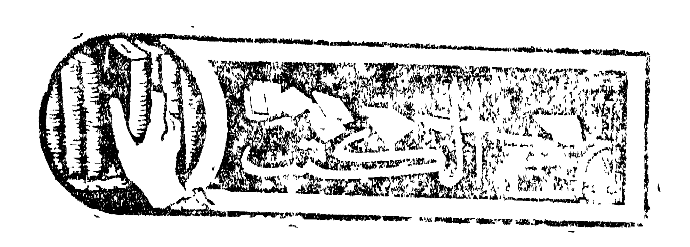
من الجاذر في زي الأعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وتمام البيت :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية   وفي البداوة حسن غير مجلوب

(٣) الكور بمعنى الرحل .

الحباب الأدمي .





- **يحدثونك عن القلب** : هو الحلقة الأولى من السلسلة القصصية التي تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الاقليم السوري .

الكتاب قصص عشر صاغتها براعة الأستاذ الأديب قدري العمري بعد أن سمع بعضها من أصدقائه الفلسطينين وسمع بعضها في المخيمات التي أعدت للفلسطينين في ضواحي المدن السورية .

تصور هذه القصص جانباً كبيراً من النكبة فتهزّ القراء هزاً .

الكتاب في ١٦٤ صفحة من القطع الجيبي . التزم الطبع والنشر دار الفكر العربي بدمشق .

- **فلسطين** : الأستاذ شفيق الرشيدات ، ٤١٦ صفحه طبعة دار النشر المتحدة للتأليف والترجمة في بيروت في مطلع عام ١[illegible]١ .

المؤلف سياسي أردني شهير ، ونقيب للمحامين ، ووزير سابقاً .

والكتاب سجل حافل - مع وثائقه - بتاريخ نكبة فلسطين العربية وآمالها الأبية قدم له الأستاذ المفضال محمد عزة دروزه .

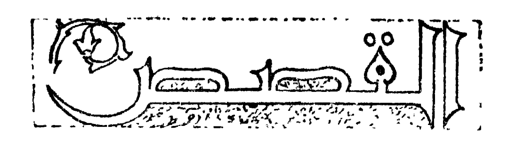
لاحظ المؤلف في مؤتمر التضامن الآسيوي الإفريقي الذي مثل الأردن فيه عام (١٩٥٧) ان كثيراً من أعضاء المؤتمر الآسيويين والإفريقيين فضلاً عن

غيرهم يجهلون حقيقة قضية فلسطين ومأساتها بتأثير الدعاية الصهيونية الماكرة - التي لا تزال تسعى سعيها حتى الظروف الحاضرة فأعدّ بحثاً موجزاً في الموضوع ، ثم وسّعه فكان هذا الكتاب الذي حوى الفصول التالية : كيف نشأت القضية ، الاستعمار العالمي يهيء فلسطين ، بريطانيا في فلسطين ، الشركة الانجلو أمريكية في فلسطين ، خلق إسرائيل ، كفاح العرب ضد المؤامرة ، بريطانيا تستغل الجامعة العربية . . دول الاستعمار تثبت واقع إسرائيل ، اللاجئون ، إسرائيل ، مستقبل فلسطين .

● **محمد شكري الألوسي وآراؤه اللغوية** : محاضرات سبق ان ألقاها الأستاذ الكبير « محمد بهجة الأثري » على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ، وقد جعلها معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية هذا الكتاب العلامة : السيد الألوسي (المتوفى ١٣٤٢ رحمه الله تعالى) أشهر من ان يعرّف ، وآراؤه اللغوية والأدبية هي آراؤه علماً وإصلاحا ، وكانت في إبانها من مقابلة بداية الاقتباس للنظم الغربية ، والأستاذ الأثري – حفظه الله للعلم والأدب والإصلاح هو هو تحقيقاً وأدبا ، فلا بدع ان كان الكتاب – بعد عرض سيرة المؤلف وأعماله وآثاره في معظمه – معرضاً أنيقاً لجملة من آرائه اللغوية القيمة وما إليها . الكتاب في ستين ومئة صفحة من الورق الصقيل ، طبع في المطبعة الكمالية بمصر عام (١٩٥٨)

● **ابن تيمية بطل الاصلاح الديني** : عرض هذا الكتاب وقدمه الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي كما قال ، وإن شئت قل ألفه فإن جهده ملموس مشكور فيما نقله ، وقد صدره بشهادة لقاضي قضاة الإسلام عبد البرّ السبكي : (والله ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل) تضمن الكتاب سيرة الإمام في نشأته وعلمه وجهاده . . ونواحي إصلاحه العظيم . الكتاب من منشورات دار الحياة للطباعة والنشر بدمشق ص ب ٢٧٩٤ – فكان في ٢٤٨ صفحة (٢١,٥ × ١٤,٥)

(العظم)



قرينة مضللة وحق يظهر



في الطرق الحكمية في السياسة الشرعية للإمام ابن قيم الجوزية : الواقعة التالية !

من قضايا علي رضي الله عنه : أنه أتى برجل وُجد في خَرِبة بيده سكين متلطخ بدم ، وبين يديه قتيل يتَشَحَّط في دمه . فسأله ؟ فقال : أنا قتلته . قال : اذهبوا به فاقتلوه . فلما ذهبوا به أقبل رجل مسرعا ، فقال : ياقوم ، لا تعجلوا . ردوه إلى علي . فردوه . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، ما هذا صاحبه . أنا قتلته . فقال علي للأول : ما حملك على أن قلت : أنا قاتله ، ولم تقتله ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وما استطيع أن أصنع ؟ وقد وقف العسسُ على الرجل يتشحط في دمه ، وأنا واقف ، وفي يدي سكين ، وفيها أثر الدم ، وقد أُخذت في خربة ؟ فخفت أن لا يقبل مني ، وأن يكون قسامة ، فاعترفت بما لم أصنع . واحتسبت نفسي عند الله . فقال علي : بئسما صنعت . فكيف كان حديثك ؟ قال : إني رجل قصّاب ، خرجت إلى حانوتي في الغلس ، فذبحت بقرة وسلختها . فبينما أنا أصلحها والسكين في يدي أخذني البول . فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها ، فقضيت حاجتي وعدت أريد حانوتي ، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه . فراعني أمره . فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي . فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ ، فأخذوني . فقال الناس : هذا قتل هذا ، ما له قاتل سواه . فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي . فاعترفت بما لم أجنه . فقال علي للمقر الثاني . فأنت كيف كانت قصتك ؟ فقال : أغواني ابليس ، فقتلت الرجل طمعا في ماله ، ثم سمعت حس العسس ، فخرجت من الخربة ، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف ، فاستترت منه ببعض الخربة ، حتى أتى العسس ، فأخذوه وأتوك به . فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضاً . فاعترفت بالحق . فقال للحسن : ما الحكم في هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن كان قد قتل نفساً فقد أحيا نفسا . وقد قال الله تعالى (٥ : ٣٢ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعـــا) فخلى عليٌّ عنهما وأخرج دية القتيل من بيت المـــال .

في المجتمع

● اصبحت هيئات الأزهر حسب قانونه الجديد :
١ - المجلس الأعلى للأزهر ٢ المجمع العلمي للدراسات الإسلامية ٣ - ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية ٤ - جامعة الأزهر ٥ - المعاهد الأزهرية .
وجامعة الأزهر تشمل : ١ - كلية الدراسات الاسلامية (وأقسامها) ٢ - وكلية الدراسات العربية ٣ - وكلية المعاملات والادارة ٤ - وكلية الهندسة والصناعات ٥ - وكلية الزراعة ٦ - وكلية الطب .

● أصدرت المنظمة الدولية للصحفيين بيانا حثت فية جميع الصحفيين في العالم على ادانة العدوان الفرنسي الغاشم على تونس الذي وصفته تونس بحق بأنه خطر على حرية الشعوب الافريقية وتهديد للسلام العالمي وانتهاك لميثاق الأمم المتحدة . وقال البيان إن نضال شعب تونس لتحرير بلاده من سيطرة الاستعمار يعتبر جزءاً لا يتجزأ من الحركة الكبرى لتحرير إفريقية ، وقدناشد الشعب جميع الصحفيين في العالم التعبير بكافة الوسائل عن تأييدهم المطلق لزملائهم في تونس وللشعب التونسي .
واختتم البيان مطالبا برحيل المستعمرين عن اراضي تونس وعن إفريقية بأسرها .

● تقرر فتح جميع المدارس بمحافظة البحيرة (مصر) خلال فترة الصيف . . وسيمنح ثلث المدرسين بالمحافظة اجازة شهر واحد فقط خلال العطلة . . ويجند ثلثا المدرسين لخدمة الشباب طوال مدة الاجازة للقضاء على مشاكل اوقات الفراغ ومحو الأمية .

● واشنطن - رويتر - حطمت الجرائم التي ارتكبت في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية كل الأرقام القياسية السابقة إذ بلغت نسبتها جريمة قتل واحدة في كل ٥٨ دقيقة وجريمة اغتصاب واحدة في كل ٣٤ دقيقة .

وقد كشف النقاب عن هذا الأمر في تقرير سنوي أعده السيد ج . ادهار هوفر مدير مكتب التحقيق الاتحادي .

ويقول التقرير ان الجرائم الخطيرة ارتفعت في عام ١٩٦٠ بنسبة ٩٠ في المئة عن عام ١٩٥٠ وذلك على الرغم من أن نسبة ارتفاع عدد السكان بلغت خلال السنوات العشر الماضية ١٨ بالمئة .

وأضاف التقرير يقول ان جرائم القتل زادت بنسبة ٦ بالمئة عليها في سنة ١٩٥٩ وزادت حوادث الاغتصاب بنسبة ٣ بالمئة .

وزادت نسبة حوادث توقيف الاحـــداث الذين تقل أعمارهم عن ١٨ سنة إلى أكثر من الضعفين منذ عام ١٩٥٠ . فهلا فهمنا معنى الحرية المعكوسة ؟

● منعت أربع أغنيات لبنانية من دخول الإقليم السوري وقيـــل في الاسباب الموجبة : إن مستوى هذه الأغاني الفني منحدر ، ومعانيها مائعة رخيصة ، وفيها كلمات أجنبية عديدة . فنرجو أن نستمر على تهذيب كثير من أغانينا بدقة تامة وحذر شديد لما فيها من إغراء وفساد .

● نقد الصحف : نشرت (التعاون) المصرية في العدد ٨٤ تحت صورة حسناء ريفية مايلي :

حاولنا أن نقول لها إننا نلتقط صورتها لنجمل بها صفحات الجريدة لكي يستريح القارىء بين الأخبار والموضوعات والتعليقات والشكاوى .. ولكنها لم تفهم .. ولم يكن في وسعنا أن نشرح لها اننا نفعل هذا لأننا نؤمن أن الجمال الريفي الطبيعي أفضل من جمال الصالونات . اسمها ... عمرها ١٦ عاما متزوجة ... احدى المجهولات في كفر مجهول ...

المجلة : يا خاطف الصورة ، إن أعراضنا أغلى من أن نجعل صور صاحباتها ليستريح القارىء بالتمتع بجمالهن ، فلا يخدعك التقليد الأعمى .

● قال السيد نهاد الغادري (الوحدة العدد ٧٩٠) حول الدافع الداخلي في الإنسان والعناية بتنميته وتوجيهه :

ويمكن أن نطلق على هذا العامل تعبير الوجدان الحضاري ، أو العامل الأخلاقي ،

وهو ما تحاول الانسانيات الحديثة في الواقع أن تحله محل العوامل الأخرى المختلفة التي كان يفرضها من خارج الانسان ، الدين أو القانون .

المجلة : إن القانون يوجه من الخارج ، ولكن الدين يبدأ عمله من الداخل فيبني بالإيمان ، بتقوى الله ، بمعرفة الواجبات والقيام بها ، يبني الأفراد بناء صحيحا عميقا ، ولا يهمل مع ذلك الرعاية الخارجية بما ينبغي لها من توجيه ودربة أو عقوبة ...

فكيف تتجاهل حقيقة كبرى كهذه الحقيقة ؟

وردنا من السيد مسلم ريحان مايلي حول « المرأة والعمل » :

نشرت (الأيام) كلمة للآنسة عايدة كنيفاتي (في العدد ٧٣٦٠ في ١٩/٢/٦١) انتصرت فيها لمزاولة المرأة أنواع العمل لئلا يكون نصف المجتمع مشلولا ، وليكون مجتمعنا كالمجتمعات الراقية ، وأشارت إلى أن شيوع الآلات المنزلية جعل مزاولة الأعمال الخارجية يسيراً على المرأة . وقد رأيت أن أذكر بما يلي :

إن اقتصار المرأة على أعمالها المنزلية والتربوية لا يجعل نصف المجتمع مشلولا ، فإن لتلك الأعمال خطورتها وكثرتها التي لا يستهان بها ، ولقد صدق من قال « إن المرأة التي تهز السرير بيسراها تهز العالم بيمناها » .

وإن الرجل في بلادنا العربية والإسلامية هو ربُّ الأسرة وهو المكلف شؤونَ الإعالة ، فبدهيٌ إذن أن يكون عمله خارجيا ، وأن يكون عمل زوجه داخليا . ولا يتسع نطاق الأعمال الخارجية الرجل والمرأة – على افتراض سهولة العمل المنزلي وإمكان مشاركة المرأة في الأعمال الخارجية – ولاشك أن هذه المزاحمة تؤدي في كثير من الأحيان إلى حرمان الرجل وبالتالي إلى خسارة المجتمع .

ولا أتعرض للفساد الخلقي في كثير من الأحيان بسبب مزاحمة المرأة الرجل في أعماله الخارجية ، فإن هذه الناحية أصبحت أمثالها أكثر من أن تحصى في المجتمعات الغربية . أما الأرياف وإن عمل المنزل فيها أقل شأنا من المدن ، والفقر فيها اشد من فقر المدن ، ولذلك تزاول المرأة الريفية أعمالاً في سبيل التعاون مع زوجها ، وقد تكون مرهقة فيها إرهاقا يدعو إلى رحمتها والشفقة عليها .

جامعة دمشق : مسلم ريحان



أشعب في الحمام

دخل أشعب الحمام ، فلم يرعه الا رجل قد دخل على أثره وعمد الى قطعة طين فلطخ بها جبينه ووضعها على رأسه ثم خرج . ودخل آخر فجعل يدلكه دلكا يكد العظام ويغمزه غمزاً يهد الأوصال . ثم عمد الى رأسه يغسله ويوسل عليه الماء . وإذا الأول قد عاد فرأى الثاني منهمكا في العمل فلكمه لكمة كادت تطير أسنانه وقال له :

- يا لكع ، مالك ولهذا الرأس وهو لي ؟

فقام اليه المضروب وعطف عليه بلطمة كادت تضيع صوابه ، وقال له :

- بل هذا الرأس حقي وملكي وفي يدي .

وتلاكما حتى تعبا ، وتجاذبا الأثواب وسارا يتحاكمان الى صاحب الحمام . فقال له الأول :

- أنا صاحب هذا الرأس . لأني لطخت جبينه ووضعت عليه الطين .

وقال الثاني : - بل أنا مالكه ، لأني غسلته ودلكت صاحبه . فقال الحمامي :

- ائتوني بالزبون أسأله لأيكما هذا الرأس ؟ فذهب الرجلان الى أشعب وقالا له :

لنا عندك شهادة ، فقم معنا ! وكان أشعب مازال موضوعاً في مكانه وضعاً لم يفهم ماحدث أمامه شيئاً ولا أدرك لهذا الشجار معنى ، فنهض وسار معهما الى صاحب الحمام . فابتدره الحمامي قائلاً :

- يارجل لاتقل غير الصدق ولا تشهد بغير الحق ، قل لي : هذا الرأس لأيهما ؟

فوقف أشعب دهشاً لحظة ثم قال : يا عافاك الله ، هذا رأسي أنا ، قد صحبني طول الطريق من المدينة الى مكة ومن مكة الى عرفات ، وما شككت أنه لي . فقال له الحامي منتهراً : - أسكت يافضولي ! ثم مال الى أحد الخصمين وقال له :

- ياهذا : الى متى هذه المنافسة بينكما على رأس صغير الشأن قليل الخطر !

ثم عرج على الخصم الآخر وقال مهوناً عليه : - وانت ياهذا ! هب انك لم تر رأس هذا التيس ! فقال اشعب من ذلك المكان خجلا . وارتدى ثيابه على عجل وانسل من الحمام ، فوجد خادمه المنتظر بالباب يقول له : - نعيا ان شاء الله ! فهوى في الحال بكفه على قفا الخادم : - انعم الله عليك بهذا ! عن (أشعب) : للأستاذ توفيق الحكيم